«أعجبتني قابلية أفكاره للتطبيق العملي اعتماداً على المنطق السليم، وإيمانه الراسخ بالتقرير الصحفي الصادق النزيه، والتزامه بالجودة.. أسلوب ديفيد راندال السلس الرشيق، والمجموعة الضخمة من الأمثلة والنماذج، تجعلان قراءة الكتاب متعة.

وعلى كل من يرغب بأن يصبح صحفياً أن يقرأه - مراراً وتكراراً».

فال وليامز، مؤسسة تومسون.

الصحفي العالمي



ديفيد راندال

كبير محرري الأخبار في الإندبندنت

أفضل كتاب قرأته حول الصحافة

دون جونسون

مستشار التحرير

نقله إلى العربية

معين الإمام

مكتبات ونشر العبيكان

Obeikan

Publishers & Booksellers

الصحفي العالمي

الصحفي العالمي

ديفيد راندال
كبير محرري الأخبار في الإندبندنت

نقله إلى العربية
معين الإمام

العبيكان
Obeikan
Publishers & Booksellers

Original Title:

The Universal Journalist

by:

David Randall

ISBN 0 - 7453 - 1641 -7 pbk

Published by: Pluto Press - Landon

المملكة العربية السعودية، شمال طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة، ص . ب . 62807 الرياض 11595

Obeikan Publishers, North King Fahd Road, P.O. Box 62807, Riyadh 11595, Saudi Arabia

الطبعة العربية الأولى **1428هـ ـ 2007م**

ISBN 4 - 063- 54 - 9960

ح مكتبة العبيكان، 1427هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

راندال، ديفيد

الصحفي العالمي . / ديفيد راندال؛ معين الإمام . - الرياض 1427هـ

356 ص؛ 16.5× 24 سم

ردمك: 4 - 063 - 54 - 9960

1 ـ الصحافة

أ . الإمام، معين (مترجم)   ب . العنوان

ديوي: 070   1427 / 3996

رقم الإيداع: 3996 / 1427

ردمك: 4 - 063 - 54 - 9960

بسم الله الرحمن الرحيم

"أعجبتني قابلية أفكاره للتطبيق العملي اعتمادا على المنطق السليم، وإيمانه الراسخ بالتقرير الصحفي الصادق النزيه، والتزامه بالجودة.. أسلوب ديفيد راندال السلس الرشيق، والمجموعة الضخمة من الأمثلة والنماذج، تجعلان قراءة الكتاب متعة. وعلى كل من يرغب بأن يصبح صحفيا أن يقرأه - مرارا وتكرار".

فال وليامز، مؤسسة تومسون

الفهرس

الموضوع | **الصفحة**

شكر وتقدير

بالرغم المخاطرة بأن أبدو وكأنني أخطب في ليلة توزيع جوائز "الأوسكار" المملة، فإن هناك قائمة طويلة بأسماء الأشخاص الذين استوطنت نصائحهم وخصالهم وأرواحهم هذا الكتاب. وهي تبدأ، منذ أول صحيفة عملت فيها، بالراحل جوف كولارد (الذي تعلمت منه أن الصحافة دون كرامة وشرف وأخلاق لا تستحق اسمها)، ومحررة الأخبار كاثرين سانسوم، التي بدت دروسها الإجبارية الآمرة حول حرفية المهنة وكأنها نقمة مؤذية آنئذ، لكن ثبت أنها نعمة مفيدة منذ ذلك الحين. في "الاوبزرفر"، تبينت من بيتر كوريغان (من خلال الإشراف الدقيق)، ومن كتاب مثل بيتر دوبرينر، هوغ مكالفاني، والراحل لورنس ماركس (من خلال المثال والقدوة) ماهية الأسلوب البليغ والواضح في الكتابة. كما زودني بول روتلدج وجون ميريت بالعبر الدائمة حول أسلوب تفكير وسلوك المراسلين. في جولة لإلقاء المحاضرات في روسيا، تعلمت من جون شيرلي الكثير حول "التحكم بالمادة الصحفية". وفي "الاندبندت"، حيث تابعت العقد الثالث من العمل في الصحافة، تأكدت مرة أخرى أن التعلم عملية مستمرة لا تتوقف. بينما زاد تعليق سيمون ريتر، على محتوى الصحيفة كل يوم، قدرتي على تحديد واكتشاف الهراء المكتوب، في حين شابه العمل مع مايكل ولیامز حضور دروس خصوصية حول التعامل مع الأخبار اليومية يلقيها "معلم" محنك.

لا يكاد يمر يوم دون أن أجرِّب - في ذهني - الحكم على مقدمة محتملة، أو عنوان رئيس، أو خبر مثير، تبعاً للمعايير التي أرساها هؤلاء.

تمهيد

يضم هذا الكتاب بين دفتيه أفضل النصائح والعبر التي تعلمتها أو جمعتها طيلة ثلاثة عقود من عملي كصحفي. بعضها أتى مباشرة - دون دعوة - من حكماء شيبتهم السنون، وبعضها الآخر من مشاهدة أكفأ المراسلين وهم يعملون، وغيرها من استخلاص المعلومات والأفكار من المحنكين المتمرسين، أو من الكتب، أو من مواقع الويب (على الشبكة الإلكترونية)، وكثير منها اكتسبته من الأخطاء التي ارتكبتها، لأتعلم - في أسوأ الظروف وبأصعب الطرق- أفضل السبل وأكثرها ابتكارا وإبداعا لأداء عملي. لكن بغض النظر عن أصول ومصادر الدروس المتضمنة هنا، فقد ساعدتني على النجاة بجلدي في العديد من المناسبات، وأتاحت لي أداء مهمات مدهشة في أخرى.

عنوان الكتاب، "الصحفي الشامل"، عبارة عن جواب لأولئك الذين يحسبون أن كل نوع من المطبوعات ينتج شكله الخاص المتميز من الصحافة، ويعتبره ممارسوه - بصورة يتعذر اجتنابها - متفوقا على الأنواع الأخرى. لكن الأمر ليس كذلك. فإذا قرأت وكتبت ما يكفي من القصص والمقالات والتقارير، فسوف تدرك في نهاية المطاف أن هناك نوعين اثنين فقط من الصحافة: جيدة وسيئة. الصحافة السيئة يمارسها أولئك الذين يتعجلون الحكم بدلا من اكتشاف الحقيقة، ويشركون ذواتهم بدلا من قرائهم، ويكتبون بين السطور بدلا من فوقها، وينسخون ويفكرون بتعابير بالية ميتة من الصيغ والأنماط والكليشيهات، ويعتبرون الدقة علاوة إضافية والمبالغة وسيلة أداتية، ويفضلون الغموض على التدقيق، والتعليق على المعلومة، والتهكم والأنانية وخرق المعايير المقبولة على المُثل والمبادئ. أما الصحافة الجيدة فهي ذكية، وممتعة، ومعولة في معلوماتها، ومتوضعة ضمن السياق، وصادقة في المقصد وأمينة في الأثر، وتستخدم لغة التعبير "الطازجة"، ولا تخدم سوى قضية الحقيقة القابلة للدرك

والتمييز. وبغض النظر عن القراء، والثقافة، واللغة، والظروف، يمكن طبع هذه الصحافة في أي مطبوعة لأنها عالمية شاملة بكل ما تحمله الكلمة من معنى. وهذا الكتاب سوف يخبرك بكيفية تحقيق هذا الهدف.

الأس المنطقي الآخر للعنوان يتمثل في أن كل من يأمل بأن يصبح صحفيا ناجحا هذه الأيام، في عالم تتضاعف فيه وسائل الإعلام المتاحة والمعلومات المتوفرة التي نتعرض لقصفها دون انقطاع، يحتاج لاكتساب سلسلة من المهارات الجديدة. سهولة استخدام الكلمات لم تعد كافية. عليك أن تمتلك عقلا حادا ومتسائلا، وأن ترتاح مع الأرقام والإحصائيات، وتفهم كيف تعمل وسائل الإعلام الإلكترونية، وتكون قادرا على استخدام الإنترنت للبحث، وتعرف كيف تتعامل مع المصادر التي تزداد تعقيدا وتطورا باطراد، ومع الناطقين الرسميين الذين يقدمون المعلومات مفسرة حسب مصالحهم، وتتمكن من إنتاج صحافة تتفوق في المعلوماتية، والجدة، والمعولية على المنافسة المنتشرة. وإذا بدت القائمة طويلة فلأنها كذلك بالفعل. الكتاب يهدف إلى تقديم وصف لهذه التقنيات الجديدة، التي تستطيع - عند إضافة التقنيات التقليدية - أن تصنع منك صحفياً ماهراً وعالمياً وشاملاً.

1

ما الذي يكّون المراسل الجيد؟

"الصفات والسمات الوحيدة المطلوبة للنجاح الحقيقي في الصحافة هي البراعة المبدعة، والأسلوب المعقول، وقليل من المقدرة الأدبية".

نيكولاس تومالين

المراسلون هم أبطال الصحافة. أما مهمتهم فهي اكتشاف الأشياء. المراسلون أول من يصل إلى مكان الحدث، وسط فوضى وشواش التو والآن، ليدقوا على الأبواب الموصدة، ويركبوا المخاطرة أحيانا، من أجل اقتناص بدايات الحقيقة. إن لم يفعلوا ذلك فمن يفعل؟ المحررون؟ المعلقون؟ هنالك بديل واحد للمراسلين: قبول النسخة المرخصة من الحقيقة، تلك التي يختار رجال الأعمال، والبيروقراطيون، والسياسيون تقديمها لنا. فبرغم كل شيء، ما الذي يعرفه المعلقون لولاهم؟

يعاني المراسلون - مثل جميع الأبطال - من مثالب وعيوب. سمعتهم سيئة - كمجموعة - مقارنة بالآخرين؛ نظرا لالتجاء عدد كبير منهم، بشكل روتيني، إلى تضخيم وتبسيط وتشويه الحقيقة، بما يكفي لجعل أجزاء من المهنة مرادفة للخداع المتعمد والتضليل المقصود. وليس من قبيل الصدفة أن يختار كتاب السيناريو والمسرح بانتظام، عند بحثهم عمن يجسد الشرير الزري، مراسل صحف الإثارة. فهذا يوفر عليهم الجهد والوقت. إذ لا يضطرون لكتابة

صفحات عديدة تصف شخصية تفتقد الأخلاق، فمجرد إعلان مهنة الشخصية يكفي لكي يفهم النظارة أنها سوف تمارس التملق والخداع. ثم هنالك الكسالى - أولئك الذين يختارون التلقين والسطحية والمعلومات التي تستحيل مناقشتها، بدلا من العمل الدؤوب والاجتهاد والجد والكد والسعي للحصول على المعلومات الصحيحة بقدر المستطاع. ومن المؤكد وجود الكثير من الحقد الخبيث المتعمد والبراعة والحرفية في تاريخ الصحافة.

لكن هناك العديد من الأعمال البطولية، تزيد كثيرا عما تعتقده غالبية المذاهب النقدية والمدارس الصحفية: جون تياس، مراسل "التايمز"، فضح الأعمال الوحشية التي ارتكبها البريطانيون ضد المتظاهرين في مانشستر عام 1819؛ وليام هوارد رسل، وصف حماقات الجيش البريطاني الخرقاء في القرم؛ وليام لينغ، كشف في "شيفلد تلغراف" الفساد والعنف في تلك المدينة (تعرض للتهديد مرارا إلى درجة اضطر فيها للاحتفاظ بمسدس مذخر على مكتبه، كما كان يرافقه شرطي عند عودته إلى المنزل كل ليلة)؛ ايملي كروفورد، خاطرت بحياتها بكل عناد لنقل ما يحدث في كومونة باريس (1871) إلى صحيفة "ديلي نيوز"، ثم فاجأت العالم بالسبق الصحفي حول مؤتمر فرساي لاحقا؛ نيللي بلاي، ادعت أنها تعاني من مرض عقلي لتدخل مصحة للأمراض العقلية وتكتب تحقيقا لصحيفة "نيويورك وورلد"، وصفت فيه الرعب والإرهاب والوحشية هناك، مما أدى إلى تحسين ظروف المرضى داخل المصحات؛ و.تي. ستيد، فضح دعارة الأطفال في "بول مول غازيت"؛ ايدا تاربل، وثقت في مقالاتها لصحيفة "مكلور" ممارسات الفساد والتخويف والتهديد في شركة "ستاندارد اويل" (1902 -1904)، وعبدت الطريق لحل الشركة فيما بعد.

ثم هنالك ايميلي مارشال، التي كسرت عدة حواجز ذكورية لتصبح أول مراسلة في صالة الصحافة في مجلس العموم، وأول مراسلة تعمل في صحيفتين: "ديلي ميل"، "وديلي اكسبرس"؛ وجون ريد، الذي روى ما حدث

خلال الثورة الروسية؛ ورونالد توماس من "نيويورك وورلد"، الذي نزع القناع عن منظمة "كو كلوكس كلان" ليظهر وجهها العنصري العنيف؛ وايليا اهرنبرغ مراسل "رد ستار" الذي كان أول من كشف معسكرات الإبادة النازية؛ ولا ننسى التقارير التي أرسلها جون هيرسي وويلفريد بيركيت من هيروشيما ودحضت الكذبة الرسمية التي تزعم عدم وجود شيء اسمه المرض الإشعاعي؛ والمعارضة الشجاعة التي أبدتها "الاوبزرفر" و"مانشستر غارديان" لغزو السويس عام 1956؛ والمتابعة العنيدة من قبل الصحافة البريطانية للخروقات الأمنية على أعلى المستويات في أوائل ستينات القرن العشرين؛ وفضح سيمور هيرش (الذي كان آنذاك شابا يعمل لحسابه الخاص) لمذبحة ماي لاي المرعبة عام 1968؛ وحملة "صنداي تايمز" لصالح الضحايا الذين فقدوا أطرافهم بسبب عقار التاليدوميد؛ وتحقيق كارل بيرنستاين وبوب ودوارد في قضية "ووترغيت" في صحيفة "واشنطن بوست"، الذي أثبت أن رئيس الولايات المتحدة كاذب وفاسد؛ ورفض روبرت فيسك القبول بخط حلف "الناتو" (أو خط أي مؤسسة رسمية)، عندما أرسل التقارير حول الصراع في كوسوفو إلى صحيفة "الغارديان" عام 1999.

هنالك أيضا أولئك الذين نقرأ أسماءهم بشكل عابر، لكن نادرا ما نتذكرها؛ الذين لم تقابل جهودهم لنقل المعلومات إلى مجتمعاتهم بالعقبات والقيود الرسمية أو الأجوبة المراوغة فقط، بل بالتهديد والوعيد والتخويف أو بأسوأ من ذلك. في كل سنة، يتعرض آلاف المراسلين للاعتقال أو التهديد، ويسجن المئات منهم، ويقتل العشرات. وهذا ما دعته الصحفية البيروفية سونيا غولدنبرغ بـ"الرقابة بواسطة الموت". في عام 1982 قتل تسعة صحفيين في شتى أرجاء العالم. في عام 1994، قتل ما لا يقل عن 103 صحفيين لأنهم بالغوا في الاقتراب من الحقيقة. وبحلول نهاية القرن، شهد كل شهر تهديد أربعين صحفيا، واعتقال عشرين، وسجن تسعين، ومقتل ثلاثة. وكان كل واحد منهم بمثابة إجابة حاسمة ومحددة لأولئك الذين يظنون - داخل وخارج المهنة - أن

الصحافة فرع من فن التسويق الذي ينظم التوافه ويضخم الترهات. فبرغم كل شيء، لن نجد سلطة قمعية تكلف نفسها عناء إعاقة، أو سجن، أو قتل المراسلين من أجل ذلك.

أخيراً، لا ننسى عشرات الآلاف من الصحفيين - المحليين غالبا - الذين لا يرضون بديلا عن اكتشاف النسخة الكاملة لحقيقة ما حدث في مناطقهم ثم إعلانها على الملأ. وهؤلاء لا يطمعون بذهب أو مجد، وليس ثمة سبب محدد يمنعهم من الحصول عليهما. لكنهم كالترياق المضاد، اجتماعيا ومهنيا، لأولئك الذين استبدلوا مصداقيتهم بالمرتب المرتفع أو الحياة السهلة المريحة.

كل هؤلاء المراسلين الأكفاء يشتركون في شيء ما. ولربما يخفونه جيدا تحت قناع الواقعية الصلب الذي يضعه الصحفيون بشكل إجباري، لكن المخلدين، والمضطهدين، والمهمشين منهم، يشتركون جميعا في اعتقاد واحد حول ماهية المهنة، يتمثل قبل كل شيء في التساؤل، ومن خلال التساؤل، يستهدف:

- اكتشاف ونشر المعلومة التي تحل محل الإشاعة والتخمين.
- مقاومة أو مراوغة السيطرة الحكومية.
- تثقيف وتنوير - وبالتالي تمكين - الناخبين.
- تصديع أركان سلطة أولئك الذين يعتمدون على حرمان الجمهور من المعلومات.
- تفحص الخطوات والإجراءات التي تتخذها الحكومات (أو تتقاعس عن اتخاذها)، والممثلون المنتخبون، والخدمات العمومية.
- تفحص الأعمال التجارية، ورجال الأعمال، ومعاملتهم للعمال والعملاء، وجودة منتجاتهم.
- مواساة المبتلين وإقلاق راحة المنعمين، وتوفير منبر للمهمشين الذين لا يسمع صوتهم عادة.

- وضع مرآة أمام المجتمع، تعكس فضائله ورذائله، إضافة إلى فضح زيف أساطيره وخرافاته السائدة.
- التأكد من أن العدالة تأخذ مجراها، والتحقيقات تجري حيثما تفتقد وتغيب.
- تشجيع التبادل الحر للأفكار، خصوصا عبر توفير منصة لأصحاب الفلسفات البديلة لتلك السائدة والمسيطرة.

إن كنت تستطيع قراءة بنود القائمة الآنفة بدون أن تشعر بالتأثر والتحفز، فلربما لا تناسبك مهنة الصحافة.

مواقف

تحقيق الأهداف المدرجة أعلاه، على الدوام، مهمة شاقة. فالفكرة الشائعة بين الغرباء عن الصحافة التي تشير إلى أن ما يحتاجه المراسل - أكثر من أي شيء آخر - هو القدرة على الكتابة الجيدة، لا تشكل سوى نصف مقومات المهنة. لأن المقدرة الأدبية مجرد جزء منها، وفي أغلب الأحيان ليست الجزء الأكبر. كما أن عمل المراسل الجيد ليس مسألة تتعلق باكتساب مجموعة من الخدع والأدوات، يتم اختيار المناسبة منها تبعا للظرف. فما يحتاجه المراسل لتحقيق النجاح هو المواقف الصائبة والشخصية الصادقة.

أهم معدات وأدوات المراسلين الصحفيين يحملونها في رؤوسهم. بعض المواقف فطرية، وبعضها الآخر يمكن اكتسابه بسرعة، لكن معظمها ينبني من خلال سنوات من الخبرة والتجربة - عبر البحث والكتابة، وإعادة البحث وإعادة كتابة مئات ومئات من القصص والتحقيقات والتقارير.

مهنة المراسل الصحفي هي من المهن التي تتعلمها من خلال ارتكاب الأخطاء. في الأسبوع الأول من اشتغالي في الصحافة، مثلا، كنت أعمل في صحيفة صغيرة تصدر في جنوب إنكلترا. ومن خلال توليفة جمعت حظي السعيد وتصميمي العنيد على إحداث تأثير مهم، وجدت قصة جيدة حول

تلوث الأنهار. ذهبت لإجراء البحث ثم هرعت عائدا إلى المكتب وأنا أحلم بالأوسمة التي ستنهال علي. لكن محرر الأخبار صاح عندما قرأ قصتي: "ما هذا بحق الجحيم؟ أين الأسماء؟". كانت الإثارة قد تملكتني إلى حد نسيت فيه أن أسأل عن أسماء الأشخاص الذين قابلتهم. صحيح أن القصة الإخبارية قد أتخمت بالشواهد والاقتباسات، لكنها مأخوذة عن "أحد السكان القلقين"، أو "أحد مهندسي المياه"، أو "أحد مفتشي السلامة والأمان".. الخ. ثم قضيت الساعات الأربع والعشرين التالية وأنا أحاول الحصول على أسماء المعنيين، ومقابلتهم مرة أخرى، وتصحيح الخطأ الذي ارتكبته. هيمنت القصة على الصحيفة ذلك الأسبوع. وما زلت أشعر بالامتنان لغلطتي الحمقاء حتى الآن. فقد تعلمت درسين مفيدين في الأسبوع الأول من عملي في المهنة. الأول هو أن الشواهد والاقتباسات لا تساوي الكثير بدون أسماء مرفقة بها، والثاني - والأهم - أن كتابة التقارير والتحقيقات الصحيفة مهمة بالغة الصعوبة. من الواضح أن الحماس والاندفاع لا يكفيان؛ أنت بحاجة أيضا إلى تبني المواقف الصائبة. الملاحظات التالية مهمة في هذا السياق:

إحساس حاد بالخبر

أنت بحاجة لهذا الإحساس - لأسباب ثلاثة. أولا، (بمعنى الإيجاب) معرفة مكونات القصة الإخبارية الجيدة والقدرة على إيجاد البؤرة الجوهرية للخبر من بين ركام التافه والغث. ثانيا، (بمعنى السلب) عدم إضاعة الوقت بمتابعة قصص وتحقيقات لن تؤدي إلى شيء مهم. عليك في أحيان كثيرة أن تسأل نفسك: "ما هي أفضل احتمالات هذه القصة؟ ما هي أقوى نقاطها الجوهرية إذا حصلت على كافة المعلومات التي أحتاجها؟". في بعض الأحيان تبين الإجابة أن القصة لن تكون مهمة. لذلك تجاهلها. ثالثا، إن كنت تفتقد الإحساس بالخبر، أو تملكه دون أن تستخدمه، فسوف تفوتك أشياء كثيرا وتخدع نفسك. خذ على سبيل المثال دونكومب جويل، مراسل "ديلي ميل" في أيامها المبكرة. فقد أرسل لتغطية خبر تدشين السفينة "البيون" في "تيمز ايرون

وركس" في لندن، وعاد إلى المكتب حاملا رواية منمقة رومانسية الأسلوب تؤكد أن المشهد كان" أقرب الأشياء إلى غروب الشمس بألوان الرسام تيرنر التي يمكنك وضعها في مخطوط". وحين كان يسلم التحقيق الصحفي، وصل خبر يقول أن ثلاثين شخصا غرقوا عند إطلاق السفينة. خرج محرر الأخبار عن طوره من شدة الغضب، فقال جويل: "حسنا، رأيت بعض الأشخاص يتخبطون في لجة الماء حين كنت أغادر المكان لكن..".

الهوس بالدقة

كمحرر أخبار، أقدر هذه السمة أكثر من جميع السمات الأخرى في المراسلين: هل أستطيع الاعتماد على عملهم والوثوق بدقتهم؟ أنت كمراسل، سرعان ما ستقدر قيمة سمعتك، واشتهارك بالدقة لا بالمبالغة، في الكلام المطبوع والمنقول، فإن خسرتها فسيصعب عليك استعادتها.

الدقة تعني ثلاثة أشياء. أولا، تسجيل وكتابة ما يخبرك به الناس حرفيا. ثانيا، التأكد من أن قصتك مطابقة لروح وجو الوضع أو الحدث وذلك مهما كانت أجزاؤها دقيقة وصادقة - الأمر الذي يعني إضافة الخلفية والسياق. ثالثا، الحذر من السقوط في فخ العادة الخطرة والشائعة والقول: "إذا حدث هذا، وحدث الأمر الآخر، فلابد أن يكون هذا الأمر الآخر صحيحا". لا ينبغي عليك أن تتمنى بل أن تحول تقريرك إلى حروف مطبوعة. فإن ظهرت أي فجوات في تسلسل الأحداث التي تنقلها، حاول العثور على الحلقة المفقودة بالضبط: لا تظنن أنه إذا وقع الحدث (آ)، ثم حدث شيء آخر، تبعه (ج)، فإن الحلقة المفقودة لا بد أن تكون (ب). فلربما لا تكون هي.

لا تضع افتراضات مسبقة أبدا

هذا ينطبق على الافتراضات كافة - بغض النظر هل اعتمدت على المنطق، أم التطابق، أم الحقيقة، أم البواعث. المشكلة الكبرى مع الافتراضات أن معظمها مصيب كما يتبين لاحقا: وهذا ما يجعلها خطيرة ومغرية. حاول

البقاء في الجانب المأمون، انقل ما تعرفه فقط لا ما تظن أنك تعرفه. وبهذه الطريقة سوف تتجنب الخطأ والزلل وعدم الدقة، والكذب والتضليل - أو الطرد من العمل.

هنالك حادثة شهيرة لمصور فوتوغرافي (يعمل لحسابه الخاص) قدم لإحدى الصحف البريطانية الجماهيرية صورة الأمير تشارلز وهو يطوق بذراعيه سيدة (ليست زوجته) في وقت عرف الجميع بأن زواجه لم يكن سعيدا. نشرت الصحيفة الصورة تحت عنوان يوحي بوجود علاقة رومانسية، لأن المحررين افترضوا مسبقا أن هذا ما يحدث. لكنهم كانوا مخطئين. فما لم يعرفوه أن الصورة التقطت خلال جنازة ابن المرأة الذي توفي بسبب اللوكيميا ولما يبلغ الرابعة من العمر. وكان الأمير يقوم بواجب يؤديه أي منا في وضع مشابه - كان يواسي الأم الثكلى.

لا تخف أبدا من أن تبدو بصورة المغفل

مهما بلغت درجة جهلك حسب ظنك، اسأل إن كنت لا تعرف؛ فإن لم تفهم اطلب تفسيرا واضحا. لا تقلق من أن يهزأ منك أحدهم. المراسل الأحمق فعلا هو ذاك الذي يدعي المعرفة والعلم، ويومئ برأسه علامة على الفهم خلال المقابلة بينما هو لا يفهم سوى جزء من الحديث، ثم يحاول كتابة القصة - ليجد أنه لا يستطيع. المكان الذي تظهر فيه جهلك هو حين تسأل الناس، لا على الورق حين تجلس لاحقا لكتابة القصة.

شكك في المصادر

الموقف العام الجوهري بالنسبة للمراسلين، بل لجميع الصحفيين، هو الاشتباه والتشكيك بالمصادر كافة. لمَ يبلغني هذا الشخص بهذه المعلومة؟ ما هو دافعه؟ هل يحتل موقعا يؤهله فعلا لمعرفة ما يزعم أنه يعرفه؟ الفصل السادس من الكتاب سوف يتناول هذه المسألة المعقدة.

حاول التخلي عن أحكامك المتحيزة

لا يمكنك أن تتخلى عن جميع معتقداتك الراسخة، لكن يتوجب عليك ألا تسمح لها عامدا متعمدا أن تؤثر في عملك. ينبغي على المراسلين الالتزام بالدقة عند نقل ما حدث، وليس رواية كل شيء من منظور أحكامهم المسبقة المتحيزة، مهما كانت متنورة وذكية ومثقفة حسب ظنهم.

ينطبق ذلك على الأحكام والآراء المسبقة المبتكرة حديثا إضافة إلى تلك القديمة. لا تدع الرأي الذي تشكل لديك في وقت مبكر من بحثك المبتسر يلون حكمك على القصة. فمن أكبر خطايا المراسلين، لا سيما أولئك الذين يطلب منهم كتابة رواية تفصيلية تصف الجو المخيم على الحدث، أنهم يكتبون المقدمة داخل رؤوسهم وهم في الطريق إلى إجراء المقابلة مع الشخصية المعنية. قد تكون المقدمة ذكية، وممتعة، ورشيقة الأسلوب، لكن في هذه الحالة سوف تخبر القراء معلومات عنهم لا عن الموضوع.

اعلمْ أنك جزء من عملية متسلسلة

يخضع المراسلون لما يريده المحررون. حاول استخدام شتى الطرق للجدال معهم، والصراخ في وجوههم، وإقناعهم بالحسنى، لكن عليك في النهاية القبول بقرارهم - أو ابحث عن عمل في مكان آخر. تلك هي حرفية المهنة. كذلك هو الانضباط والالتزام بخط صحيفتك ومواعيدها. العديد من المراسلين يظنون أن التأخر عن الموعد المحدد والمبالغة في التطويل من علامات الموهبة الأدبية. لكنهم مخطئون. فكل ذلك دليل على الغَرارة وافتقاد الخبرة والحرفية. كذلك هو حال المراسل الذي لا يتصل بصحيفته بانتظام، حين يخرج لإجراء تحقيق أو كتابة تقرير. لكن بمقدورك في أحيان كثيرة استخدام احتياجات الصحيفة لمصلحتك، وإعطاء الأولوية لتحقيقاتك وتقاريرك من خلال الحساب الدقيق لدورة إنتاج صحيفتك، ومتى تحتاج إليها، وهل تريدها موضحة بالصور ومدعمة بالرسوم البيانية والملاحظات الإضافية.. قبل تسليمها.

افهم وقدر مشاعر القراء

لولا القراء، لبقيت قصتك حبيسة الغرف المظلمة لا تجد من يسمعها سواك. لسوف يقرؤونها إن أخذتهم بعين الاعتبار - حين تكتب، وخصوصا حين تبحث وتحقق. ما الذي يريد القراء معرفته؟ ما الذي يحتاجون إلى تفسيره؟ وما الذي يثير اهتمامهم بالقصة؟ حاول العثور على الموضوعات والروايات المهمة، وبين كيف تؤثر الأحداث في حياة القراء، أو حياة الآخرين؛ استخدم الأمثلة والنماذج ذات الصلة بتجربتهم، وفوق كل شيء حاول رواية القصة بتعابير الناس الحقيقيين.

إرادة الفوز

سوف يدرك المراسل الجديد - عاجلا أو آجلا - حقيقة أن العالم ليس مصمما لكي تؤدي الصحف مهماتها بسهولة ويسر. فالأحداث تجري في أماكن خطرة وأزمنة غير مناسبة، حيث لا تتوفر - أو لا تعمل - الهواتف دوما؛ وإذا ذهبت للعمل خارج المدينة أو البلد فقد تستنفد نقودك، وطعامك، وشرابك، ووقتك، وطاقتك. أنت بحاجة لرغبة قوية وإرادة صلبة لمغالبة الظروف وتجاوز العقبات التي تعترض سبيلك، لذلك ركز على موضوع القصة وأرسلها إلى صحيفتك بأسرع ما يمكن. لكي تكون مثل ايد كودي مراسل "واشنطن بوست". في كتابه الممتاز "من سرق الخبر؟"، يروي مورت روزنبلوم قصة كودي حين كان في باريس في إحدى ليالي شهر كانون الأول/ ديسمبر 1988 ووصله خبر تحطم طائرة "بان أمريكان" فوق لوكربي، البلدة الصغيرة في اسكتلندا. كانت الساعة 8:20 مساء، وقد غادرت آخر الطائرات إلى بريطانيا. استأجر كودي طائرة وأقنع المحرر المسؤول في الولايات المتحدة بتغطية التكاليف، وبعد بضع ساعات كان المراسل في غلاسكو. تقع لوكربي على بعد ستين ميلا إلى الجنوب، وبحلول ذلك الوقت قطعت الشرطة كل الطرق المؤدية إليها. وبما يشبه المعجزة، وجد كودي سائق سيارة أجرة من أهالي البلدة، بواسطة معارفه واتصالاته المحلية. وانطلق إلى موقع الحدث. بل كان للسائق

صديق يملك حانة، تمكن كودي من الاتصال بواشنطن منها لإرسال قصته الإخبارية.

كان تحطم الطائرة، الذي أودى بحياة جميع ركابها البالغ عددهم 259، إضافة إلى أحد عشر آخرين قتلوا على الأرض، واحدا من أعظم الأحداث في الثمانينات. ولم يتمكن كودي من تحقيق السبق الصحفي في تغطية الحدث إلا لأنه امتلك إرادة الفوز. صحيح أنه عمل مع صحيفة كانت على استعداد لدفع مبلغ ستة آلاف دولار لتغطية تكاليف الرحلة الإضافية بالطائرة، لكن في معظم المناسبات لن تكلف الرغبة بالحصول على القصة مثل هذا المبلغ، ولسوف يجني منها المراسل مكاسب وجوائز عظيمة غالبا.

استشعر الحاجة الملحة

تريد الصحف من مراسليها بذل أقصى ما يستطيعون لإرسال أكمل وأسرع رواية للحدث. المنافسة الصحية - وأحيانا غير الصحية - للفوز بقصب السبق جزء من واقع - ومتعة - المهنة. كما أنها تخدم القراء جيدا، طالما لا تتجاوز القواعد والحدود.

التفوق على الوكالة المنافسة - مثلا - كان يحتل قمة أولويات مصوري وكالتي "اسوشييتد برس" و"يونايتد برس انترناشيونال"، الذين كلفوا بمهمة التقاط صور الدالاي لاما حين هرب من التيبت عام 1959. فكلتاهما استأجرت طائرة، ورتبت تجهيز الدراجات النارية للمصورين بحيث يلتقطون الصور من حدود الصين لإرسالها عبر أقرب جهاز بث في الهند. وحين ظهر الدالاي لاما من طائرته، انقض المصورون عليه، والتقطوا صورهم وهرعوا عائدين إلى طائرتهم التي كانت محركاتها دائرة. وبعد سباق خطر وسريع في الجو وعلى الأرض، كسبت وكالة "يونايتد برس انترناشيونال".

أصيب مصور "اسوشييتد برس" بصدمة مدمرة. عاد إلى غرفته في الفندق وجلس هناك، يفكر بالاتهامات المضادة، وعار الهزيمة. ثم تلقى برقية

من مكتبه: "صورة المنافسين للدالاي لاما تظهره بشعر طويل أشعث. أما في صورتك فهو أصلع. يرجى توضيح الأمر". ورد المصور قائلا: "الصورة التي التقطتها هي الحقيقية". ففي حمأة مسعاه للفوز بالمنافسة، التقط مصور "يونايتد برس انترناشيونال" صورة المترجم بدلا من الدالاي لاما!

لكن للمنافسة المقبولة حدودا. ومن المؤكد أن الصحفي السابق في "نيويورك بوست"، ستيف دنليفي قد بلغها - بل تجاوزها بمراحل. فحين كان شابا يعمل كمراسل، كان والده يعمل في صحيفة منافسة. وكلف الاثنان بمهمة واحدة، لكنه وصل أولا إلى موقع الحدث بعد أن ثقب إطار سيارة والده!

الفردانية

تستخدم حكومات مختلف بلدان العالم مزيدا من الأساليب المعقدة والمتطورة لإدارة أخبارها، والتحكم الصارم بالمعلومات التي توزعها، والمتلقين لها. في بعض الأماكن، تشمل إتاحة هذه القنوات انضمام المراسلين إلى نوع من "النادي"، الذي يحدد قواعد وقوانين السلوك "المسؤول"، ويهدد بالإقصاء وحجب المعلومات الرسمية عن كل من يخرج عن الخط المرسوم. هذه الحالة غير صحية، نظرا لأن من عادة المراسلين أحيانا التعاون مع بعضهم بعضا، والمشاركة في الاقتباسات والشواهد وأرقام الهواتف. لكن ينبغي على المراسلين الأكفاء أن يكونوا على أتم الاستعداد دوما للخروج على الإطار المحدد عند الضرورة، والذهاب إلى حيث لم يذهب أحد من قبل، وتحمل المسؤولية والانتقاد حين لا تسير الأمور كما يريدون. وأن يكونوا على استعداد للتخلي عن الطعام المهضوم مسبقا والمقدم بالملعقة الرسمية، لأنهم يعرفون بأن هنالك نكهة ألذ إذا بحثوا عن "الوجبة" بأنفسهم.

الشخصية

يمكن لأي إنسان ذكي، مع قدرة كافية على التطبيق، أن يتعلم كيف يصبح مراسلا مؤهلا. لكن إن أردت الارتفاع فوق هذا المستوى، لتغدو مراسلا جيدا

أو عظيما، يجب أن تتمتع بالموهبة الحقيقية والميل المتأصل للبحث، أو الكتابة، أو لكليهما معا. وعليك أن تمتلك النمط المناسب من الشخصية: فهذه السمة هي التي تميز المراسل المبرز من العادي.

أدين بفضل معظم ما أعرفه عن شخصية المراسل الحقيقي إلى رجل واحد. كان يصغرني بثمانية أعوام، ولم أعرفه إلا لعدد قليل من السنين قبل أن يختطفه الموت بسبب اللوكيميا ولما يبلغ الثانية والثلاثين من عمره، لكنني أعتبره أقرب نموذج قابلته للمراسل الكامل والمثالي. اسمه جون ميريت، وشغل منصب كبير مراسلي صحيفة "الاوبزرفر" اللندنية. تمتع هذا الشاب النحيل الحاد القسمات بكل الفضائل، ومعظم المثالب المطلوبة في المراسل العظيم. أول ما أدهشني في جون، حتى قبل أن أدرك عظمته كمراسل، حب الناس له. كان منفتحا، ودودا، وهزليا، لكن السبب الذي دفع الناس لمحبته هو اهتمامه بهم وإظهار ذلك عبر طبيعته الانبساطية. هذا لا يعني أنه طاف العالم وهو يرسم على وجهه تكشيرة جامدة، أو حاول عقد صداقات زائفة، أو رحب بالناس وكأنه مضيف في برنامج مسابقات تلفزيوني. لكن قدرته على تمتين أواصر الصداقات مع الغرباء شكلت عونا حقيقيا ومستمرا له. كان بمقدوره أن يشرب، ويدخن، ويشتم مع أصحاب الشخصيات الفظة والجلفة والودودة والدمثة على حد سواء، وحتى مع المطارنة يستطيع الجلوس وتناول الشاي والتحدث حول اللاهوت. ومهما كان رأيه بالشخص، يستطيع محاورته والشعور بالارتياح تجاهه ودفعه لمبادلته الإحساس ذاته.

تقنّع هذه الدماثة - إلى أن يرغب بكشفها - السمة النمطية لجميع المراسلين الأكفاء: التصميم. فقد صمم جون على العثور على القصص الإخبارية تبعا للمعيار الصحيح، وعلى قهر جميع العقبات، وتجاوز المراوغة والتأخير، وكل ما من شأنه أن يعرقل استكمال مقالته. كان تصميمه العنيد واضحا ومرئيا بشكل خاص حين يثبت أن معلومة ما يصعب الحصول عليها.

وفي هذه الحالة كان مستعدا للجلوس إلى مكتبه ساعات طويلة، يجري اتصالا إثر آخر، مجربا كل المصادر المستبعدة إلى أن يعثر على ضالته.

ما ساعده كثيرا أن هذا التصميم ترافق مع قدر كبير من الميزة العظيمة الأخرى الضرورية لمهنة المراسل الصحفي: الجرأة. فقد تمتع بالجسارة اللازمة للاتصال بكبار المسؤولين في منازلهم، ليطلب منهم نسخة من ذاك التقرير أو يسألهم معروفا حول هذه المعلومة مع أنه لم يلتق بهم من قبل. ولم تكن تسمع منه أبدا شكوى المراسل الضعيف حين يئن منتحبا: "أوه، لا فائدة من طلب ذلك، فلن يصغوا إلي". كان دقيقا في اختيار توقيت مقاربته، لكنه لم يكن يتردد في إجراء المكالمة المطلوبة. اعتاد أن يقول وهو يرفع سماعة الهاتف ليحاول مرة أخرى: "أسوأ احتمال هو أن يقول أحدهم: اغرب عن وجهي"، وكثيرا ما كانت الطريقة مجدية. لم يكن جون يخاف من الطلب والسؤال أبدا.

كما لم يكن يخشى من المسؤولين الكبار في السلطة أو الحكومة (أو تهديداتهم على الأقل)، ولم يكن ذلك نتيجة الغطرسة (وكان لديه منها الكثير آنذاك)، بل العاطفة الجياشة والإحساس بغياب العدالة، وهي مشاعر جلبها معه إلى العمل. لم يكن جون قديسا (وكل من خالفه الرأي في المكتب سرعان ما اختبر كلماته الجارحة)، لكنه أبدى اهتماما عميقا بضحايا المجتمع والحكومات. اعتبر ذلك جزءا رئيسا من عمله، وكان صوت من لا صوت له.

بالنسبة له، لم تكن النزاهة تعني الحيادية واللامبالاة؛ ولا التمنيع ضد الاهتمام بالأخطاء في المجتمع. لقد آمن بضرورة أن يلهم الغضب والإحساس بالظلم الصحفيين دائما، وأن يسترشدوا بهديهما في أحكامهم حول الموضوعات التي سيتعاملون معها، وفي تمكين الاستقصاءات التي يجرونها حتى النهاية. كان بمقدور جون كتابة قصص إخبارية خفيفة، لكنه تميز في تحقيقاته وقصصه الصحفية حول ضحايا التعذيب في شتى أرجاء العالم، وحول المشردين واستغلالهم من قبل الملاك الجشعين، والظروف المرعبة التي

يعيش فيها المتخلفون عقليا في بلدان مثل اليونان. لكنه ظل دائما مهنيا محترفا - ولم ينس أبدا الفارق المميز بين القصة والموعظة.

تمتع أيضا - إلى درجة طاغية أحيانا - بالحماسة. فمن السهل أن يثير الحدث المهم أي مراسل، لكن اختبار معدنه يتجلى في الشهية لاستخلاص المهم من قصة لا تبدو أنها واعدة. كان جون يملك هذا الحماس، وعلى أتم الاستعداد للقدوم إلى مكتبه مبكرا ومغادرته متأخرا إذا دعت الضرورة. ولم يقتصر ذلك على المكتب فقط. فالصحفيون الذين يأتون في أخر لحظة لحضور اجتماع أو مؤتمر صحفي أو أي مناسبة يكلفون بتغطيتها، ثم يغادرون في أول فرصة، ربما يظنون أن هذه هي طريقة المحنكين المتمرسين، لكن الأمر ليس كذلك. فكثيرا ما يحصل المراسل الجيد على ما يريد عند التواجد في وقت مبكر من الاجتماع، أو التريث بعد انتهائه والتحدث مع المسؤولين.

ثم هنالك فضوله الملح. كان يطرح الأسئلة باستمرار، ويبدى اهتمامه بأي شيء وكل شيء. أراد استكشاف أسباب سيرورة الأمور على هذا النحو، وماهيتها، ولماذا تعمل، أو لا تعمل. وحيثما ذهب، لم يتوقف عن طرح الأسئلة. ولربما وجد قصة مهمة وسط ميدان خاو عقيم.

المراسل العظيم

إذا أردنا اختيار تقرير صحفي يمثل في جودته وتأثيره أفضل ما في الصحافة، فلا مانع من العودة قرنا وربع قرن من الزمان، إلى بلدان وسط أوروبا التي مزقتها المزاعم والدعاوى القومية وأعمال العنف المنهجية المنظمة. وأي تشابه فيما يلي مع الأحداث المعاصرة في ذلك الجزء من العالم ليس مصادفة بالتأكيد. بدأت القصة بمزاعم تشير إلى ارتكاب أعمال عنف وحشية، ورافقتها أكاذيب أطلقتها - بالتزامن - عدة حكومات، ورقابة على الأخبار، وإمبراطورية تحتضر. تورطت في القضية تركيا، وروسيا، وبريطانيا، وبلغاريا الوليدة، واستمرت الأزمة مع انتشار أنباء عن أعمال بطولية، ثم اندلاع

حرب، وانتهت بإنشاء عدة دول جديدة، وإعادة رسم خارطة أوروبا. أما الشخص الذي جمع كل هذه الأجزاء التي لا تجمع فكان مراسلا أمريكيا من أصول ايرلندية يعمل في سان بطرسبرغ، اسمه جانيواريوس الويسيوس مكغاهان.

حتى بمعايير المغامرة السائدة في أيامه، كان مكغاهان باحثا من الطراز الأول عن قصص الإثارة الصحفية. ففي عصر كان المتابع السريع لأحداث العالم يستخدم الحصان والسفينة البخارية، أرسل مكغاهان - بخلال خمس سنين - تقاريره من كوميونة باريس (حيث سجن)، ومن بلاط القيصر في سان بطرسبرغ، ومن وسط آسيا، وكوبا، والقطب الشمالي، والقوقاز، والبيرينيه. اشتهر مكغاهان بنزاهته وبصره الثاقب، ولم يكن يتجنب التحدي. في عام 1875، أبحر في المياه القطبية المتجمدة بزورق خشبي، وتحدى قبل سنتين حظرا روسيا على المراسلين الأجانب، ليقوم برحلة مشهودة في سهوب آسيا الوسطى. كان هدفه اللحاق بالحملة العسكرية الروسية المتجهة إلى تركستان. طارده فرسان القوزاق مسافة ألف ميل تقريبا، لكن بعد تسعة وعشرين يوما، وصل إلى المعسكر بصحبة مرافقين اثنين، بعد أن اضطر أحيانا لأن يخوض حتى الركبتين في الرمال، كما ضل طريقه عدة مرات. واحتلت سمعته المدوية، وموثوقيته، وشجاعته عناوين الأخبار في كل مكان.

بحلول صيف عام 1876، كان هذا المراسل الشاب (32 سنة) في لندن مع زوجته المولودة في روسيا (باربرا) وابنه الصغير. وخطط لتأليف كتابه الثالث وأخذ قسط من الراحة. لكن استرخاءه لم يدم طويلا. فقد اتصلت به "ديلي نيوز" وهي صحيفة لندنية ليبرالية بارزة، وكلفته بمهمة عاجلة.

كانت الصحيفة في مأزق. فقد نشرت قبل يوم أو يومين، في 6/23، تقريرا لمراسلها في الأستانة، السير ادوين بيرز، اعتمد على إشاعات تزعم ارتكاب الجيش التركي أعمال عنف وحشية في جنوب بلغاريا ضد السكان المسيحيين. غضب مسؤولو وزارة الخارجية البريطانية غضبا شديدا، وكذلك

رئيس الوزراء المؤيد للأتراك، بنجامين ديزرائيلي، الذي وصف التقارير بأنها "ثرثرة المقاهي"، وأنكرها تماما، واتهم الصحيفة علنا بنشر تقارير كاذبة، إضافة إلى التهمة المعيارية القديمة التي يوجهها السياسيون لوسائل الإعلام: "اللامسؤولية". الترك من جانبهم أنكروا التهمة كلية بعد أن فرضوا رقابة شاملة على أخبار الأحداث.

الآن، توجب على "ديلي نيوز" إثبات صحة اتهاماتها، أو التراجع وتحمل الإذلال. لذلك أرسلت في طلب مكغاهان وكلفته بمهمة اكتشاف الحقيقة في بلغاريا. وبحلول أوائل تموز/يوليو، كان في الطريق إلى هناك؛ وفي أواسط الشهر وصل موقع الحدث، ليحقق ويقابل مئات الناجين. وما اكتشفه تجاوز حتى تخيلاته الجامحة: مذبحة جماعية وحشية راح ضحيتها اثنا عشر ألفا من الرجال والنساء والأطفال البلغار.

في أولى رسائله الإخبارية التي نشرت في "ديلي نيوز" (1876/7/8)، كتب يقول: "أظن أنني أتيت إلى هنا وأنا في حالة ذهنية تتسم بالصفاء والنزاهة.. أخشى أنني لم أعد نزيها ومتجردا، ومن المؤكد أنني تخليت عن الهدوء والاعتدال..". أما أهم وأبلغ ما رواه تعبيرا فأتى من قرية باتاك. وبالرغم من ملاحظاته حول النزاهة والتجرد، إلا أن روايته لما حدث تجسد نموذجا يحتذى للتحقيق الصحفي المعتمد على الحقائق، لا العواطف، الذي يعتبر أكثر أشكال الصحافة فاعلية وتأثيرا.

كانت حقول القمح والجاودار الصغيرة متناثرة على التلال، وقد اكتست السنابل الناضجة بلون الذهب. وبالرغم من أن المحصول قد نضج وفات أوان حصاده.. إلا أننا لم نجد أثرا لأي مزارعين يحاولون إنقاذه. كانت الحقول مهجورة، مثلها مثل الوادي الصغير، وتعفن المحصول في التربة.

.. في نهاية المطاف، وصلنا إلى نجد صغير على سفح التل.. توجهنا نحوه بقصد عبوره، لكن توقفنا فجأة وقد تملكنا الرعب، فقد شاهدنا أمامنا مباشرة، قرب حوافر خيلنا، منظرا تقشعر له الأبدان. كومة من

الجماجم المختلطة مع عظام من جميع أجزاء الجسم البشري، هياكل عظمية، وملابس متعفنة، وشعرا آدميا، وأوصالا مقطعة مكومة هناك، والرائحة النتنة تزكم الأنوف، بينما نبت العشب النضر حولها.

.. في وسط الكومة أمكنني تمييز هيكل عظمي ضئيل ما زال مرتديا قميصا، في حين لف الجمجمة وشاح ملون، وغطى الكاحلين جوربان مزركشان من النوع الذي ترتديه الفتيات البلغاريات.

.. على الطرف الآخر من الطريق رقد هيكلان عظميان لطفلين وقد اخترق الجمجمتين الصغيرتين سيف مريع.. وحين اقتربنا من وسط البلدة، زادت أكوام العظام، والجماجم، والهياكل العظمية. لم نشاهد منزلا لم نجد أمام خرائبه بقايا بشرية، بينما امتلأت الطرقات بها.. الكنيسة الصغيرة محاطة بسور حجري منخفض يطوق فناء لا يزيد عرضه عن خمسين ياردة وطوله عن خمس وسبعين. لم نلحظ في البداية ما يثير.. لكن عند تفحصه اكتشفنا أن ما بدا كتلة من الحجارة والنفايات كان في الحقيقة كومة هائلة من الأجساد البشرية المغطاة بطبقة رقيقة من الحجارة.

.. قيل لنا إن ثلاثة آلاف شخص يرقدون هنا في فناء الكنيسة فقط.. هنالك أيضا رؤوس صغيرة سحقت بحجارة ثقيلة؛ وأقدام لا يزيد طولها عن الإصبع احترق جلدها بفعل حرارة لاهبة قبل أن يتحلل؛ وأذرع ممدودة لأطفال رضع كأنما تستجير؛ وأطفال قضوا بعد أن أذهلهم لمعان السيوف بأيدي الرجال القساة المتوحشين المخضبة بالدماء؛ وآخرون ماتوا رعبا وذعرا؛ وفتيات ذبحن وهن ينتحبن ويتوسلن ويطلبن الرحمة؛ وأمهات قتلن وهن يحاولن حماية أطفالهن بأجسادهن الذاوية.. كلهم يرقدون هناك معا، في كتلة مريعة متفسخة.

الصمت يسود المكان الآن. لا دمع ولا بكاء، لا انتحاب ولا زعيق، لا صراخ من الرعب، ولا توسل للرحمة. المحاصيل تفسد وتتعفن هناك في الحقول، وأجساد الحاصدين تتفسخ وتبلى هنا في فناء الكنيسة.

تقارير مكغاهان (التي أعيد نشرها في مختلف أرجاء العالم، ثم طبعت في كتيب بلغات عديدة) فجرت على الفور تفاعلات متسلسلة أصدرت دويا هائلا. وفي خضم مشاعر السخط والنقمة التي عمت العالم، اضطرت الحكومة البريطانية للاعتراف بالحقيقة، ومارست الضغط من أجل التدخل العسكري، وفي ربيع عام 1877 شنت روسيا حربا على تركيا.

وصل ثمانون مراسلا لتغطية أخبار الحرب من الجانب الروسي، لكن الحملة كانت صعبة إلى درجة أنه لم يتبق من المراسلين الأصليين في الميدان عند نهايتها قبل مرور سنة واحدة، سوى أربعة فقط. وكان مكغاهان بالطبع واحدا منهم. ذهب إلى الجبهة وقدمه في الجبس بعد أن أصيب نتيجة سقوطه. لكنه تجاهل ذلك، إضافة إلى حادثين آخرين نتجت عنهما إصابة خطيرة، وتابع إرسال تقاريره، ومراقبة القتال من فوق عربة مدفع. بعد ستة أشهر (عقدت خلالها معاهدتان)، ظهرت إلى الوجود دول بلغاريا، وصربيا، والجبل الأسود، ورومانيا، كما توسعت حدود روسيا، واحتلت بريطانيا قبرص.

لكن مكغاهان توفي قبل أن يروي كل ذلك. فبعد نهاية الحرب ببضعة أسابيع ذهب إلى الآستانة لزيارة صديقه، فرانسيس غرين، المريض بالتيفوئيد. نجا غرين، وأصيب مكغاهان بالمرض، وتوفي بسببه في 1877/6/9، عن عمر ناهز الرابعة والثلاثين. دفنه البلغار، الذين أطلقوا عليه لقب "المحرر"، في بيرا، وأقيمت القداديس على روحه - كما قيل - في سان بطرسبرغ، وعم الحزن على وفاته لندن وباريس وأمريكا. وأقيم له تمثال في صوفيا، وظلت مراسم تخليد ذكراه تقام لعدة سنين (عبر قداس سنوي لراحة نفسه) في تيرنوفا.

بعد خمس سنوات نقلت سفينة حربية أمريكية جثمانه إلى نيويورك، حيث سجي في مبنى البلدية، ثم نقل إلى مثواه الأخير في نيوليكسنغتون (بولاية اوهايو). أما زوجته، التي عملت مراسلة (روسية) لصحيفة "نيويورك هيرالد"، فقد عبرت المحيط مع جثمان زوجها، وأصبحت مراسلة (أمريكية) لصحيفة

تصدر في موسكو ("روسكايا فيدموستي"). وفي وقت لاحق من تلك السنة، أكد تحقيق رسمي (اعتمد النزاهة الهادئة والتجرد وإدراك الحدث بعد وقوعه) صدقية كل ما كتبه مكغاهان من ميادين القتل والفوضى في بلغاريا. فالصحافة العالمية الشاملة ليست مفهوما جديدا.

"كلما وجدت المئات والآلاف من الحكماء يحاولون الخروج من مكان، وعصبة صغيرة من المجانين تحاول دخوله، تعرف أن العصبة مكونة من المراسلين الصحفيين".

هـ. ار. نيكربوكر.

2

حدود الصحافة وقيودها

"الصحف يملكها أشخاص وشركات، لكن حرية الصحافة يملكها الناس".

كاتب مجهول

ينبغي على كل صحيفة يومية أن تضيف إلى كل عدد بيانا تتنصل فيه من المسؤولية. ويمكن أن يتخذ الصيغة التالية:

هذه الصحيفة، ومئات آلاف الكلمات المتضمنة فيها، أصدرتها بخلال خمس عشرة ساعة مجموعة من البشر الخطائين، الذين عملوا في مكاتب مزدحمة وهم يحاولون اكتشاف ما حدث في العالم، من أشخاص يحجمون أحيانا عن إبلاغنا بالمعلومات، وأحيانا أخرى يوصدون الأبواب في وجوهنا.

هنالك حدود للعملية الصحيفة. الافتقار إلى الوقت الكافي، وعدم توفر المعلومات، يمثلان مشكلة متوطنة. إضافة إلى الأخطاء التي يرتكبها الصحفيون عندما يتعرضون لضغوط العمل. ثمة حدود أيضا تقيد الصحافة الجيدة يوجدها الصحفيون أنفسهم وأولئك الذين يسيطرون على الصحف أو يملكونها. ومن أكبر أساطير المهنة أن تغطية الأحداث تصاغ تبعا لأسلوب الصحيفة وقيمة الخبر. هل الأمور على هذا القدر من البساطة؟ في الحقيقة،

تتشكل جودة وطبيعة حرفية الصحيفة المهنية أيضا بواسطة أولويات أصحابها، والثقافة الصحفية السائدة، وقيم القراء المدركة. وكثيرا ما يحتدم الصراع بين هذه العناصر.

أولويات أصحاب الصحف

قد يتملق أصحاب الصحف مفاهيم الحقيقة، والشفافية، والفضيلة، لكنهم على وجه العموم يعتبرون الصحافة عملا تجاريا يدر المال أو يبث الدعاية (أو كلا الأمرين معا). أما طريقة أولئك المتحكمين بإنفاق الصحف لاستخدامها من أجل الدعاية فقد ثبتت بالأدلة بحيث لا تحتاج إلى تكرار ذكرها هنا بكل تفاصيلها المريعة. ويعتبر ترويج آرائهم، وإقصاء الآراء المعارضة، والتغطية المحرفة لتناسب وجهة نظر معينة أو مصالح تجارية خاصة، والانتقام الشخصي، من الموضوعات الرئيسة في تاريخ الصحافة.

هنالك مثال واحد يكفي لإثبات ما قلناه: وليام راندولف هيرست(*)، قطب الصحافة الأمريكية، تصرف طيلة حياته وكأنه لم يتعرف على الأمانة والاستقامة بشكل كاف. فهو الذي عرض مالا على الأستوديو الذي أنتج فيلما سينمائيا مستمدا من قصة حياته (بعنوان "المواطن كين")، لإتلاف الأصل وجميع النسخ قبل التوزيع. وحين فشل في مسعاه، دفع كاتبة عمود الفضائح، لويلا بارسونز، إلى الاتصال بالمسؤولين عن الأستوديو والموزعين، وتهديدهم بفضح تفاصيل حياتهم الشخصية. أكدت لويلا: "يقول السيد هيرست إذا أردتم فضح الحياة الخاصة، فسيعاملكم بالمثل".

لا توجد بينة توضح موقف هيرست تجاه الصحافة، ومواقف العديد من أصحاب الصحف عبر السنين، مثل تلك البرقيات المتبادلة عام 1898. كان

(*) (1863-1951): ناشر أمريكي شهير بنى أعظم إمبراطورية صحفية في العالم، ضمت 28 صحيفة كبرى. (م)

هيرست متلهفا - لأسباب شخصية وسياسية وأخرى تتعلق بالتوزيع - على اندلاع حرب بين أمريكا وإسبانيا حول كوبا. وعملت صحيفته الرئيسة، "نيويورك جورنال"، على نشر قصص مزورة وشوفينية، تحت عناوين مثيرة وفظيعة ومحرفة ("إطعام الأسرى لأسماك القرش"، و"أسوأ إهانة للولايات المتحدة في تاريخها"..). كما بعث مراسليه في كل أنواع المهمات والمغامرات الطائشة للعثور على دليل يثبت "الأعمال الوحشية" التي ارتكبها الأسبان. الذين تمتعوا بالأمانة والاستقامة من هؤلاء لم يرسلوا شيئا (وتأثرت حياتهم المهنية)، في حين استخدم آخرون مخيلتهم. كان من الفئة الأولى رسام يدعى فريدريك ريمنغتون. فحين وجد كل شيء هادئا ولا أثر لسفك الدماء، أرسل برقية إلى هيرست، قال فيها: "لن تندلع أي حرب. أرغب في العودة". لكن هيرست رد عليه بالقول: "أرجو أن تبقى. زودني بالصور، أزودك بالحرب". وفعل ذلك، عبر نشر سلسلة من القصص المحرفة والملفقة.

(كثيرا ما كانت غرابة الأطوار أيضا معلما بارزا لصاحب الجريدة. الكولونيل روبرت مكورماك، صاحب "شيكاغو تريبيون"، أمر مراسله في باريس، وليام شيرر، بالذهاب إلى الريف الفرنسي لمحاولة العثور على نظارة تركها في هُرّي قبل تسع سنين. لكن البطل اللامع في هذا السياق كان جيمس غورون بينيت [الابن] .إذ لم يكتف بالإصرار على أن تطبع صحيفته، "انترناشيونال هيرالد تريبيون"، تقرير حالة الطقس ذاته مدة أربع وعشرين سنة فقط، بل دخل ذات مرة مكاتبها وطرد كل الموظفين الذين يقفون على جانب الغرفة الأيمن، إضافة إلى ناقد موسيقي بسبب شعره الطويل، كما احتفل برأس السنة الجديدة [1877] في منزل ذوي خطيبته حيث بال في الموقد ثم بارز شقيقها).

تحولت ملكية الصحف هذه الأيام إلى الشركات والمؤسسات، وانحصرت متطلبات دعايتها على الأرجح ضمن نطاق دعم وتأييد أحزاب سياسية

معروفة، والتودد إلى السياسيين القادرين على محاباتها (أو انتقاد أولئك لا يستطيعون ذلك)، ونشر القصص التي تدعم وتساند مصالحها التجارية. وكقاعدة عامة، تعتبر الشركات المالكة للصحف أقل اهتماما بالدعاية مقارنة بالمالكين الأفراد، وبعضها لا يظهر سوى اهتمام بسيط بافتتاحيتها إلا إذا أدت إلى تنفير المعلنين. وما تركز عليه كثيرا هو مضاعفة هوامش أرباحها إلى أقصى حد، وبشكل ملح إذا جرى تمويل ديونها من قبل الأجانب. عنى ذلك خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين تركيزا على تقليص النفقات، وتخفيضا حادا - خصوصا في حالات الاحتكار - في كوادر العاملين في التحرير. وتجربة إحدى الأسبوعيات الإقليمية التي قمت بتحريرها ذات مرة، حيث خفضت العاملين في قسم الأخبار من 21 مراسلا إلى أقل من عشرة، شائعة ومشتركة.

كانت النتيجة كارثية فيما يتعلق بالتغطية ومراقبة تصرفات المسؤولين. في حالة تغطية أخبار السلطات المحلية مثلا، ثم التخلي عن الممارسة السابقة المتمثلة في تعيين مراسل لمتابعة عمل كل من الأقسام والإدارات الحكومية (التعليم، مرافق الرياضة والاستجمام، الصحة البيئية، الخدمات الاجتماعية.. الخ). وبإضافة انتشار وتزايد إدارات العلاقات العامة في المجالس المحلية، والسلطات الصحية.. الخ، يصبح لدينا "وصفة" للتغطية، تكون عشوائية في أفضل الأحوال ومكررة للنسخة الرسمية في أسوأها. لقد أدى هذا التخفيض في عدد العاملين، وتوقع مزيد من التقارير والتحقيقات من كل مراسل مقارنة بالوضع سابقا (كثيرا ما تحول ذلك إلى معايير نصف ناضجة لقياس "مخرجات" المراسلين)، إلى عدم إدراك العديد من المراسلين، الذين يمضون الآن أياما عديدة وراء مكاتبهم معتمدين على الهاتف، لتجارب الذين سبقوهم - بجيل واحد فقط - والذين اعتادوا بشكل روتيني النزول إلى الشارع والاتصال بمصادر المعلومات (والقراء) بحثا عن القصص الإخبارية المهمة. وإذا بدا ذلك حنينا إلى الماضي التليد، فانظر حواليك في غرفة الأخبار، وتخيل أن

عدد الموظفين قد تضاعف، وفكر كيف ستتغير التغطية (وحياتك في العمل). لقد فرضت أولويات أصحاب الصحف على الأرجح مزيدا من القيود والحدود على كيفية ممارسة الصحافة، مقارنة بأي عامل آخر خلال السنوات العشرين السابقة.

الثقافة الصحفية

تحدد هذه الثقافة ما يعتبره المحررون ورؤسائهم قصة إخبارية جيدة، أو ما يرفضونه بوصفه "مملا"، وتقرر الموضوعات التي يعتقدون أنها "مثيرة"، وتلك التي تفتقد الإثارة. كما توجد الجو الأخلاقي للصحيفة، وبالتالي فهي مسؤولة عن المبادئ الأخلاقية التي تستخدم يوميا في الصحيفة أكثر من أي وصايا نظرية.

في هذه الثقافة، تعتبر "حاسة شم الأخبار" المهارة التي تحظى بأكبر قدر من الإعجاب. ويمكن لهذه أن تكون قدرة حقيقية على رؤية المعنى والأهمية فيما قد يتجاهله الآخرون، أو (في شكلها المتدني) أسلوبا بارعا لتقديم الدنيوي المبتذل بوصفه أمرا خارجا عن المألوف. خدعة الشعوذة الصحفية هذه تمارس من خلال إقصاء السياق، مثلما فعل محرر "نيويورك ديلي بوست" في أوائل الثمانينات، حين ملأ الصفحة الأولى بالأخبار (في يوم لم يشهد أحداثا مثيرة) بعد أن طلب من المراسلين جمع تفاصيل كل جنحة ارتكبت في المدينة، ثم ضمها معا في قصة واحدة متواصلة تحت عنوان: "الأذى المتعمد في شوارعنا".

من ملامح هذه البراعة المضللة إضافة سلسلة واسعة من الأجزاء الصادقة إلى كلٍ كاذب جملة وتفصيلا. والإعجاب بها لا يقتصر على صحف الإثارة الصغيرة الحجم (التابلويد) حيث انطلقت أصلا، بل تمارس تأثيرا واسعا على ما يعتقد أنه سلوك ذكي وماهر في كل أنواع الصحف. أسلوب التحايل على الحقائق والمعلومات المختارة بدقة وعناية، التي تقدم خارج سياقها الصحيح، كثيرا ما يستنسخ في الصحافة، وإن بصيغة أكثر اعتدالا. جزء من هذه المشكلة التي يتعذر تجنبها يعود إلى أن أي حقيقة واقعية، وهي

بطبيعتها مشوشة ومعقدة، يجب تبسيطها، أو على الأقل فرض لغة محددة وتساوق معين عليها، حين تنقل بواسطة الكلمات. لكن كثيرا من الصحف تهمل السياق عامدة متعمدة وتضاعف دون وجه حق هذا التأثير من أجل تحريف الحقيقة وتقديمها بطريقة دراماتيكية. ثم تتم العملية بعد وقت قصير بشكل غير متعمد ولا مقصود.

تقدر ثقافة الصحف الجماهيرية أيضا قيمة السرد السطحي السهل. صحيح أن فيه شيئا من الموهبة، لكنه يشمل "مط" الحقائق ومعنى الكلمات لتشييد بنية استحواذية. ومن أكثر أشكاله شيوعا تزويد القصة بمقدمة مضللة من خلال استنتاج احتمال دراماتيكي مزيف (ومبالغ فيه على الأرجح) من بعض العناصر. الكلمات المتفشية هنا تشمل "ربما" و"قد" و"يمكن" و"يزعم". ومثلما هي الحال مع خدع الشعوذة التي أشرنا إليها آنفا، يتم التسلل خلسة بطريقة يقدم فيها نوع من الدفاع المعقول لكل مكون يستخدم. لكن المقالة الختامية تظل مجرد كذبة. ولا تعتبر عملية الكتابة والتحرير في الصحف "النوعية" الأكثر جدية متحررة من هذا الفساد. وهي هنا تنطلق من مكاتب المحررين الذين يتحدثون عن "رواية القصة من خلال آلاتهم" لـ"تدعيمها وتقويتها". كثيرا ما تستفيد القصص الإخبارية من مثل هذه الأساليب، لكنها تعادل، وتقبل علنا باعتبارها، وضع طبقة براقة على القصة، ومد وتوسيع مضامين كل حقيقة إلى الحد الأقصى، وبالتالي إنتاج صورة إجمالية مضللة.

ما يفعله المحررون اليوم يمكن أن يقوم به المراسلون غدا. فالمراسلون المتنافسون على نشر قصصهم الإخبارية وتقاريرهم يتوقعون من رؤسائهم أن يكونوا مستعدين لتبني الممارسات المتناقضة مع قيمهم، أو تثمينها عاليا (أو الالتزام بها). هذا الفصام الشيزوفراني المهني يبلغ درجة مزمنة حين تحابي الثقافة السائدة/ وتفضل القصص المؤلفة من اللونين الأسود والأبيض، دون لون الحقيقة الرمادي وشكلها المبهم وطبيعتها الوسطية.

تفضل الصحافة كلها - إلى مدى معين - هذه القصص. ومن المؤكد أن حقيقة قصة تدور حول (آ) الذي يخدع (ب) بوثائق مزورة، ثم يستخدم المكاسب التي جناها بخداعه ليعيش في الكاريبي، تظل أشد إثارة بالنسبة لنا جميعا، مقارنة بأخرى تدور حول نزاع حصل بين (آ) و(ب) على صفقة، فكلاهما يزعم تعرضه للخديعة، لنتبين أن الرحلة إلى البلاد ذات المناخ الأكثر دفئا مجرد زيارة عمل لمراجعة الحسابات المالية هناك. ومهما كانت اللغة، أو الصحيفة، ستنال القصة الأولى الأفضلية على الثانية. فهي أكثر خروجا على المألوف ولأخبارها قيمة أعظم كما هو واضح. المشكلة تكمن في أن هذه الأفضلية اتخذت صيغة رسمية واخترقت الثقافة الصحفية. ويمكن للمراسلين والمحررين، وقد عرفوا أن أبسط قصص الأسود والأبيض أشدها إثارة للمسؤولين عن التحرير، أن يبحثوا عنها ويتجاهلوا تلك الأكثر مراوغة وتعقيدا وبالتالي واقعية بالتأكيد. الأسوأ هو الطريقة التي يمكن فيها للرأي المتعلق بما يكوّن "القصة الجيدة الواقعية" أن يؤثر في البحث والكتابة ويجرد القصة من توازنها. هنالك ميل لا شعوري للتوقف عن طرح الأسئلة في المرحلة الواضحة والبسيطة. أما النصيحة الهازلة المضحكة للعديد من محرري الأخبار فهي: "لا تدقق كثيرا".

ولا يبعد خطوة كبيرة عن ذلك اعتبار الخبر شيئا يجب توضيبه وتغليفه ليتواءم مع وصفة أو صيغة معدة مسبقا. في الصحف الجماهيرية على وجه الخصوص، يصمم المحررون على قصص إخبارية من نوع معين - قصص خفيفة سطحية، أو مثيرة تحبس الأنفاس، أو دراماتيكية. يسمع المدراء قصة في المراحل المبكرة، ويقررون العنوان الرئيس أو أسلوب معالجتها، ثم يقومون (أو يقوم المراسلون) بترتيب الحقائق أو معالجتها لوضعها ضمن قالب الصيغة المحددة. إنها صحافة العنوان الرئيسي، التي تقدم للقارئ عالما لا يحدث فيه إلا الغريب والخارج عن المألوف والاستثنائي، عالما لا يوجد فيه إلا المؤكد والبسيط، والصواب والخطأ، والقوالب المنمطة فقط.

تلك هي حدود وقيود العملية الصحفية من المنظور الأشد تطرفا. فالعديد من الصحف لا تصل إلى هذا الحد، لكن تلك التي تفعل، وأولئك الصحفيون العاملون في الصحف الأخرى الذين تشربوا بجزء من هذه الثقافة، لديهم جواب معياري واحد للاعتراضات: القراء. لا تستحضر جماعة أخرى من الناس بمثل هذه الوتيرة للدفاع عما لا يمكن الدفاع عنه لولاها. ولا توجد جماعة أخرى من الناس يجري الاستخفاف بشهيتها وذوقها بمثل هذا الانتظام والعناد، ولا التقليل من أهمية مفرداتها وذكائها بمثل هذا الأسلوب الاستعلائي. "حان وقت الذهاب لكتابة مائتي كلمة لأولئك الذين يحركون شفاههم عند القراءة"، على حد القول الذي يردده كثيرا أحد مراسلي صحف الإثارة (التابلويد) في بريطانيا.

قيم القراء

القراء هم الذين يتم باسمهم اختيار القصص والموضوعات والتقارير، ومعالجة الأخبار، وكتابة المقدمات وإعادة كتابتها، وتنفيذ العروض والتصاميم. لكن من بين جميع العناصر المتعارضة في الصحافة - أولئك الذين يوفرون المعلومات المحتملة (المصادر)، والذين يقومون بمعالجتها (المراسلون، المحررون، أصحاب الصحف أو المتحكمون فيها)، والذين يستهلكونها (القراء) - يعتبر القراء العنصر الوحيد الذي لا يكون حاضرا فعلا خلال عملية ابتكارها. ولذلك ينبغي توقع أذواقهم.

الصحف الصادرة في الأسواق الراسخة والمعقدة والمتطورة تفعل ذلك عبر تشكيلة متنوعة من الطرق. فهي - مع صحافييها - تبني على مر السنين، من خلال الاستجابات التي تتلقاها على القصص الإخبارية، ورسائل القراء، والاتصالات الهاتفية، والشكاوى وغيرها، "معرفة" روائية بما يرغبه قراؤها (لا تعتمد بالضرورة على الوقائع والحقائق). أو بالأحرى معرفة بما تعتقد أن القراء يريدونه. هذا "الفلكلور" الداخلي قد يكون/ أو لا يكون ناجحا، وربما

يكون/ أو لا يكون دقيقا. وإلى أن يخضع لاختبار بحثي جدي، لن يعرف أحد أبدا مدى تأثيره.

وكثيراً ما يفشل ويفتقد الدقة. فهو توليفة تجمع الأحكام المسبقة المتحيزة للصحفيين، والمدراء، وأصحاب الصحف، لإنتاج فكرة على قدر كبير من الشخصانية حول ما يريده القراء، أو ما يظنون أنهم يريدونه. وتكررت على أسماعنا مرات لا تحصى في مؤتمرات رؤساء التحرير عبارة: "ما يريده القارئ هو..". وهذا يعتمد غالبا على ما يفضله المتحدث شخصيا وما يناسب ذوقه، أو أذواق أصدقائه؛ بل أسوأ من ذلك، أولئك الذين يرغب في ممارسة التأثير فيهم.

الخطر هنا يكمن في أن الصحفيين غالبا ما يعيشون في أوساط، ويتبنون أنماطا حياتية، ويتبعون عادات تبعدهم كل البعد عن قرائهم. فقد يخالطون باستمرار، إذا كانوا من الصحفيين "الجادين"، شخصيات في السلطة ومسؤولين كبارا، وبالتالي "يتشربون" ببعض من قيمهم. في العديد من البلدان المتقدمة، يعني دفع رواتب مجزية في العديد من الصحف، أن الصحفيين "يتنفسون" هواء مختلفا، ويأكلون طعاما مختلفا، ويعيشون حياة تختلف عن تلك التي يختبرها قراؤهم. ويتطلب الأمر مخيلة تتفوق على ما يتمتع به معظم هؤلاء الصحفيين لمعرفة أن المطاعم التي يرتادونها، والثياب التي يبتاعونها، والعطلات التي يقضونها، ليست من المتع التي يحظى بها قراؤهم. وحتى إذا استخدموا مخيلتهم، فسوف يواجهون خطر استحضار خليط استعلائي يحرف ويخون أذواق القراء.

يشكل البحث، إذا أجري بأسلوب علمي، جزءا من الجواب. بعض الصحف تصيب حين تستخدم شركات البحوث ومؤسسات استطلاع الرأي لتعرف أكبر قدر من المعلومات عن قرائها: الفئة العمرية، نسبة الذكور/ الإناث، المدخول المالي، المهنة، مستوى التعليم، الاهتمامات، المشاغل، الأذواق، كيف يمضون أوقات الفراغ، أنماط الإنفاق.. الخ. وبذلك تعرف، مثلا، عدد قرائها الذين تتراوح أعمارهم بين

35 – 50 سنة ويقضون إجازاتهم في فرنسا، أو عدد الذين يملكون هواتف نقالة وتتراوح أعمارهم بين 25 – 35 سنة. المشكلة الوحيدة هي أن هذه المعلومات يجري جمعها لصالح الأقسام الإعلانية ونادرا ما تصل إلى الصحفيين.

البحث الذي يجري بمبادرة من قسم التحرير يهتم عادة بمواقف القراء، بالنسبة للصحيفة، وللقضايا والموضوعات التي ستغطيها. ويمكن أن يتم من خلال عمليات مسح واستبيان بسيطة بواسطة استمارة مطبوعة في الصحيفة، "لوحات القراء"، أو بواسطة شركات الأبحاث ومؤسسات استطلاع الرأي التي تصمم استبياناتها لاكتشاف ما الذي يقرؤه الناس (أو بالأحرى ما يزعمون بأنهم يقرؤونه). لكن استطلاعات الرأي والمسوحات قد تصبح شركا للغافلين. ولذلك يجب أن تطرح أسئلة محددة حول نقاط تفصيلية متعلقة بتغطية الصحيفة للأحداث، ولا جدوى من سؤال القراء هل يريدون مزيدا من الأخبار فهم يريدون ذلك طبعا، لكن من أي نوع؟ وما الذي يريدون استبداله بها؟ ثم هنالك مشكلة المستفتين الذين يبلغون الباحثين بما يعتقدون أنهم يرغبون بسماعه، أو أسوأ من ذلك، يذكرون الأشياء المفضلة التي يريدون أن يعتقد الآخرون أنهم يفضلونها، بدلا من الحقيقية.

بعيد عام 1945، كانت صحيفة "نيوز اوف ذي ورلد" البريطانية أوسع الصحف انتشارا في العالم، فقد كانت تبيع كل يوم أحد سبعة ملايين نسخة إلى قراء تشبع نهمهم لأخبار الجريمة والجنس. لكن اختلطت بها بعض الجوانب والملامح "المحترمة". ثم اكتشف رئيس التحرير بحدسه الباطني أن الأخلاق والأذواق تتغير، ولذلك أمر بإجراء استطلاع للرأي. وتم تعيين موظفين لزيارة القراء في منازلهم وسؤالهم عما يعجبهم ولا يعجبهم في الصحيفة. ونظرا لأن الاستطلاع جرى في النهار، فقد كان معظم الذين أجابوا من النساء. ولم تجرؤ واحدة على القول للموظف (الرجل): "أجل، أنا أحب قضايا الاغتصاب والبذاءة، وزوجي مغرم بقصص الرهبان والصبيان". وبدلا من ذلك،

أكد المبحوثون للباحثين أنهم يفضلون الجوانب والملامح "المحترمة" في الصحيفة. قرأ رئيس التحرير النتائج وأمر على الفور بإلغاء أي إشارة للجنس في الصحيفة. بعد أسبوعين فقط، انخفض التوزيع بمقدار خمسمائة ألف نسخة. وبحلول الأسبوع الثالث، عينت الصحيفة رئيسا جديدا للتحرير، فعاد المحتوى إلى سابق عهده، ووصلت المبيعات في نهاية المطاف إلى 8.5 مليون نسخة.

هنالك نزوع للارتباك والتشوش لدى القراء، يدفعهم للقول إنهم يفضلون شيئا بينما هم في الحقيقة يفضلون شيئا آخر، كما يزدرون في العلن بعض أشكال الصحافة في حين يستهلكونها بنهم شديد في السر، لهذا السبب يستخدم الباحثون مرايا ذات اتجاهين لمراقبة الجماعة المستهدفة وهي تقرأ صحيفة أو تناقش محتوياتها دون كوابح أو قيود. بل إن هنالك أجهزة تشبه مقدمة الخوذة (ذلك الجزء المتحرك الذي يغطي الوجه) تثبت على الرأس، وترصد حركة العين، وتعطي بالتالي سجلا دقيقا لما يقرؤه الناس، أو يكتفون بمجرد إلقاء نظرة عابرة عليه، أو يتجاهلونه كلية. فإذا لم تتوفر التقانة أو المال من أجل هذه الممارسات والاختبارات الغامضة الكريهة، هنالك بديل يمكن أن يكون أكثر فاعلية من أي بحث تقاني بالنسبة للصحفيين، وهو قضاء أطول وقت ممكن مع القراء ومراقبتهم. كم عدد الصحفيين الذين وقفوا لمراقبة الناس وهم يختارون صحيفة لشرائها من بائع الجرائد؟ أو قاموا بدراسة ما يفعلونه في الحانات أو القطارات لمعرفة كيف يقرؤون الصحف؟ كل ذلك يشكل جزءا من فضول لا يشبع يجب أن يمتلكه الصحفيون تجاه القراء، ويدفعهم للتحدث إليهم في كل فرصة ممكنة، والالتقاء بهم، ومعرفة أكبر قدر ممكن من المعلومات عنهم.

المعلنون يمثلون العنصر الآخر من قراء الصحيفة، وبالنسبة للصحف الأقل توزيعا، يعتبرون أكثر أهمية - على الصعيد الاقتصادي - من القراء. هذه القوة التجارية هي ما يجعل كثيرا من الناس يظنون أن المعلنين يجربون عضلاتهم

باستمرار لترهيب الصحف وإجبارها على "تفصيل" تغطيتها لتناسب مقاسهم. المفاجأة أن وتيرة حدوث ذلك ليست كبيرة، رغم وفرة الأمثلة. في بعض الأحيان، سحب كبار المعلنين إعلاناتهم بالطبع احتجاجا على تغطية الصحيفة (أو عدم تغطيتها) لأحداث معينة، كما هدد كثيرون بفعل ذلك أو حتى حاولوا إجراء اتصالات هاتفية شخصية ودية مع محرر أو ناشر للوصول إلى بغيتهم، ونجح بعضهم في ذلك.

تتعاظم أخطار هذا الأسلوب حين تعتمد الصحف، التي تصدر في الأرياف والأقاليم عادة، بشكل مغالى فيه على معلن واحد أو مجموعة من المعلنين. لكن ما هو أكثر شيوعا من هذا الضغط السافر تأثير المعلنين المحتملين على تغطية المقالات والتقارير والتحقيقات. فغالبا ما يتعرض المحررون لضغط هائل من القسم التجاري في الصحيفة لنشر مقالات وتحقيقات وتقارير حول موضوعات معينة، لأن من المعروف، أو المتوقع، أنها تزيد الإعلانات. ويمكن أن يؤدي ذلك إلى أن بعض الموضوعات تستقطب اهتماما أكبر من المعتاد. صحيح أن العديد منها لا تسبب ضررا في حد ذاتها، لكن قد يثبت أنها علامات منذرة بزيادة المتطلبات التي يفرضها تركيز الاهتمام على مثل هذه الموضوعات.

هذه الحدود المقيدة للعملية الصحفية - تلك المتوطنة في جمع المعلومات، والتي تفرضها أولويات أصحاب الصحف، وثقافة التحرير، وأذواق القراء - تعني أن علينا زيادة طول إعلان التنصل من المسؤولية الذي اقترحنا أن تنشره الصحف في صدر صفحاتها الأولى، وأشرنا إليه في بداية هذا الفصل:

> ***هذه الصحيفة، ومئات آلاف الكلمات المتضمنة فيها، أصدرتها بخلال خمس عشرة ساعة مجموعة من البشر الخطائين، الذين عملوا في مكاتب مزدحمة وهم يحاولون اكتشاف ما حدث في العالم، من أشخاص يحجمون أحيانا عن إبلاغنا بالمعلومات، وأحيانا أخرى يوصدون الأبواب في وجوهنا.***
>
> ***لقد تقرر المحتوى بواسطة سلسلة من الأحكام الذاتية للمراسلين والمدراء، وعدلت تبعا لما يعرفونه من أحكام مسبقة يتبناها رؤساء التحرير، وأصحاب الجريدة، والقراء. بعض القصص الإخبارية تظهر هنا بدون سياق أساسي لأنه سيجعلها***

أقل دراميـة أو اتساقا، كما أن اللغة المستخدمة جرى اختيارها عن سابق قصد وتصـمـيم من أجل تأثيرها العـاطفي، لا دقـتـهـا الموضوعـيـة. بعض المقـالات والتحقيقات طبعت بغرض وحيد هو اجتذاب بعض المعلنين المستهدفين.

لكل هذه القيود والحدود حتمية تكرار الأحلام المزعجة. لكن في نهاية المطاف، يمتلك الصحافيون ردا وحيدا عليها: تطوير معايير ومهارات عالمية شاملة والعمل تبعا لها. فهي درعنا الحامي الوحيد. وحين يفعل الصحفيون ذلك، يمكنهم مغالبة هذه القيود والحدود. وهذا أمر ممكن: ففي كل يوم يحدث ذلك في مكان ما من كوكبنا. المراسلون يفضحون الفساد، ويكشفون الإهمال، والأخطار، وينزعون الأقنعة عن المجرمين، ويكشفون الحقائق العارية التي يرغب بعضهم بإبقائها سرية. الجرائد تنشر المعلومات وتجعلها - على حد تعبير محرر "التايمز" قبل قرن من الزمان - ملكا مشاعا للناس. حتى الصحف السيئة تفيد أكثر مما تضر - ولا يمكنك أن تطبق ذلك على الحكومات مثلا.

"هؤلاء اليانكي يدفعون الأشخاص الموهوبين دون ريب لكشف الحقائق".

مدير "التايمز" في تعليق له
على جي. ايه. مكغاهان.

3

ما هو الخبر؟

"يبدو أن الصحف غير قادرة على التمييز بين حادث دراجة وانهيار حضارة".

جورج برنارد شو

يتمثل دور الصحيفة في العثور على معلومات "طازجة" حول أمور تحظى باهتمام الرأي العام، ونقلها بأكبر قدر ممكن من السرعة والدقة إلى القراء بأسلوب صادق وأمين ومتوازن. ولربما تقوم بالعديد من المهمات الأخرى، مثل إبلاغهم برأيها حول أحدث الأفلام، وكيف يزرعون البطاطا، وأي يوم ينتظر مواليد برج الثور، أو لماذا يتوجب على الحكومة الاستقالة. لكن بدون معلومات "طازجة" ستكتفي الصحيفة بالتعليق على أخبار معروفة. ربما يكون التعليق مثيرا، بل حتى محفزا: لكنه ليس خبرا. المعلومة هي الخبر.

القول المأثور الذي جرى الاستشهاد به مرارا حول هذه القضية كتبه سي. بي. سكوت، رئيس تحرير "مانشستر غارديان"، في افتتاحية موقعة باسمه في الخامس من أيار/ مايو عام 1921. فقد قال إن مهمة الصحيفة:

> *.. الرئيسة هي جمع الأخبار. وعليها أن تخاطر بروحها لكي تتأكد من أن الزاد ليس ملوثا. ولا ينبغي لوجه الحقيقة المشرق أن يشوه، لا نتيجة ما تقدمه، أو ما تمنعه، ولا في طريقة عرضه.*

هذا أمر صعب التنفيذ إن لم يكن مستحيلا، لكنه أضاف عبارة اقتبست مليون مرة: "التعليق حر ومجاني لكن الحقائق مقدسة".

النقطة الأساسية في هذه العبارة هي تناولها القيم المقارنة للحقائق والتعليقات. فإن دخلت غرفة مكتظة بالصحفيين وسألتهم عمن تبنى رأيا حول الحدث الإخباري المهم المتعلق بما يجري على الساحة حاليا، لرفع كل منهم إصبعه. وحين تسأل من يمتلك معلومات طازجة غير منشورة حول هذا الحدث، تنزل كل الأيدي. الحقيقة هي أن كل شخص لديه تعليق، مثير أو يفتقد الإثارة، ولكن لا تملك المعلومات الجديدة سوى قلة قليلة من الأشخاص. التعليق أمر شائع ومبتذل، والمعلومات نادرة ولذلك فهي قيمة.

ما هو الخبر؟

التعريفات العديدة للخبر تعادل في وفرتها تعريفات القصة. أما أكثرها شيوعا وابتذالا فهو: ليس ثمة ما يثير في أن يعض كلب رجلا، الخبر المثير هو أن يعض رجل كلبا. وهذا يذكرنا بأن الخبر يعني كل ما هو استثنائي وخارج على المألوف. لكن الخبر أكثر من مجرد ذلك. فهو شيء "طازج"، شيء لم يسمع عنه الناس من قبل، والأهم أنه يثير انتباه القراء. هذا لا يعني أن تقتصر الأخبار على الأمور التي تؤثر في الجمهور أو تترك تأثيرها على الحياة العمومية، بل أيضا تلك التي تحظى بالأهمية للمصلحة العامة. فخبر طلاق ممثل وممثلة مشهورين لا يؤثر في المصلحة العامة، لكنه يثير اهتمام الجمهور. أما أفضل توضيح لذلك فهو الرسم الكاريكاتوري القديم في صحيفة "نيويوركر" الذي يصور رجلين في قطار، أحدهما يحمل صحيفة يقول عنوانها الرئيس: "عليك معرفة العديد من الأمور الهامة"، في حين حملت صحيفة الآخر عنوان: "إشاعات، فضائح، أمور لا تصدق". أما الدعابة فهي أن الأول لا يستطيع أن يبعد بصره عن صحيفة الثاني.

قيمة الخبر

الخبر إذن هو المعلومة "الطازجة"، وغير المنشورة من قبل، وغير العادية، والمثيرة للاهتمام عموما. يمكن على الدوام تقريبا ترسيخ العناصر الثلاثة الأولى بأسلوب موضوعي: لكن العنصر الأخير - ما هو المثير للاهتمام عموما؟ - هو الذي يسبب كل الجدالات والنقاشات التي تحتدم كل يوم في غرف الأخبار في شتى أرجاء العالم.

لا توجد على وجه العموم مشكلة في أقصى الحدين المتطرفين. فحادثة مقتل 450 شخصا في تحطم طائرة تحمل رئيس الجمهورية فوق متجر في قلب المدينة، تشكل كما هو واضح خبرا مدويا، يضمن أن يصيح كل من يقرؤه " يا للهول!"، حتى وإن قالها في قرارة نفسه. من ناحية أخرى، حين أقول: "اشتريت سيارة جديدة"، فهل يشكل ذلك خبرا؟ إنه "طازج"، وغير منشور سابقا، وغير عادي بالتأكيد. لكنه ليس خبرا لأنه لا يهم سوى أسرتي، ومدير البنك، وبائع السيارات.

الحوادث التي تقع بين هذين الحدين المتطرفين هي التي تثير الجدال والنقاش بين الصحفيين، وذلك في محاولتهم لتحديد ما إذا كانت القصة قوية أو "مثيرة"، تستحق مائتي كلمة أو سبعمائة، ينبغي وضعها في موجز الأخبار أم في عنوان عريض على الصفحة الرئيسية. بالنسبة للمبتدئين، تمثل المسألة - إضافة إلى المقدمات - واحدا من أعظم أسرار حياتهم العملية، وتزيد من صعوبة فهمها السهولة التي يطلق فيها المتمرسون أحكامهم السريعة والواثقة على ما يبدو على القصة الإخبارية. لحسن الحظ، تتوفر بعض النقاط العملية والتفصيلية المفيدة في هذا السياق.

عناصر قيمة الخبر

لنحاول أن نتفق على شيء واحد في البداية: لا مجال للتهرب من العوامل الذاتية في الحكم على القصص الإخبارية. فهي تسود العملية الصحفية

برمتها، ولا يوجد مراسل أو محرر أخبار، مهما حاول كبح جماح أحكامه المسبقة بمهنيته وحرفيته، قادر على القيام بذلك بصورة كاملة. وهذا يتوضح بجلاء حين يحكم على موضوع القصة الأساسي. أنا أعتقد أن التشرد مثير ومهم، بينما ترى أنت أنه محتوم وممل. مثل هذه الذاتانية، رغم تعذر تجنبها، تشكل خطرا دائم الحضور، خصوصا حين يحاول الصحفيون (محررو الأخبار غالبا) اعتبار أحكامهم الشخصية المسبقة موضوعية. لكن الوعي بهذه النزعة يقي من أسوأ مبالغاتها وتطرفها.

الذاتية ليست ما يراه العديد من الصحفيين الشباب حين يدخلون لأول مرة غرفة الأخبار. كما لا يشهدون غالبا - لدهشتهم وذهولهم - مناقشات ومناظرات مطولة حول فضائل ومزايا القصة الإخبارية. بل يختبرون بدلا من ذلك العديد من الأحكام التي تطلق على الأخبار بشكل سريع وواثق، ويبدو أنها تعتمد على الإحساس الجواني أكثر من العلم. لكن العملية موزونة وبسيطة أكثر من ذلك. إذ يبدو أنها غريزية لأن الكثير من الحسابات التي تدخل في تقرير وتحديد قوة القصة تم تعلمها وهضمها إلى حد أن الحكم يطلق بسرعة كبيرة - وأحيانا بسرعة فائقة.

سنحاول فيما يلي تحديد ما يدور - أو ما يجب أن يدور - في رؤوس الصحفيين عند إطلاق الحكم على القصة الإخبارية. ويمكننا أن نطلق على البنود الثمانية التالية عناصر قيمة الخبر (لعدم وجود بديل أفضل). والجدير بالذكر أن خمسة منها تتعلق بالقصة (الموضوع، نمط الخبر، التطور، المصدر، المعرفة، التوقيت)؛ وواحدا بالمتلقين (القراء)؛ وآخر بالمحيط الذي يسكنه القراء والصحيفة (السياق).

الموضوع

يمثل الموضوع فئة عريضة تشمل العديد من القصص - جنائية، بيئية، صحية، ديبلوماسية، اقتصادية، استهلاكية، عسكرية، سياسية.. الخ. كل

الموضوعات متساوية نظريا، لكن بعضها أكثر قيمة من الأخرى. الجريمة مثلا أعلى قيمة من الأزياء لأنها تهم قطاعا أوسع من القراء كما هو واضح. ويمكن تقسيم كل واحدة من هذه الفئات إلى أخرى فرعية. مثلا، الجريمة يمكن أن تشمل القتل، والتزوير، والاختطاف، والابتزاز، والمخدرات، والسرقة، والابتزاز بالتهديد، والاغتصاب، والاعتداء.. الخ. بالنسبة للقراء عموما، تتمتع كل فئة بقيمتها اعتمادا على ندرتها في مجتمع معين أو منطقة محددة. وهنا يتدخل السياق (انظر الفقرات التالية). على سبيل المثال، يحظى خبر الاختطاف بقيمة أكبر من الاعتداء لأنه أقل شيوعا.

نمط الخبر

يتصل هذا العنصر بالموضوعات التي تظهر فجأة في الأخبار والوعي العام بها، وتكتسح ما عداها فترة من الزمن. وهو يتبدى بأوضح صورة في الأنشطة التي ظلت لا تثير الفضول مدة طويلة ربما، لكن ظهرت فجأة جملة أو كلمة لوصفها. وتحت العنوان الجديد المثير اكتسبت أهمية مفاجئة، وتناولتها التقارير بشكل لا يتناسب مع حجمها. "جرائم جديدة"، مثل العنف في طائرات الركاب، أمثلة تقليدية عليها. إن سلب الناس في الشارع، والشجار بين سائقي السيارات، واستخدام السيارات لاقتحام الممتلكات الخاصة، حوادث شائعة مذ وجدت الطرق والسيارات، لكن حين توضع تحت عناوين مثل "لص يهاجم الضحايا من الخلف ويخنقها لسلب أموالها"، و"العنف في الشوارع"، و" سيارة تقتحم واجهة متجر لنهب محتوياته"، تكتسب إثارة إضافية وتصبح النمط السائد للخبر فترة من الزمن.

ويعود تاريخ هذه الظاهرة إلى أكثر من مائة وخمسين سنة. ففي عام 1862، قامت "التايمز" بإثارة وتهييج الشعور القديم بالهلع من التفشي المفاجئ لحوادث "الخنق والسلب" - على حد تعبير الصحيفة - حيث يهاجم اللص ضحيته من الخلف. في بعض المناطق التي تعاظم فيها تأثير مثل هذه

القصص، رفض الناس مغادرة منازلهم. لكن سرعان ما خفت حدة مشاعر الهلع. ومنذ ذلك الحين، شملت أنماط الأخبار فترة "الرعب العظيم" الذي سببه راكبو الدراجات في تسعينات القرن التاسع عشر، عندما أثارت "ديلي غرافيك" ذعر الطبقة الوسطى بتقارير تتحدث عن عصابات من راكبي الدراجات الذين "يدقون أجراسهم لكي يفسح المارة الطريق بينما ينطلقون بسرعة ثمانية أو عشرة أميال في الساعة". في خمسينات القرن العشرين، كان كل رجل من الطبقة العاملة "تيدي بوي"(*). في الستينات، اعتبر كل راكب دراجة من المنتمين إلى "ثقافة الروك"، وفي السبعينات أصبح كل شاب طويل الشعر مدمنا على المخدرات من جماعة "الهيبيين". في الثمانينات، غدا كل تجمع للشباب يعني ممارسة الرقص الجماعي وتعاطي المخدرات. في التسعينات، تحول أي حادث مروري ثانوي إلى "عنف في الطريق". قد يكون من السهل الهزء بكل ذلك الآن، لكن كان من الصعب المقاومة حين يتحدث الجميع عن الحادثة الأخيرة التي أثارت الرعب. بعض القصص التي تفحصت بهدوء وترو المعطيات المتعلقة بالظاهرة تعتبر عادة بمثابة الترياق لمكافحتها.

التطور

يتصل هذا العنصر بالحدث المحدد ضمن الموضوع والتقسيم الفرعي والذي يشكل مغزى القصة. أما ندرته فهو الجزء الرئيس من قيمته، وذلك بغض النظر عن القراء. القصة هنا عبارة عن تقويم مباشر لمدى فرادة هذا التطور المحدد. والمثال على ذلك الخلاف المحتدم منذ فترة طويلة بين بريطانيا وفرنسا حول رفض هذه الأخيرة السماح ببيع اللحوم البقرية البريطانية في الأسواق الفرنسية بسبب احتمال إصابتها بعدوى جنون البقر. التطور الذي شمل خططا لإجراء محادثات سيكون ثانويا (إلا إذا رفض أحد الطرفين اللقاء). ولا ريب أن المحادثات تعقد حول مختلف القضايا في كل الأوقات. لكن

(*) شاب بريطاني يتصف بالقسوة والفظاظة ويرتدي ملابس العهد الادواردي (1901-1910). (م)

أي تطور يتضمن مقاطعة أحد الطرفين للمحادثات والحوار سيكون أمرا نادرا وبالتالي تطورا مهما. القيمة المتدنية لندرة الحدث هي السبب الرئيس، إلى جانب الافتقار إلى التوقيت المناسب، وراء تجاهل القصة أو التقليل من أهميتها. ولتطور الحدث ثلاثة عوامل أخرى:

المصدر

تعتمد قيمة تطور الحدث - في جزء منها - على المصدر الذي وفر المعلومات. فلربما يبلغك أحد السياسيين المنتمين إلى المعارضة إن الرئيس على وشك الاستقالة، لكن إذا كان المصدر هو الرئيس نفسه أو أحد معاونيه المقربين، فمن الواضح أن القصة ستكون أشد تأثيرا. بل تكون أفضل وأقوى إذا اكتشفت بنفسك بأنه يوشك على الاستقالة، لكنه لا يريد الكشف عن السبب الحقيقي - وأنت تعرفه وتبلغه لقرائك.

المعرفة

السؤال هنا يتعلق بعدد الأشخاص الذين عرفوا بتطور الحدث. فأعلى قيمة ترتبط بالقصص الإخبارية التي تشكل التقرير الأول لتطور الحدث المعروف للجميع باستثناء المصدر (أو المصادر)، إضافة إلى زملائه والأوساط المقربة إليه. لكن تنخفض قيمة القصة إذا وصلت إلى الجمهور بعد أن نقلتها صحيفة أخرى. كما أن القصص التي بثت عبر التلفزيون أو الراديو قد تنخفض قيمتها، لكن ليس إلى الحد نفسه. وكثيرا ما تسمع أحد الصحفيين في قسم الأخبار في إحدى الصحف الكبرى يقول عن قصة ما: "حسبت أنني أعرفها"، أي أن هذه النسخة من القصة أصبحت معروفة. وإذا كشف البحث في القصاصات والمقالات المقتطعة من الجرائد عن مثال سابق فإن الصحيفة لا تنشر القصة. لكن محرري الأخبار كثيرا ما يستخدمون العبارة كذريعة للتقليل من أهمية القصة التي لا تعجبهم. فإذا سمعتها مرارا دون سبب وجيه، يجب أن تنتبه لأحكامك المسبقة.

التوقيت

لا تزيد قيمة الخبر بمرور الزمن. لكن الوقت المنقضي لا يمثل أهم العوامل بحد ذاته. فإذا عرفت بتطور مهم طرأ على الحدث بعد ثلاثة أسابيع من وقوعه، فإن العامل الحاسم ليس التأخير، بل عدد الأشخاص الذين عرفوا بهذا التطور في أثناء ذلك. فإن بقيت القصة بعيدة عن علم الجمهور، فإن فترة الأسابيع الثلاثة لن تخفض بشكل ملحوظ قيمة الخبر، بل قد تزيدها، اعتمادا على السبب. لكن قصر المدة الفاصلة بين تطور الحدث وتقريرك عنه قد يضيف قيمة إليه، فالتأخير غالبا ما يكون عاملا سلبيا، حيث يتيح فرصة شيوع القصة بين الجمهور فينقص من قيمتها.

القراء

يمثل القراء أول العوامل التي لا تتصل مباشرة بالجوانب والمقومات المحددة للقصة. أما الأهمية التي يحظى بها الجمهور في الحكم على القصص الإخبارية فهي التي توجب بذل كل جهد ممكن لمعرفة أكبر قدر من المعلومات عن القراء. وإذا لم تفعل لن تستطيع تقدير اهتماماتهم وأذواقهم، وبالتالي تقدير قيمة الموضوع وتطور الحدث. وتصبح كمن سيلقي محاضرة في قاعة مظلمة أمام جمهور مجهول.

لكن ينبغي استخدام معرفتك بالقراء لتستهدي بها أحكامك على وجه العموم، وليس للتأثير فيهم باستمرار بطريقة شمولية. واليوم الذي تعتبر فيه التقارير الإخبارية بمثابة سلعة يجب تسويقها هو اليوم الذي تخرج فيه من عالم الصحافة. هنالك نقطة تصبح فيها المبالغة في إرضاء ما يفضله القراء برأيك "مصفاة" لعزل ومنع القصص التي لا تناسب أحكامهم المسبقة والمتحيزة المعروفة، أو إلغاء الأجزاء المزعجة لهم، مثل السياق، والتفسيرات، والمواصفات. من المهم تجنب الوصول إلى هذا الدرك، لأن جزءا من رسالة الصحفيين فضح الخرافات الشعبية وتحدي الافتراضات المريحة. ولا يمكنك القيام بذلك إن

كنت مبالغا في الاهتمام بردة فعل القراء، ومتلهفا على تهدئتها. ولسوف ينتهي بك الأمر - من حيث المعولية - كعاشق ولهان لا يتلفظ إلا بالكلمات التي يظن أن المحبوب يطرب لسماعها.

الكاتب الإنكليزي الساخر مايكل فراين كان يفكر بذلك حين كتب في "رجال من صفيح" عن جهاز كمبيوتر تمت برمجته لإصدار صحيفة يومية تبعا لنتائج المسوحات والاستفتاءات الجماهيرية. فقد طلب من المستفتين تحديد القصص الإخبارية التي تنال إعجابهم، ووتيرة ظهورها، والتفاصيل التي يستمتعون بها. هل ينبغي نشر قصة عن حوادث تحطم الطائرات كل شهر أم بمعدل أكبر؟ هل يفضلون العثور على دمى للأطفال بين الحطام أم لا؟ وإذا تناول تحقيق صحفي إحدى الجرائم، هل ينبغي أن تكون الضحية فتاة صغيرة، أم سيدة متقدمة في السن، أم امرأة حبلى وعازبة؟ وهل ينبغي أن تكون الجثة عارية أم ممزقة الثياب؟

هنالك العديد من صحفيي الأسواق الجماهيرية في مختلف أرجاء العالم يقاربون المهنة بطريقة كمبيوتر فراين المتخيل نفسها، بعد أن تسلحوا بافتراضاتهم الذاتية حول أذواق القراء بدلا من نتائج المسوحات الموضوعية واستطلاعات الرأي الحقيقية.

السياق

السياق يشمل أي منطقة توزيع (مجتمع، أو بلدة، أو مدينة، أو منطقة) تتصل بموضوع وتطور الحدث وتساعد على تقدير مدى ندرته وفرادته. ولهذا السبب ستتفاوت قيمة الخبر اعتمادا على مكان وقوعه. والسياق يفسر لماذا تعتبر صحيفة دانمركية تصدر في الريف مثلا حادثة إطلاق نار على درجة كبيرة من الأهمية، مقارنة بإحدى صحف الإثارة الصادرة في نيويورك. ففي مكان تعتبر استثناء نادرا، وفي مكان آخر تتكرر عدة مرات في اليوم الواحد.

في بعض الأحيان، يبدو ذلك وكأنه يعمل بشكل معكوس، حين تبلغ الذروة عدة أمثلة لحدث متطور معين. على سبيل المثال، قد لا تعتبر حادثة يعض فيها كلب رجلا خبرا مهما، لكن إذا تكرر ذلك من قبل سلالة معينة من الكلاب فسيحتل الخبر عناوين الصحف. إذ إن كل حدث يضيف شيئا إلى ندرة وفرادة الحالات المتراكمة. الأمر الذي يذكرنا بأهمية ذكر السياق على الدوام، وأحيانا بتفصيل دقيق. في بعض الأحيان، يتبدى السياق ويعرفه الناس، لكن في أغلب الأحوال ينبغي البحث فيه ودراسته بحيث يتعذر فصله عن تطور الحدث في القصة. وعندئذ ينبغي الإشارة إليه ونقله إلى القراء على الدوام.

السياق مهم أيضا للدفاع عن الصحافة ضد الزعم الذي يتهمها بالسلبية، أو إثارة العواطف، أو الاهتمام بالأشياء السيئة فقط. على سبيل المثال، إذا كنت تعيش في مكان يعتبر فيه من الأمور الروتينية أن يشفى المرضى الذين يدخلون المستشفيات أو أن يحظوا بالرعاية الطبية الجيدة، فإن من الأمور المثيرة التي تحتل عناوين الصحف أن يتعرض مريض للإهمال ويموت فجأة. وغالبا ما يدان المراسل الذي ينقل الخبر بوصفه سلبيا. لكن بغض النظر عن حقيقة أن السلبية والإيجابية لا تتعلقان بمهمة الصحفي، فإن على أولئك الذين يزعمون ذلك أن يسألوا أنفسهم: إلى أي درجة مريعة تدنى مستوى الرعاية الصحية بحيث اضطر الصحفي لكتابة عنوان عريض مثل: "مريض يدخل المستشفى وينجو بجلده!".

سلم متدرج للقصص الإخبارية

حالما تدرك هذه العناصر العامة، يمكنك تقدير قيمة الخبر على أساس كل قصة بحد ذاتها. نعرض فيما يلي بعض القصص الإخبارية:

- مبادرة سلام ترعاها الأمم المتحدة في دولة إفريقية تمزقها الحرب الأهلية.
- حظر حكومي على استيراد جميع السيارات الأجنبية.

- ممثلة مسلسل تلفزيوني شهيرة على وشك الطلاق.
- سياسي من المعارضة يدعو إلى مؤتمر صحفي لإدانة سياسة الحكومة المالية.
- سياسي آخر من المعارضة يدعو إلى مؤتمر صحفي لإعلان احتمال ترشحه للزعامة.
- جريمة قتل راح ضحيتها أربع فتيات في منطقة صغيرة من مدينتك بخلال ثلاثة أيام، والمجرم مهووس جنسي.
- إعلان الحكومة مبادرة جديدة لتنظيف المطاعم القذرة.

ما هي أفضل قصة برأيك؟ ما هو العنوان الذي تضعه على صدر الصفحة الأولى؟ حسنا، يبدو التمرين مستحيلا طبعا، إلا إذا عرفت ما هي الصحيفة التي نتحدث عنها ومن هم قراؤها. لذلك، حاول أن تفكر أولا بأكثر صحف مدينتك انتشارا، ثم بالصحيفة الرائدة بالنسبة لرجال الأعمال.

أختارُ مقتل الفتيات الأربع بالنسبة للصحيفة الشعبية، والحظر على استيراد السيارات بالنسبة لصحيفة رجال الأعمال. من أجل الوصول إلى هذا القرار، قمت باختبار القصص تبعا لمقياس قوة القصة الذي استخدمته على مر السنين. لم أحدد شكل المقياس على الورق، بل ظل حتى الآن آليا ولا شعوريا، إذ تقبع:

في أسفل المقياس القصص المتعلقة بما يقوله الناس.

تدور هذه القصص حول صراع الأفكار أو الأفكار الجديدة. فهي "قصص شفاهية افتراضية" - لم يحدث شيء، بل قال أحدهم شيئا. الكلمات التقليدية التي تكشف هذا النوع من القصص هي "يحذر"، أو"يستحث"، أو "يدعو"، في العنوان الرئيسي. أحد أعداد صحيفة "موسكو تايمز" (وهي صحيفة ممتازة ناطقة بالإنكليزية) الصادر في شهر أيار/ مايو 1944، ضم تسعا من القصص الإخبارية الشفاهية الافتراضية من أصل ثلاث عشرة. فهل يعني ذلك أنه لا

يوجد في بلد هائل المساحة يغطي ثماني مناطق زمنية سوى أربعة أحداث فعلية في عطلة نهاية الأسبوع تستحق أن تنشر أخبارها؟

هنالك شركان شائعان يسقط فيهما الصحافيون هنا. الأول هو الافتراض أنه إذا قال السياسي شيئا فيجب أن نسجله. وهذا ليس صحيحا. إذ ينبغي على كل صحفي أن يضع شعارا على مكتبه: "ليسوا سوى سياسيين!". فلمجرد أن اختار كهل ببزة رمادية أن يلقي خطابا أو يدلي بحديث لا يجعل منهما خبرا. ومعظم الخطب والتصريحات تعبيرات عما هو معروف ومتوقع كليا. ولا يصبح التصريح خبرا إلا إذا كشف عن مفاجأة غير متوقعة. فليس ثمة جديد في إدانة سياسي ليبرالي إصلاحي التقدم البطيء للتغيير في المجتمع. لكن إن أعلن اعتناقه الشيوعية، يصبح الإعلان خبرا مثيرا.

الشرك الثاني هو ما دعي بالحدث المزيف الذي قصد منه إثارة الرأي العام: المؤتمرات الصحفية والمقابلات الشخصية.. الخ. لا يعتبر المؤتمر الصحفي خبرا في حد ذاته، كما يظن بعض الصحفيين. فهو ليس حدثا، ولا يؤدي إلى أي تغيير في العالم. كل ما هنالك أن سياسيا أو نجما شهيرا أراد الإدلاء بتصريح، لدوافع ذاتية في أغلب الأحوال، أهمها الدعاية وإثارة الانتباه. أما الشيء الوحيد المهم فهو مضمون الرسالة. لذلك، تعامل دوما مع مثل هذه الأحداث بتشكك وارتياب.

ثم تأتي القصص المتعلقة بما يقول الناس إنه سيحدث.

تتعلق هذه القصص بالتهديدات أو المطالب باتخاذ فعل إجرائي. لقد أفرط السياسيون في استخدام مثل هذه التحريضات، وساعدهم في ذلك الصحفيون المتواطئون والكسالى الذين يجدون حضور المؤتمرات الصحفية أكثر مؤانسة وملائمة من الكدح والسعي بحثا عن القصص الإخبارية الحقيقية. لكن هذه الأحداث تتمتع على أقل تقدير بفضيلة تقديم المعلومات الجيدة والجدية حول وضع افتضحت ملابساته باللغو والكلام الفارغ.

ثم تأتي القصص المتعلقة بما يقول الناس إنه يحدث أو كان يحدث.

تتعلق هذه القصص بالبحث، بالأشخاص الذين ينقلون إليك ما اكتشفوه. شيء متعين ملموس قد حدث.

في أعلى المقياس تتربع القصص المتعلقة بما حدث.

تدور هذه القصص حول التطورات، والأحداث، والحوادث، والكوارث، وجلسات المحاكم، والعديد من الأحداث الواقعية المحسوسة.

هنالك مفهوم مهم للحكم على قيمة الخبر يتمثل في عدد القراء الذين سيتأثرون بالقصة.

كلما زاد عدد القراء المتأثرين بالحدث تنامت قوة القصة الإخبارية عنه. وحين يكون التأثير مباشرا تتضاعف قوة القصة.

كلما زادت ديمومة تأثير ما تنقله، تنامت وتحسنت قوة القصة.

من الواضح أن الحدث الذي يؤثر في الناس يوما واحدا أو نحوه، هو أضعف من ذلك الذي يمارس تأثيرا دائما.

مثلما هي الحال مع كل القواعد القائمة على التجربة العملية، سوف يكون هناك على الدوام استثناءات بين الحين والآخر لهذا المقياس. وكثيرا ما يتحمل نمط الخبر المسؤولية عنها. فالقصص الإخبارية التي كانت قبل أسبوع عديمة الأهمية ولا تحتل سوى مساحة صغيرة في الصفحات الداخلية تنتقل فجأة إلى الصفحة الأولى لأنها ركبت موجة الأخبار الراهنة. التطورات اللاحقة الأخرى (حدث أو حادثة أو كارثة) تعني أن موضوع القصة أصبح فجأة خبرا مثيرا يحتل عناوين الأسبوع. يمكن لذلك أيضا أن يحدث بشكل معكوس، وهذا يفسر غالبا لماذا لا يستحضر السبق الصحفي في تناول قضية من القضايا ما يستحقه من استحسان ومجد وتهليل. ففي الأخبار، التوقيت هو كل شيء.

أخيرا، يجب أن يتذكر المراسل دوما حقيقة أن عثوره على شيء غير معروف لا يجعل منه خبرا. فـ"القصة" التي يحاول إقناع رئيس التحرير بها ربما تطلبت أياما وحتى أسابيع من البحث والدراسة والكتابة، إضافة إلى اقتحام كل أنواع الصعوبات ومغالبة كل أنواع العقبات - لكن ذلك لا يجعلها أقوى وأشد تأثيرا. ففي الظروف الاستثنائية فقط يهتم القارئ بكيفية حصول المراسل على القصة.

"في هذه الصحيفة، يكتمل الفصل التام بين أعمدة الأخبار وبين صفحات الافتتاحية والتعليقات الشخصية والمقالات. قصد من هذا الفصل خدمة القارئ، الذي يملك الحق بمعرفة الحقائق في أعمدة الأخبار والآراء في صفحات الافتتاحية والمقالات والتعليقات. لكن لا يقصد من هذا الفصل في الوظائف أن تلغى من أعمدة الأخبار التقارير أو التحليلات أو التعليقات الصادقة والمتعمقة حين يشار إليها بكل وضوح".

بن برادلي، رئيس تحرير سابق لصحيفة "واشنطن بوست".

4

من أين تأتي القصص الإخبارية الجيدة؟

"الخبر الجدي هو الذي يثير انتباه القراء أما المقالات والقصص الإخبارية فتستحوذ عليهم".

اللورد نورث كليف(*)

يبدو أن بعضا من أفضل القصص تأتى من اللامكان - حوادث، استقالات، نوازل مفاجئة ومذهلة إلى حد أن الحقائق الجوهرية وحدها كافية لاحتلال عناوين الأخبار. ليس بمقدور الصحفيين فعل شيء للتأثير في وجود مثل هذه القصص: كل ما يمكننا فعله هو تقديم نسخ عنها بعد إعدادها وكتابتها بأفضل طريقة. لكن العديد من القصص الجيدة الأخرى تعتمد في وجودها فعلا على الصحفيين - تلك التي تبدأ كأحداث ثانوية لكنها تصبح مذهلة مجفلة بسبب اكتشاف بعض الجوانب والملامح الخفية؛ وقصص حقيقية مجهولة بالنسبة للجمهور إلى أن يكتشفها صحفي ويكتب عنها.

لا يوجد ما هو اتفاقي أو عرضي في هذه العملية. فالقصص الجيدة كهذه لا تأتي من المجهول؛ بل من صحفيين ناجحين يعرفون أين يبحثون وكيف

(*) الفريد تشارلز وليام (1865-1922)، ناشر صحف بريطاني أسس "ديلي ميل" (1896)، و"ديلي ميرور" (1903). (م)

يفعلون الأشياء بشكل صحيح - لهذا السبب يأتون بعدد أكبر بكثير من مثل هذه القصص مقارنة بالصحفيين العاديين. أما الغموض الذي يكتنف مصدر القصص الجيدة على ما يبدو ظاهريا فلا يعتبر أحجية ملغزة على الإطلاق. إذ يتعلق الأمر باتباع ممارسات العمل الصحيحة، إضافة إلى معرفة الأماكن التي تبحث فيها - والأماكن التي تتجاهلها.

عادات المراسلين الناجحين؟

يحصل أكفأ المراسلين على أفضل القصص الإخبارية لأنهم يتمتعون بمواهب فطرية قوية ويعرفون أين يبحثون عن الخبر، وبمن يتصلون، وماذا يسألون. أما التفاصيل فسوف تغطيها الفصول الثلاثة التالية حول المصادر، والبحث، والمساءلة. لكن للمراسلين عادات أخرى، ربما تكون أقل وضوحا لكن على نفس القدر من الأهمية، تنتج باستمرار قصصا جيدة.

استكشاف كل السبل

لربما يمثل العزم والتصميم الفارق المميز الأكبر بين المراسل العادي والجيد. المثال التقليدي الوثيق الصلة هنا - بسبب طبيعته اليومية - تجسده قصة ديريك لامبرت، الذي كان تحت الاختبار في صحيفة "ديلي ميرور". للوهلة الأولى بدت القصة جريمة قتل روتينية: رجل بولندي وجد مطعونا في قبو منزل متواضع في مانشستر، وأرسل لامبرت لاستطلاع الأمر. لم تبد القضية واعدة. لم يعرف الجيران شيئا ولم يقولوا شيئا، كما لم يصرح رجال الشرطة الذين يحرسون مسرح الجريمة بأي معلومات مهمة، وحين ذهب لامبرت إلى المخفر، قالوا له إنهم لا يستطيعون إضافة شيء إلى البيان الوجيز الذي صدر.

عند هذه النقطة يعود المراسل العادي إلى مكتبه ليقول ليس في القضية ما يثير. وفي الحقيقة هذا ما فعله المراسلون من منافسي لامبرت. لكنه لم يكن مراسلا عاديا. فقد ظل مصمما على معرفة المزيد من المعلومات، وأمل

بالحصول على بضع كلمات من شرطي انتهى دوام عمله في المخفر. بعد برهة، رأى محققين يركبان سيارة، فاعتقد أنهما يعملان على القضية، فعاد أدراجه إلى مسرح الجريمة. وهناك شاهد رجلين بملابس رسمية يدقان على الأبواب. عرف نفسه إلى المحققين وتحدث معهما عن القضية. وتبين له أن القتيل كان مخبرا لدى الشرطة صدمته سيارة ثم طعن بسكين حتى الموت. كتب لامبرت القصة وسرعان ما أرسلها إلى مكتبه: "الشرطة كانت تحقق في الليلة الماضية لحل الغموض المحيط بالرجل الذي قتل مرتين". القصة احتلت صدر الصفحة الأولى وضمنت له العمل في صحيفة "ديلي ميرور".

"التسكع" في موقع الحدث

أفضل المراسلين لا يصلون متأخرين لاهثين إلى موقع الحدث، إلا إذا دعتهم الضرورة الملحة لذلك. فهم أول من يصل وآخر من يغادر إذا كان لديهم الوقت الكافي. وبذلك يتواصلون مع الحدث وشخصياته الفاعلة، ويسمعون ما يقال عنه، ويلاحظون التفاصيل المفيدة، ويتحدثون إلى الناس، ويطرحون الأسئلة. ومهما كانت طبيعة الحدث - دعوى قضائية، تحقيق عام، اجتماع سياسي، حملة تنطلق، إصدار تقرير - فإن أفضل القصص الإخبارية لا يعثر عليها في الجزء العلني من الحدث بل خلال الوقت الذي يمضيه الصحفي قبل وبعد الحدث مع المشاركين فيه. فبرغم كل شيء، لا يعرف معظم الناس خارج مهنة الصحافة مكونات القصة الإخبارية الجيدة. ولا يدلون بمعلومات مفيدة تشكل قصة أفضل بمراحل من تلك التي أتى من أجلها الصحفي أصلا، إلا حين يتحدثون بصورة غير رسمية قبل أو بعد اللقاء، أو المقابلة.. الخ.

حظك يعتمد على جهدك

لكي تكون محظوظا، يجب أن تضع نفسك في موقع يرجح أن يحالفك الحظ فيه. وهذا أمر يعتمد - من ناحية - على المثابرة والدأب، ومن ناحية أخرى على الموهبة الفطرية التي تدلك على الجزء المثير والنشط من القصة،

خصوصا حين تكون مهمة ويتابع فصولها العديد من المراسلين، ومن ناحية ثالثة على عدم اتباع خطى الغوغاء. في عام 1981، أطلق الرصاص على البابا، وجاء المراسلون من مختلف أرجاء العالم إلى روما، كان من بينهم، جون ادواردز، من صحفية "ديلي ميل". وصل ادواردز، مثل زملائه، إلى روما في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلا، لكن بدلا من التوجه مباشرة إلى الفندق، أراد الحصول على تفاصيل القصة على الفور. لكن إلى أين يذهب؟ كانت ساحة القديس بطرس تغص بالراهبات اللاتي يصلين من أجل شفاء البابا. ولم تضف الشرطة شيئا إلى البيان المقتضب الذي أصدرته، ففكر ادواردز بالذهاب إلى الموقع الذي ما زال يشهد تطور أحداث القصة – المستشفى الذي كان البابا يقارع فيه الموت.

دهش ادواردز حين وجد بعيد وصوله المستشفى في الواحدة صباحا، أنه المراسل الوحيد هناك، والأهم أن السبيل كان مفتوحا أمامه (لم يجد رجال شرطة يمنعونه من الدخول). وهكذا دخل المستشفى وتجول قليلا في أرجائه، ثم وجد غرفة انتظار ليجلس فيها ويراقب ويقدر الوضع. غفا لبعض الوقت، وانتبه في حوالي الساعة السادسة على صوت أبواب تفتح، ووقع أقدام. ثم رأى ستة جراحين، تلطخت معاطفهم بالدم، يدخلون غرفة الانتظار ويخرجون إلى الشرفة. وعندما دخنوا سجائرهم وتنشقوا نسمات الصباح المبكر، تبين له أنهم يتبادلون الابتسام. اقترب منهم وفاتحهم بالأمر وسر بحظه السعيد. عرف أن هؤلاء قد أنقذوا حياة البابا، وكان عدد منهم يتحدث الإنكليزية بطلاقة، وعبروا له عن رضاهم عن العمل الذي قاموا به الليلة الفائتة وزودوه بالمعلومات التي يحتاجها عن طيب خاطر وبكل حرية. بل رسموا صورا في دفتر ملاحظاته تبين كل خطوات العملية الجراحية بالتفصيل. ولم يكن من المفاجئ أن يعتبر ادواردز فيما بعد هذه القصة هي أفضل ما كتبه في حياته.

معرفة أفضل صيغة للقصة الإخبارية

بعض المواهب الفطرية الغامضة للمراسلين الأكفاء، كما يظن من يفتقد الخبرة والتجربة، هي في الحقيقة حسابات مباشرة ومدروسة. ومن أهم المفاتيح التي يستخدمها الصحفيون الناجحون "حبل الأفكار": ما هي أفضل صيغة لهذه القصة؟ وإذا أخذت بالاعتبار جميع السيناريوهات والحقائق المحتملة، ما هي أقوى مقدمة يمكن أن أكتبها؟ هذا المخطط المحسوب يفيد في التعرف على القصص الإخبارية التي لا تستحق المتابعة، مثلما يساعد في الكشف عن تلك المهمة والمؤثرة والمثيرة.

بناء الثقة مع المصادر

يحافظ المراسلون الأكفاء على علاقة منتظمة مع مصادرهم ولا يكتفون بالاتصال بهم عند الحاجة إليهم فقط. ويعملون على تمتين أواصر هذه العلاقة من خلال حضور اللقاءات والاجتماعات ونقل المعلومات إلى هؤلاء بين الحين والآخر. والنتيجة هي أن يتذكر مصدر المعلومات الصحفي "الصديق" حين يحظى بقصة جيدة. كما يتذكر مصدر المعلومات الصحفي الذي أثبت نزاهته ودقته حتى حين لا تربطه به علاقة وثيقة ومنتظمة. ويمكن للثقة بالصحفي أن تساعده بشتى الطرق. كان لإحدى السيدات المسؤولات في الحزب الحاكم من معارفي دور فعال في "تسلل" واحد من كبار المتمرسين في الأخبار الخارجية في صحيفة "الاوبزرفر" إلى العراق لكي يحقق في التقارير التي كانت تتلقاها حول الأعمال الوحشية التي ارتكبها صدام حسين ضد سكان الأهوار. ولولا علاقتي مع هذه السيدة، وثقتها في صدق وأمانة الصحيفة، وصلاتها مع المجموعات المعارضة في العراق، وشجاعة هذه المجموعات وبسالتها، لما تمكنا من دخول جنوب العراق، ولما سمع العالم بهذه الفظاعات. أما المراسل، شيام باتيا، فقد فاز بلقب أفضل مراسل أجنبي في تلك السنة عن عمله في العراق.

إظهار الاهتمام بالموضوع لا بمجرد القصة

يمكن أن يستشعر الناس، مثلك تماما، أن الصحفي يحصر اهتمامه بهم من أجل القصة الإخبارية. لكن المراسل الجيد يبدي اهتماما مخلصا بالقضايا وبالناس المشاركين فيها. وهو يستفيد من ذلك. في عام 1968، بعد أن سجن المنشق السوفييتي الكسندر غينز برغ في أعقاب محاكمة مغلقة، دعت زوجته لودميلا إلى مؤتمر صحفي. وفي الليلة التي سبقت انعقاده، اتصل المكتب الصحفي في الحكومة بالمراسلين الأجانب المائة العاملين في موسكو وحذرهم من أن الحكومة ستتخذ "إجراءات صارمة" ضد أولئك الذين يحضرون المؤتمر. في اليوم التالي، لم يمتلك الشجاعة الكافية لزيارة شقة غينزبرغ سوى أربعة مراسلين، ومن بينهم ريموند ادرسون من "نيويورك تايمز". بعد بضعة شهور (تموز/ يوليو1968)، حصل اندرسون على وثيقة من صديق تلقاها بدوره من اندريه اميلريك، المؤرخ السوفييتي المنشق، تضم المقالة التي أصبحت مشهورة الآن والتي يتحدى فيها الدكتور اندريه ساخاروف النظام السوفييتي. وبعد عدة مغامرات واستقصاءات، تأكد اندرسون من أن الوثيقة أصلية وأرسلها سرا لتحتل عناوين الأخبار في مختلف أنحاء العالم.

استشفاف القصص غير المكتملة بعد

"المتابعة" ليست كلمة مجيدة بالنسبة للعديد من المراسلين، حيث تحمل دلالات ضمنية على طلب جمع وترتيب بعض التفاصيل غير المكتملة أو المفسرة، أو إضافة بعض الزخارف لقصة قديمة لكي تبدو جديدة وطازجة. يصدق هذا على العديد من الصحف، لكن هناك أيضا كثيرا من القصص التي تعطي ثمارا أفضل وأينع عند متابعتها مقارنة بحالتها الأصلية. لذلك، يستشف الصحفي الجيد هذه القصص عبر التفكير بالحلقة المفقودة (أو ربما تكون مفقودة) من القصة برمتها. على سبيل المثال، توفيت امرأة طاعنة في السن دون أن يلحظ موتها أحد في بيتها في شمال إنكلترا. قال المحقق الجنائي في معرض تعليقه على التغاير بين العلامات المرئية (زجاجات الحليب على باب

البيت.. الخ) وبين لامبالاة جيرانها: لو انتبهوا لها أو تجشموا عناء زيارتها لكانت الآن حية ترزق.

أرسلت "ديلي ميرور" ديريك لامبرت لاستقصاء الملابسات التي أحاطت بموت المرأة التي تجاهلها جيرانها، واحتمال كتابة قصة حول الموضوع. تنقل من بيت إلى بيت، وجمع نتفا من المعلومات، لكن الناس قابلوه بمزيج من النظرات الجوفاء والاستخفاف واللامبالاة. في نهاية المطاف، عثر على رجل من الجيران كان راغبا في الحديث معه. وحين التفت لامبرت ليغادر، صاح الرجل: "لا تنس وقاحة المحقق!". عندما سأله لامبرت عن قصده (وهذا سؤال مفيد في كل الحالات) قال: "إنه يسكن قريبا من هنا". فقد كان واحدا من جيران المرأة الذين انتقدهم. عندئذ، عرف لامبرت أنه حصل على قصة جيدة - حكاية المحقق الذي انتقد نفسه دون أن يدري.

النظر إلى الأمور بطريقة أخرى

هنالك الكثير من العوامل المشتركة بين الممثل الهزلي والصحفي الجيد. فكلاهما يعثر على الأفكار المنتجة عبر تقليب الأمور بذهنه، وعكس الحالة (أو الجملة) من أجل تفحصها، وبالتالي تقديم ما هو مفاجئ وغير متوقع. المراسلون الناجحون يجدون العديد من الأفكار الجيدة عبر معاينة الأشياء من منظور غير عادي. حين أرسل جون تيرني من صحيفة "نيويورك تايمز" - مثلا - ليكتب قصة عن امرأة انضمت إلى دروس تدريب الدفاع عن النفس (فكرة مملة على أقل تقدير)، لم يكتب مقالة عنها، بل عن "مجسم لمعتد أثيم" - أو مجسم اللص مغتصب النساء الذي يتلقى لكلمات وركلات المتدربات.

لكن هناك حدودا لمقدرة المراسلين الإبداعية. على سبيل المثال، كان لصحيفة "ديلي ميل" مراسل يدعى موريس فاغنيس، عرف بعدم الحفاظ على مواعيده. وتأخر ذات يوم كثيرا فعاقبه مديره بإرساله لتغطية حدث باهت لا يناسب الصحفيين يقع على مسافة بعيدة - معرض للحمام في بيرمنغهام. ولأن

فاغنيس لا يحب أن يغلب، استطاع تهريب قطة إلى المعرض تحت معطفه، لكن يكتب قصة مثيرة عن ذلك الذي وضع قطة بين الحمام.

إيجاد الروابط

العثور على روابط تصل بين الأشياء هو ما يفعله المراسل الجيد حين يأخذ قصتين أو حقيقتين منفصلتين ويجمع بينهما برباط. وهذا ما دعاه ويلي غوتمان، الناشر الصحفي الذي هرب من ألمانيا النازية، "السبق الصحفي بالتفسير". وهو أحد الأسباب التي تثبت خطأ أولئك الذين ينتقدون الصحف لأنها "تعتاش على بعضها بعضا". فالعديد من القصص الإخبارية الجيدة تأتي من صحافي عثر على مادة منشورة في صحيفة أخرى، ليجري تحقيقاته واستقصاءاته ويكتشف وجود الكثير من المعلومات حول الموضوع أو القضية مقارنة بما كتبته تلك الصحيفة. كما أن العديد من القصص الإخبارية المهمة لم يكشف النقاب عنها بالكامل إلا لأن الصحف اشتغلت عليها بشكل جماعي - لكن مستقل - للعثور على قطع اللغز المتناثرة التي تكمل الصورة حين تجتمع معا. أما المثال التقليدي على هذه الحالة فهو التحقيق في فضيحة ووترغيت في أمريكا (1973 -1974)، التي أدت إلى استقالة الرئيس نيكسون.

عدم الاعتماد على المختصرات الوجيزة للتقارير الرسمية

من الصعب ألا يصيبك السأم حين ترى غلاف معظم التقارير الرسمية. لكن قد تجد في بعضها قصة حقيقية. وقد تكون وضعت فيها عمدا، على أساس التوقع بأن معظم الصحفيين لن يتحملوا عَنَت قراءتها حتى الصفحة الأخيرة، أو بصورة دقيقة. فالعديد منهم يكتفون بقراءة صفحات الموجز إن كان التقرير سميكا. إذا وجدت الوقت الكافي، اقرأ التقرير برمته؛ وإلا فادرس الصفحات التي يرجح أن تضم المادة المهمة - المسائل المعروضة من الأطراف التي استهدفتها الانتقادات، الدليل المقدم من المظلومين، القسم المتعلق بسجلات الحالة.

يمكن لقراءة التقرير بكامله أن تغل مكاسب هائلة. في بداية التسعينات، كانت ايلين ويلسوم المراسلة الإخبارية لصحيفة "البكركي تريبيون"، تتصفح وثيقة نزعت عنها السرية حول التجارب الإشعاعية على الحيوانات في أواخر الحرب العالمية الثانية. وفي هامش غامض أسفل إحدى الصفحات، وجدت إشارة إلى ثمانية عشر شخصا حقنوا بجرعات من البلوتونيوم لكي يدرس العلماء تأثير الإشعاع في الجسم. بدأت ويلسوم البحث، وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1993، نشرت سلسلة من ثلاث حلقات. بعد مرور شهر، دعت الحكومة الأمريكية إلى مؤتمر صحفي واعترفت بما حدث. وأمر الرئيس كلينتون بإجراء تحقيق، ورفعت عائلات الضحايا دعاوى قضائية. في السنة التالية، فازت ويلسوم بجائزة بوليتزر(*).

عدم الحكم المسبق على الناس

أنجح عميل استخباراتي قابلته في حياتي كان رجلا ضخما لحيما عليه أمارات السذاجة، تنكر بقناع مصارع محترف. وباستثناء رحلاته المتعددة إلى الخارج، كان آخر من تتوقع أن يكون جاسوسا: ولهذا السبب لم أعرف مهنته الحقيقية إلا بعد وفاته. وأعتقد أن تلقى كثيرا من الضربات على أم رأسه.

يعرف الصحفي الناجح أن الحكم على الناس من مظهرهم الخارجي ومهنتهم أقصر الطرق لارتكاب الأخطاء وخسارة القصص الإخبارية الجيدة. بعض من أقل مصادر الأخبار موثوقية قد تتبدى عليهم مظاهر الثراء والرخاء، وقد يبدو أفضلهم كالمتسولين المشردين. هذا لا يعني أن عليك قضاء ساعات مع المعتوهين والممسوسين والمصابين بالذهان وجنون الاضطهاد، الذين اعتادوا إزعاج الصحفيين بحكاياتهم حول ما يتعرضون له من مطاردات، أو للخطف

(*) جائزة أسسها الأمريكي جوزيف بوليتزر (1847-1911) وتمنح للإنجازات المتحققة في ميادين الصحافة والأدب والموسيقى في الولايات المتحدة. (م)

من قبل كائنات فضائية، أو للظلم من قبل الحكومة. بل يعني إطلاق الحكم على الناس اعتمادا على ما يقولونه لا على مظهرهم. كان أحد الصحفيين في "ديلي ميل" (في أوائل ثلاثينيات القرن العشرين) عائدا إلى مكتبه بعد أن قابل زائرا رث الثياب في البهو. وقال إن الرجل معتوه على ما بدا واضحا، وتحدث بتلعثم حول بث الصور المتحركة. بعد ثلاثة أيام، نشرت صحيفة منافسة اختراع التلفزيون بواسطة رجل يدعى لوغي بيرد - وهو الشخص "المعتوه ذو الثياب الرثة" الذي قابله صحفي "ديلي ميل" في البهو.

الاحتفاظ بملف للأفكار

رؤية مفيدة لكن من الشائع تجاهلها. فنوعية وجودة ومدى الأفكار من الأشياء التي تظهر الفرق بين الصفحات الإخبارية المترعة بالإثارة وتلك الباهتة الباردة المملة. لذلك يتوجب عليك الاحتفاظ بملف تسجل فيه الأفكار، وتضع قصاصات الجرائد والمجلات التي قد تفيد قصة إخبارية تكتبها في المستقبل. الملف مهم حتى لو اقتصرت فائدته على التشجيع على ممارسة عادة الصحفيين الناجحين - قراءة الكثير من الصحف والمجلات. وبغض النظر عن إبقائهم على اطلاع على آخر التطورات، وعلى اتصال بما يفعله المنافسون، فهو يحافظ على معلوماتهم العامة - السبب الآخر وراء بروزهم ولفت الأنظار إليهم.

المصادر غير الواضحة

يضيق أفق ومدى تفكير معظم الصحفيين حين يتعلق الأمر بالمصادر. لكن عند معاينة الصحف الرصينة على المستوى الوطني، التي تختار من بين كل ما هو متوفر من الأخبار في أي يوم، نجد أن مصادر أخبارها وقصصها ليست تقليدية كما يتخيل الناس. "الاندبندت " على سبيل المثال، تضم في العدد العادي ما بين 33 - 38 قصة إخبارية محلية، باستثناء الإيجازات أو التقارير البرلمانية. أحد الأعداد الصادرة في شهر كانون الأول/ ديسمبر 1999، ضم 36 قصة إخبارية كانت مصادرها كالتالي:

إدارات أو وكالات حكومية	10
صلات، مصادر، مشاهدات..	5
محاكم، تحقيقات	5
جامعات	3
مجموعات ضغط، نقابات.. الخ.	3
مصادر سياسية	3
صحافة متخصصة	2
شركات تجارية	2
مجلات استهلاكية	1
منظمات دولية	1
الشرطة	1

الأعداد الأخرى من الصحيفة تظهر زيادة طفيفة في المصادر السياسية والشرطية، وانخفاضا في مصادر المحاكم، لكن على العموم لا تتفاوت هذه النسب تفاوتا كبيرا. الأمر الذي يعني أن نصف القصص الإخبارية تأتي باستمرار من مصادر غير رسمية. فإذا شملت المصادر الحكومية البيانات والتصريحات الرسمية فقط، مقابل تلك المستخلصة من الصلات الشخصية، فإن المصادر غير الرسمية تشكل بصورة منتظمة حوالي 60٪ من القصص. وهذا يظهر أهمية بناء الصلات الشخصية، ولا سيما الانفتاح على المصادر والموضوعات غير التقليدية. نقدم فيما يلي بعض المقترحات حول الأماكن الأقل بروزا ووضوحا حيث يمكن العثور على القصص الإخبارية الجيدة.

الجامعات ومعاهد البحوث

يتولى الأكاديميون إجراء دراسات لا يجرؤ الروائيون على القيام بها، بغض النظر عما إذا كانت بحوثا طبية رائدة، أو تتعلق بالحياة البرية في منطقتك، أو تحقق في السبب الذي يدفع الرجال لارتداء لون معين من ربطات العنق.

بعضها على درجة رفيعة من التخصص، لكن العديد منها يثير اهتمام الجمهور العريض. على سبيل المثال، ظل أحد معاهد الأبحاث الفضائية في ضواحي موسكو يدرس طيلة سنين عديدة أنماط الشخصيات القادرة على التعايش والانسجام لكي لا يبدأ رواد الفضاء الذين يجتمعون معا على المحطة الفضائية "مير" العراك حالما يغادرون الأرض. إن الكتابة لعموم القراء، وتطبيق الدراسة على الناس الذين يعيشون معا في المنازل والمكاتب (بدلا من سفينة الفضاء) سوف تثير اهتمام الجميع.

الصحافة المتخصصة والطليعية

إذا امتلكت المعرفة الكافية لقراءة المجلات المتخصصة، يمكن أن تحصل على مصدر ثر للقصص الواقعية. كما أن صحف بلدك الطليعية والراديكالية تستحق أن تقرأها بانتظام. صحيح أن التقارير والتحقيقات في مثل هذه الصحف تفتقد التوازن، إلا أنها غالبا ما تكون نتاجا للاتصال مع المصادر غير التقليدية. ولا ننسى أن بعضا من أفضل القصص الإخبارية ظهرت أول ما ظهرت في هذه الصحف.

الكتب

في عام 1998، كشف ماسييه زاريمبا، وهو صحفي من أصل بولندي يكتب لأكبر صحيفة سويدية، "داغينز نايتر"، القصة الكاملة لكيفية قيام السويد بتعقيم أكثر من 60 ألف امرأة بالإكراه بين عامي 1935 - 1976 فبعد أن عمل مع باحث يدعى ماييا رونسيز، الذي تمكن من الوصول إلى محفوظات المجلس الطبي الحكومي، اكتشف زاريمبا أن التعقيم لم يكن طوعيا، وذلك على العكس من الاعتقاد الشائع في السويد. فالطالبات اللاتي تخلفن في الدراسة، و"الفاجرات"، ومعارضات السلطة، اعتبرن "غير مرغوب بهن"، ونقلن من بيوتهن بواسطة المسؤولين الحكوميين، ووضعن في مؤسسات خاصة ولم يطلق سراحهن إلا بعد أن خضعن للتعقيم. ذاعت القصة في كافة أرجاء العالم،

وشكلت الحكومة السويدية لجنة للتحقيق. لكن أين عثر زاريمبا على هذه القصة؟ في كتاب مهمل كتبه سويديان لم ينشر إلا في الولايات المتحدة.

المجلات المخصصة لفئات معينة

هذه المجلات ليست موجهة للأكاديميين، ولكن للقراء العاديين من ذوي الاهتمامات الخاصة. إن قراءة مثل هذه المجلات تتيح لك الدخول إلى مجالات وعوالم (مثل عالم صيادي الكنوز، أو زارعي الخضراوات) ما كنت لتدخلها في العادة. ولسوف تجد في كل قضية تقريبا قصة يمكن أن تثير قراء جريدتك إذا استطعت التعامل معها بالشكل المناسب. لربما تنشر مجلة متخصصة بالكمبيوتر قصة حول فيروس جديد يهدد أنظمة البيانات التجارية؛ أو تحقق مجلة سيارات بأعمال السلب والنهب التي يرتكبها لصوص يركبون السيارات؛ أو تعرض مجلة جنسية دعاية تستخدمها أنت لكتابة تحقيق حول الصور الإباحية للأطفال؛ أو تنشر مجلة للبستنة قصة حول كيفية تحويل الأوراق المالية إلى عجينة يصنع منها السماد المخصب.

المنظمات الدولية

هنالك آلاف مؤلفة من المنظمات الدولية التي تصدر التقارير، والإحصائيات، والبيانات، وتعقد المؤتمرات والندوات، وتوظف الخبراء والمتخصصين - ومع ذلك لا يغطي مثل هذه الأحداث مراسلو الصحف إلا فيما ندر لسوء الحظ. ولا ريب أن هذه المنظمات تشكل مصادر عظيمة وغير مستغلة للقصص الإخبارية، كما أنها لا تنحصر في مجرد تناول المشكلات العالمية. فمعظم نشاطها يشمل دراسة/ أو العمل على حل المشكلات المحددة في بلدان معينة. اذهب إلى المكتبة، وابحث عن المنظمات التي تعمل في المجال الذي يثير اهتمامك، وقم بزيارة موقعها على الويب. للأمم المتحدة، مثلا، هيئات ومنظمات للمرأة، والكوارث، ورعاية الطفولة، والصحة، ونزع السلاح، والتدريب، والتنمية الاقتصادية، والمستوطنات البشرية، والبيئة، والمحيطات،

والتجارة، واللاجئين، وقوات حفظ السلام، والسكان، والمعونات الغذائية، وزراعة الغذاء، والطاقة الذرية، والطيران المدني، والعمل، والنقل البحري، والاتصالات، والصناعة، وحقوق الطبع والنشر، والأرصاد الجوية - أي كل موضوع يهم البشر في مختلف أرجاء العالم.

الإعلانات المبوبة

الصحفي الذي لا يقرأ الإعلانات المبوبة في أية صحيفة تقع عليها يداه يفوت واحدا من أهم مصادر القصص الإخبارية التي تثير اهتمام الناس. فبرغم كل شيء، يشكل هذا المجال نقطة تواصل البشر - من غير الصحفيين - مع أقرانهم. على سبيل المثال، نشرت صحيفة "سان فرنسيسكو اكزامينر" الإعلان التالي لسيدة تدعى غلاديس كيد (2/ 5/ 1962):

> ***لا أريد أن يعدم زوجي في غرفة الغاز عقابا على جريمة لم يرتكبها. لذلك سوف أعرض خدماتي لعشر سنوات كطاهية أو خادمة أو مدبرة منزل لأي محام يدافع عنه ويبرئه.***

شاهد أحد أشهر المحامين في المدينة، فينسنت هالينان، الإعلان واتصل بالسيدة غلاديس. وكانت محاكمة زوجها، بتهمة قتل تاجر للتحف الأثرية بعد أن وجدت بصماته على سيف مرصع وملطخ بالدم في متجر الضحية، على وشك أن تبدأ. وخلال المحاكمة، أثبت هالينان أن التاجر لم يقتل بواسطة السيف. كما أكد أن سبب وجود بصمات ودماء المتهم على السيف يعود إلى أنه عبث به حين كان يتسوق مع أحد أصدقائه. وجد المحلفون أن المتهم بريء، ورفض هالينان عرض السيدة غلاديس بخدمته. ثمة عدد لا حصر له من القصص التي يمكن العثور عليها في الإعلانات المبوبة: بدءا بقصة امرأة روسية دفعها الفقر لمحاولة بيع ابنها، وانتهاء بعصابة لتهريب الحيوانات النادرة التي أعلنت عن "بضاعتها".

مناسبات الذكرى السنوية

تشكل هذه المناسبات مصدرا لا ينضب للقصص الإخبارية. ويمكن أن تكون مجرد احتفال بسيط بعيد ميلاد أو ذكرى وفاة، أو أحداث تاريخية كبرى، أو مناسبات اجتماعية مثل ابتكار أدوات منزلية جديدة، أو سوى ذلك من المعالم المميزة للحياة اليومية. لا ضرورة لأن تكون القصص التي تتناول احتفالات الذكرى السنوية خفيفة ومسلية. فدراسة قصة إخبارية مهمة بمناسبة مرور خمس سنوات عليها من أجل كتابة خلفية لمقالة جديدة قد تكشف عن تقرير مخبأ، أو جماعة مهملة، أو حدث آخر يجعل القصة جدية ومثيرة.

المجالات المفيدة الأخرى تشمل: الفروع الجنائية المتخصصة وغيرها من خدمات الطوارئ (خصوصا تلك التي تتعامل مع قضايا التزوير، وجرائم الكمبيوتر، والفن، والتحف الأثرية)؛ الهيئات الحكومية المهمشة (مثل تلك التي تتعامل مع إتاحة الحصول على الأراضي والعقارات للجمهور مقابل ضريبة تركات مخفضة، وإدارة ممتلكات المتخلفين عقليا..)؛ الاستثمارات الواعدة بعائدات مرتفعة؛ أولئك الذين أثروا بسرعة أو "لا يمكن أن يخطئوا" المشاريع التجارية؛ الشركات المانحة للقروض (لا سيما التي تستهدف ذوي الدخل المحدود)؛ الوثائق العامة التي سمح بنشرها حديثا؛ مجموعات الضغط أو المجموعات ذاتية الاعتماد التي تعمل في المجالات غير العادية. لسوف تصادف المزيد إذا أبقيت عينيك وأذنيك مفتوحة. ابحث عن التنافر، عن الأشياء التي لا تبدو معقولة أو متسقة، الأشياء التي تحتاج إلى تفسير. قصتي الخبرية الأولى كانت حول المشردين في شوارع المدينة البريطانية التي كنت أعيش فيها. ونتجت عن مشاهدتي لهم ليلا عند مداخل البيوت وفي الحدائق، ثم توجيه أسئلة المراسل الأساسية إليهم: من؟ لماذا؟.. الخ. السلسلة التي كتبتها أدت إلى زيادة عدد الناس الذين قصوا علي حكاياتهم، وإلى أن يوكل لي رئيسي مهمات أفضل.

القصص الإخبارية التي يتجنبها المراسلون الأكفاء

إذا تمتع المراسل الناجح بخصلة مميزة، بغض النظر عن الجد والدأب والمثابرة، فهي معرفة القصص التي يستبعد أن تكون مهمة، والبقاء بعيدا عنها. وهو يعرف أن القصص الجيدة تأتي (باستثناء بعض الحالات النادرة) من النشرات الصحفية التجارية، والمؤتمرات الصحفية الروتينية، والبريد الذي يصل إلى مكتبه في غرفة الأخبار، أو من الأشخاص الذين يتصلون به هاتفيا ويقولون: "لدي قصة لك!". ولا تأتي من عمليات المسح واستطلاعات الرأي التي تستفتي عينات صغيرة العدد، ولا تلك التي تتعامل مع الواضح الصارخ بلغة العلم، وتلك التي تستهدف تحديد جماعات اجتماعية جديدة، ولا القصص المتعلقة بما يقوله الناس فقط، أو تأتي من أحداث تُعد خصيصا للصحفيين وحسب، مثل الدعوات لالتقاط الصور التذكارية، وإطلاق المبادرات أو المنتجات أمام الصحافة، أو المناسبات التي تستهدف الدعاية ولفت الانتباه. كما أنهم - فوق كل شيء - يعرفون أنها لا تأتي عموما من قصص "النزاع والخلاف".

قصص النزاع والخلاف

أصبحت مثل هذه القصص وباء الصحافة وخدعتها الاحتيالية. صحيح أنها تكون مشروعة حين تنقل انتقادات جدية للإجراءات والتصرفات الرسمية، أو الاختلافات الحقيقية أو الحادة بين أولئك الذين يمكن أن يؤثروا في النتيجة، إلا أن من الشائع اعتبارها صيغة لا يزيد فيها النزاع أو الخلاف على وهم نسجه خيال المراسل الصحفي ورغبته في بعض الدراما الزائفة. يحدث شيء، أو يقال شيء، فيتصل المراسل بمتبجح معروف فيقوم هذا - لإرضائه - بالإدانة أو الأسف أو المطالبة بإجراء تحقيق. هذا المعادل الصحفي للاصطياد السهل في الماء العكر يوضع تحت عناوين مثل "خلاف حول.."، أو "غضب عارم على.."، أو "غضب حانق من..". أما النتيجة فقصص متوقعة ومبتذلة وخيالية وليس لها وجود إلا على صفحات الجريدة التي تنشرها.

من الأشكال الشائعة الأخرى إضافة "النزاع" إلى القصة الخبرية في محاولة "لتنشيط" شيء حدث أو أعلن في وقت سابق. ويطلب من الخصم المتوقع التعليق على ما حدث، ثم تنقل معارضته في مقدمة القصة باعتبارها "نزاعا غاضبا تفجر الليلة الماضية حول..". وبغض النظر عن الإثارة المصاحبة لكلمات مثل "تفجر" و"نزاع غاضب"، فإن هذا الأسلوب يضعف القصة بدلا من أن يقويها.

لكن الاختبار النهائي لقصص "النزاع والخلاف" هو التالي: هل سمعت في حياتك قارئا يناقش قصة "النزاع والخلاف" بتعابير مشابهة لتلك التي توردها الصحف؟

"هنالك نوعان من الصحافة: الصحافة التي تحاول قول الحقيقة وتلك التي تتعامل مع الخبر وكأنه استعراض"

ماكس هاستينغز.

5

البحث

"حين أتى النداء في منتصف الليل، كان على الإطفائي ارتداء لباسه بسرعة وإطفاء النار. أما المراسل فعليه أن يخبر مليون شخص من أشعل عود الكبريت ولماذا؟".

مورت روزبنلوم، اسوشييتد برس

لا ينبغي عليك تحرير القصص الخبرية والحكم عليها قبل أن يتضح أمر واحد: فأكثر الأسباب شيوعا وراء فشل القصص ليس الأسلوب السيئ في الكتابة، أو ضعف البناء، أو الاقتباسات المزيفة، بل البحث غير الكافي. ولن تستطيع الجمل والعبارات المنمقة إخفاء ذلك عند كتابة التقارير الصحفية. فإما أن تمتلك المادة الخام أو لا.

إن امتلكت المادة الخام امتلكت الوسيلة الناجحة لكتابة قصة خبرية واضحة، خالية من الفجوات، تتمتع بمنظور قوي وأصيل، وتورد أمثلة حية أو حكايات طريفة، إضافة إلى فهم متعمق لأهمية الأشياء. ويمكن لقصتك أن تكون متماسكة ومحكمة نظرا لانتفاء الحاجة إلى التطويل والإسهاب.

إذا افتقدت المادة الخام، ستكون قصتك مشوشة وغامضة، ومليئة بالفجوات نتيجة غياب المعلومات أو التفسيرات. وستصبح لغوا فارغا وجامدا يبعث على

الملل. في أفضل الحالات ستكون ما يدعوه محررو ومدراء الأخبار "التحويم حول المكان"، أي مجرد "جولة" حول النقاط الواضحة والمألوفة في القصة.

إذن، ماذا تفعل للحصول على المادة الخام؟ أولا، يجب أن تعرف عموما ما الذي تبحث عنه. ثانيا، عليك أن تعرف من أين تحصل على ما تريد، أو على الأقل أين ومن تسأل.

ما الذي يجب أن تبحث عنه

ابدأ بالأساسيات: من، ماذا، أين، متى، كيف، لماذا - لكن لا تتوقف هنا. فما أنت بحاجة إليه قبل كل شيء هو التفاصيل والرواية التي توضح الأساسيات. هذه المعلومات الإضافية هي التي تميز عموما بين النسخة العادية من القصة والنسخة الجيدة. خذ أي قصة مهمة في أي يوم وتفحص الروايات المختلفة عنها في مختلف الصحف. إن غنى بعضها - مقارنة بالأخرى - هو ما يثير انتباهك.

التفاصيل

جمع التفاصيل أمر حاسم الأهمية بالنسبة للبحث. فإن كنت تكتب تقريرا صحفيا عن حدث ما، عليك أن تبني ترتيبا زمنيا مفصلا لما حدث، بحيث تستطيع "تشغيل شريط فيديو" لعرضه في رأسك. صحيح أنه لن يكون "فيلما" مكتملا (لقطة وراء لقطة)، لكن يجب أن يكون ذلك هدفك. لن تستخدم هذه التفاصيل جميعا، لكنك لن تعرف المعبرة والمهمة منها قبل أن تبدأ كتابة القصة. فليس هناك تقريبا تفاصيل صغيرة لا ينبغي جمعها، ولربما يضيف أصغرها قيمة كبيرة للقصة يتجاوز حجمه بمراحل. على سبيل المثال، يمكن لوصف جريمة أن يشير إلى أنها ارتكبت في الريف ويذكر حتى التاريخ: في الأول من أيار/ مايو. لكن إذا ذكرت في قصتك أنها ارتكبت في مزرعة يوم الاحتفال بمقدم الربيع، ستصبح أقوى إثارة وأشد تأثيرا. والأفضل من ذلك أن تدخل المشهد وتصفه: حديقة الكوخ حيث وجد سلاح الجريمة، جدران المطبخ

الوردية، الزهور المزروعة في الأصص عند الباب الخلفي.. الخ. في أحيان كثيرة، يمكن لأقسام من التقرير (أو حتى للتقرير برمته) أن تتعلق بأصغر التفاصيل. كما قد تكون أكثر التفاصيل أهمية وقيمة هي تلك التي لا تتوقعها، بما فيها المنسجمة والمتنافرة على حد سواء.

التفاصيل مهمة على نحو خاص حين تكتب تقريرا، أو مقالة إخبارية حول موضوع محدد بعد أن تشيع القصة الأساسية يوما أو يومين. في إحدى المرات، ارتكزت مقدمة مقالة بيل كونور ("كاساندرا" في "ديلي ميرور") التي كتبها حول موت ستالين بعد عدة أيام من الحدث، على معلومة تفصيلية تشير إلى أن الوحش العجوز، الذي أرسل العديد من مواطنيه الروس إلى حتفهم قبل أن يحين أجلهم، توفي عن عمر ناهز الثالثة والسبعين على فراشه "بين الملاءات المريحة".

الحكاية

الأمر نفسه ينطبق على الحكايات والأمثلة. لكن يجب ألا تكون مسهبة (وإلا سوف تطغى على الاندفاعة الرئيسة للقصة)، وفي الحقيقة فإن أفضل الحكايات والأمثلة في التقارير الإخبارية هي الأحداث أو الوقائع التي تلخص بجملة أو اثنتين. إن قصة تدور حول قرار غريب اتخذه مجلس بلدة صغيرة سوف يكون نابضا بالحياة إذا تضمن بعض الحكايات عن ماضيها. ولربما لا تتجاوز هذه مجرد ذكر حادث أو اثنين من التاريخ، عن شخص مشهور من سكانها المحليين، أو حتى نقش على لحد في المقبرة المحلية. لكن بمقدورك التأكد من أنها ستكون أشد إثارة، وتوفر للقارئ معلومات أوسع، من الاقتصار على الاقتباسات المتوقعة من أبطال القصة.

الخلفية

تتعلق الخلفية بما تجمعه من معلومات حول أي قصة، حتى أكثرها إيجازا واختصارا. ينبغي عليك البحث عن مكان وزمان الحدث، وسياقه، والأجزاء

ذات الصلة بتاريخ الموضوع أو القضية. ولربما لا تزيد الخلفية عن فقرة أو اثنتين، أي تاريخ وجيز للقضية. وقد تشمل بعض التشبيهات والمقارنات الأوسع نطاقا. فمن الأفضل لقصة تدور حول محاولات السلطات في بلدك أو مدينتك الحد من استخدام السيارات داخل المدن مثلا، أن تتطرق إلى السياسات (الناجحة والفاشلة) التي تم تبنيها في أماكن أو بلدان أخرى. ونادرا ما تكون القصص الإخبارية عبارة عن أحداث تندلع بشكل فجائي؛ بل هي في معظم الأحيان جزء من سلسلة متتابعة.

المنظور

يمكن للسياق أحيانا أن يشكل الجزء الحيوي والمهم من القصة، حيث يضع الحقائق أو التطورات في إطار منظور مناسب، بل حتى أقل درامية. وهذا أمر مهم على نحو خاص حين يصدر أحدهم إنذارا مرعبا حول الصحة أو السلامة العمومية. والقصص المتعلقة بالمخاطر الصحية في البيئة مثلا يمكن أن تصبح مبالغة سخيفة إلا إذا وضعت ضمن منظور محدد. فهل تظن أن القصة جيدة حين تشير إلى احتواء عينة من ماء البحر6000 من الجزيئات السامة؟ لربما تفكر بصدر الصفحة الأولى إلى أن تعلم بأن ذلك يحدث حين تفرغ زجاجة تحوي نصف لتر من السم في محيطات الأرض. كما أن العديد من القصص المتعلقة بالمبيدات الحشرية تصبح أكثر دقة وذكاء إذا قارنت المخاطر مع حجم المواد الكيميائية المبيدة التي توجد بشكل طبيعي في الريحان والفول السوداني والفطر.

هنالك صحفيون يظنون بأن مهنتهم تتطلب مسرحة كل شيء، لكن قدرا بسيطا من التفكير المتعمق سوف يظهر مدى خرق هذه الطريقة. لنتذكر ردة فعلنا على أولئك المحيطين بنا الذين يحولون كل شيء إلى ميلودراما. في النهاية، نعتبرهم أغرارا يسهل خداعهم ولا يعتمد عليهم ويملؤون نفوسنا بالضجر. لمَ ينبغي على القراء التفكير بشكل مختلف بنا إذا أغفلنا السياق والمنظور من أجل المبالغة في كل قصة؟

المصدر

البحث يتعلق بمعرفة أين تخبأ - أو قد تخبأ - المعلومات. لذلك، ينبغي أن تكون شهيتك لجمع المصادر المحتملة للمعلومات بقدر نهمك للمعلومات نفسها. هذه المصادر تنقسم إلى ثلاث فئات: الشبكة الإلكترونية (التي سنفرد لها فصلا من هذا الكتاب)، المصادر البشرية، والمصادر المطبوعة.

المصادر البشرية

أكثر المصادر شيوعا: بدءا بالناطقين الرسميين، مرورا بالمسؤولين والسياسيين الذين تقابلهم بانتظام، وانتهاء بالأشخاص الذين تتحدث معهم مرة واحدة وقد لا تقابلهم بعدها. كما تمتد لتضم الأشخاص الذين لا يحلم الصحفيون الأغرار بالاتصال بهم. فإن كانت هنالك قاعدة ذهبية للبحث الناجح فهي: لا تخف أبدا من السؤال. فأسوأ ما يرد عليك من تسأله هو "لا"، ولسوف يذهلك حجم العون الذي تحصل عليه. نقدم فيما يلي بعضا من الإرشادات الأخرى:

اجمع/ وركز على أرقام الهواتف

الوسيلة الأساسية هنا مفكرة مرتبة مفصلة تضم أسماء المصادر، وعناوينهم، وأرقام هواتفهم (وأجهزة الفاكس إن أمكن). وحين تكون بمفردك في مكتبك والوقت متأخر، وتكون بحاجة ماسة للمعلومات، سوف تكتشف أهمية مثل هذه المفكرة. لذلك يجب عليك أن تدون كل اسم تحصل عليه، وتستخدم كل وسيلة ممكنة لإضافة المزيد من الأسماء. حاول جمعها بأي طريقة من الزملاء وحتى المنافسين، وحين تقرأ صحيفة أو مجلة سجل أسماء الخبراء الذين يمكن أن تستفيد منهم، ثم جرب الحصول على أرقام هواتفهم. إياك أن تسقط - كما حدث معي في أحيان كثيرة - في شرك التفكير بأنك لن تحتاج رقم هذا الشخص أو ذاك مرة أخرى، فتمتنع عن نقل اسمه من دفتر الملاحظات إلى المفكرة التي تضم أسماء مصادر المعلومات. من المؤكد أنك ستحتاجه في وقت ما، وسيؤدي غيابه إلى مشكلة حقيقية.

هنالك عدد كبير من الأشخاص يحصلون على أجر مقابل مساعدتك

عدد الذين يقدمون يد المساعدة للصحفيين يفوق خيالك. ولربما لا يعلمون هم بذلك. كم عدد البحيرات في "منطقة البحيرات"؟(*) كم يبلغ عمق ذاك المحيط؟ ما ارتفاع هذا الجبل؟ هنالك شخص يعمل في سفارة، أو هيئة للسياحة، أو مركز للزوار ويمكن أن يعطيك جوابا فوريا. إن أردت معلومات حقيقية ودقيقة وسريعة، اذهب أولا إلى أولئك الموظفين الذين تدفع لهم الدولة لمساعدة الناس على معرفة الموضوع المعني. في بلد مثل بريطانيا، هنالك عشرات الألوف من هؤلاء الموظفين. حاول الاستفادة من المعلومات التي يقدمونها، فهم يقبضون رواتبهم لمساعدتك.

مهما كان الموضوع، لابد من وجود خبير متمرس فيه

يوجد عدد مذهل من الأماكن والأشخاص تستطيع من خلالهم الوصول إلى الخبراء المتخصصين بمختلف جوانب الحياة الغامضة بالنسبة لك. المعاهد المهنية، والجمعيات التجارية، والمتاحف المتخصصة، تضم غالبا خبراء متخصصين في مجالاتها، أو تستطيع إرشادك إلى سبل الوصول إليهم. على سبيل المثال، لنفترض أنك ترغب بالتحدث إلى خبير في الإنقاذ البحري. يمكنك زيارة المتحف البحري الوطني، وجمعية الغطاسين، وشركة للتأمين البحري، وضابط في المكتب الصحفي للبحرية، والاطلاع على مجلة التاريخ البحري، بل حتى الدخول إلى مكتبة المجلس المحلي للمدينة الساحلية – وذلك قبل البحث في الشبكة الإلكترونية، أو في الجرائد والمجلات للعثور على أسماء الخبراء التي ظهرت في التحقيقات الصحفية السابقة حول الموضوع. بعض المؤسسات، مثل المكتبات والمتاحف المحلية، تحتفظ بقاعدة بيانات للخبراء المتخصصين حتى بأكثر الموضوعات غموضا وسرية.

(*) منطقة سياحية شهيرة في شمال غرب إنكلترا تضم جبال كامبريا وخمس عشرة بحيرة. (م)

عندما تتعدد الخيارات أمامك، فكر قبل أن تقرر بمن تتصل

الخطأ الشائع في البحث هو سؤال الشخص غير المناسب. فالكثير من المعلومات التي تريدها ستكون متوفرة لدى تشكيلة متنوعة من المصادر، لكن من المرجح أن تتفاوت قدرتهم أو رغبتهم في مساعدتك. فإن أردت مثلا معرفة الهامش الربحي الذي تفرضه محلات الأحذية على البضاعة المستوردة، لا تتصل بالمتجر المعني مباشرة. لأن عبارة "الهامش الربحي" وحدها ستثير حفيظة مديره - وبدلا من ذلك حاول الاتصال ببائع الجملة أو الشركة المصنعة، ثم عرج على المتجر للحصول على الملاحظات والتعليقات.

جرب وسائل إعلامية أخرى

سمعت ذات مرة وأنا في موسكو عن أستاذة روسية أوقفتها سلطات الهجرة في سان فرنسيسكو (في الولايات المتحدة) في انتظار ترحيلها تحت ظروف غير عادية. بدت القصة جيدة. المشكلة أنني لم أكن أعرف رقم هاتف محاميها أو سلطات الهجرة الأمريكية؛ فقد كانت السفارة الأمريكية مغلقة، ولم يرد في الأنباء شيء عن الحادثة، وكنت بحاجة لإرسال القصة بخلال ساعة. بعد محاولتين فاشلتين، تمكنت من الحصول على رقم هاتف مكتب "اسوشييتد برس" في سان فرنسيسكو، فاتصلت به على الفور وحصلت على جميع الأرقام الضرورية، بما فيها رقم زوج الأستاذة الأمريكي، الذي حصلت منه على أرقام أولئك الذين ينظمون حملة لصالحها. الصحف المحلية تستحق دوما الاتصال بها في مثل هذه الظروف، حيث يمكنك الحصول على المعلومات المهنية أو النشرات المجانية المهمة لمقالك الصحفي.

الوقاحة لا تضر

أكثر الكلمات التي يقولها المراسل الصحفي إثارة للأسف والرثاء هي: "لا أستطيع اكتشاف حقيقة الأمر. لقد طرقت كل سبيل". حقا؟ في 99٪ من الحالات لا ينطبق هذا القول على الواقع. فلا بد من وجود مزيد من السبل لم

يطرقـهـا، وهـنالك علـى الدوام - تقـريبـا - أمـاكن يمكن الحـصـول منهـا على المعلومـات المطلوبة. تخيـل هذه الحـالة: أنت في مكتبك وقد تجـاوزت السـاعـة العاشرة ليـلا، وسمعت أن أحد مـواطني بلدك قد ألقي القبض عليه في ميامي بتهمة السطو المسلح أو تهريب السـلاح. ما الذي ستفعله؟ السفارة الأمـريكيـة في مـدينتك مـغلقـة، وقنصليـة بلدك في مـيـامي لا ترد علـى الهـاتف، ومكتب التحقيقات الفيدرالي في نيويورك لا يعرف شيئـا عن القضية، وكذلك مكتب وكـالة "اسـوشـيـيـتـد برس" في المدينة. حين حـدث ذلك مـعـي، اتصلت بمكتب بطاقـات الائتمـان "أميركـان اكسـبـريس" في ميـامي، وادعيت أنني أحمل إحدى هذه البطـاقـات (وكنت صـادقـا، لكن لا ضـرورة لـذلك نظرا لـعـدم وجـود من يتحقق من الأمر)، وطلبت أرقام هواتف الشرطة المحلية، ومكتب المدعي العام، والسجن. وسرعان ما كتبت قصتي.

المصادر المطبوعة

هنـالك نوعـان أسـاسـيـان من المصـادر المطبـوعـة: الكتب، والصـحـف وقصاصاتها.

الكتب والفهارس والقوائم المبوبة

قـد يمضي المراسل الصحفي سـاعـات باحثـا عن حقيقـة يضمهـا كتـاب مرجعي على مبعدة ذراع منه. ومثلما هي الحال مع المصادر البشرية، فإن المهم هو مـعـرفـة مـا هو مـتوفـر وأين يمكن العـثـور عليـه. وهـذا يشـمل تمييـز أمناء المكتبـات الذين يعـرفـون مكان المعلومـة التي تبـحث عنهـا. ولسـوف تفـاجئ من مدى استعداد هؤلاء لمساعدتك لمجرد متعة إثبات قدرتهم وكفاءتهم.

بالنسبـة للصـحفيين، تسـتـخدم الكتب لأربعة أغـراض: التـحـقق من تهـجئـة الكلمـات والتـواريخ، والحـصـول على الحـقـائق الأسـاسـيـة، وعلـى أسـمـاء المصـادر المحتملة من الكتب السنوية (التي تضم المعلومات المستجدة عن موضوع معين)، وعلى الوقائع التاريخية أو الحكايات الطريفة الوجيزة لإضفاء الحياة والنشاط

على القصة الإخبارية. لكن يجب الاحتراس - بالنسبة للفئات الثلاث الأولى - والتأكد من أن النسخة التي تأخذ منها المعلومات جديدة ومنقحة.

عمليا، يعني ضيق الوقت المتاح أن زيارات المكتبات ليست ممكنة على الدوام، وأن استخدامك للمصادر المطبوعة يعتمد عادة على ما هو متوفر لديك في المنزل أو المكتب. ولهذا السبب، إضافة إلى شهيتي الطبيعية المفتوحة دوما للتوافه وما يسمى بـ"المعلومات عديمة النفع" (التي كثيرا ما تكون نافعة جدا)، جمعت على مر السنين مجموعة من كتب الحقائق الغريبة. هاهي تربض على الرفوف فوقي - وأنا أطبع هذه الكلمات: كتب عن اليوميات، والأحداث المرتبة حسب تسلسلها الزمني، والحياة العاطفية والغريبة والأصول الغامضة للأثرياء والمشهورين، ومنشأ الحكم والأمثال والشعارات، وأصول الشخصيات الشهيرة في القصص، والإعلانات المبوبة الغريبة، والأوائل، والابتكارات والاختراعات، وموسوعات الجريمة، وقصص الأغاني.. الخ. لقد أسهمت جميعا في تزويد القصص الإخبارية والأعمدة الصحفية بالفقرات الوجيزة المفيدة، وفي بعض الأحيان وفرت المادة اللازمة لمقال صحفي كامل.

القصص الإخبارية في الصحف الأخرى كمصادر

من الشائع أن يطلب منك تحليل قصة إخبارية ظهرت في صحيفة أخرى وكتابة ما يماثلها. ينبغي عليك أن تحاول مضاهاتها، وألا تكتفي بتكرار ما جاء فيها. فإن لم تتمكن من الحصول على أي مصدر جديد للمعلومات لتدعيم وتوكيد قصتك، بينما يصر رئيسك على كتابتها، اقتبس من الأصل ولا تنسى الإشارة إلى الصحيفة الأولى.

المصدر المكتوب الذي ينبغي التعامل معه بعناية شديدة هو قصاصات الصحف. فمجرد ظهور الخبر مطبوعا لا يعني أنه صحيح وصادق. فلربما صحح فيما بعد أن تعرض لإجراء قانوني - وهذا ينطبق أيضا على الصحافة الإلكترونية وغيرها من قواعد البيانات.

حاذر من العبارة التي تقول "كل المصادر تورد هذا الخبر، ولابد بالتالي أن يكون صحيحا". وكثيرا ما يكون صادقا، لكن لا تعتمد عليه. في خريف عام 1989، حين كانت تشيكوسلوفاكيا (السابقة) على شفا ما سيعرف لاحقا بـ"الثورة المخملية"، أبلغت امرأة شابة المراسلين الصحفيين أن ضباط الشرطة اعتدوا بالضرب على طالب يدعى مارتن سميد، مما أدى إلى وفاته. شاعت القصة محليا وبدأ الناس زيارة الموقع الذي توفي فيه الطالب، وسرعان ما اكتسب هالة القداسة. أوردت وكالة "رويتر" القصة، وذكرت وكالة الصحافة الفرنسية أن ثلاثة شبان قتلوا أيضا.

فشلت وكالة "اسوشييتد برس" في الحصول على القصة. وغضب مدراء قسم الأخبار من مدير مكتب براغ وطالبه بالعمل بسرعة لتزويدهم بالتفاصيل واللحاق بركب المراسلين الآخرين. مدير المكتب، اوندريه هيما، كان عازف غيتار جمع الصحافة مع موسيقا "الروك"، وتفوق في المجالين معا. لم يصدق التقارير السابقة حول الطالب، وبدأ تحقيقاته. جال هو وزوجته الطبيبة في المستشفيات والمشرحات المحلية، في محاولة للعثور على من عالج الطالب سميد، أو قام بتشريح جثته. ولم يجد اوندريه أي دليل يثبت قصة سميد، وبعد عدة أيام اضطرت الوكالات المنافسة لنفي وجود شخص يدعى سميد توفي على الرصيف في أحد شوارع براغ.

> ***"لا يوجد جهاز استخباري، ولا بيروقراطية، يمكن أن يقدما المعلومات التي يوفرها المراسلون الصحفيون المتنافسون؛ فأذكى عميل سري في الدولة البوليسية يظل أدنى منزلة وقدرة من المراسل المتعب في الدولة الديمقراطية".***

هارولد ايفانز

6

تحكم بالمصادر ولا تدعها تتحكم بك

"حقيقة أن الرجل مراسل صحفي دليل يثبت عيبا في الشخصية".

ليندون ب. جونسون، رئيس الولايات المتحدة (1963 -1968)

قبل عشرين سنة، لم تكن مصادر الأخبار في مدينة عادية تزيد عن صحيفتين اثنتين، ومحطة إذاعية، وأخرى تلفزيونية. أما اليوم فقد انتشرت منافذ الأخبار وتزايدت إلى درجة أن أي مصدر رسمي محلي يتعامل ربما مع صحيفتين، وعدة نشرات إخبارية، ومجلة محلية متخصصة في الأعمال التجارية (أو اثنتين)، ومحطتي بث إذاعي، ومحطة تلفزيونية، وثلاث قنوات كبلية، إضافة إلى عدد متزايد بسرعة من مواقع الأخبار على الشبكة الإلكترونية.

هذا النمو المتزايد سرّع إلى حد كبير نزعة المؤسسات الرسمية إلى تفويض المحترفين المتخصصين بتولي مهمة العلاقات الصحفية. كما أشار في مدلوله إلى وجود مزيد من الصحفيين الباحثين عن المعلومات مقارنة بقلة قليلة منهم في الماضي. في هذه الأيام، من المرجح أن تكون واحدا من كثيرين، وسوف تجد أنك لا تتعامل مع الشخص العارف والخبير بل مع الناطقين باسمه. إذن، كل ذلك يدعونا لمعرفة كيفية التعامل بحرفية مهنية مع المصادر، والاستفادة إلى أقصى قدر ممكن من (وأحيانا إضعاف) القنوات التي تفضل المؤسسة الرسمية أن تنقل المعلومات عبرها. فبالرغم من أن معظم هذه

التعامـلات مـع المصادر هـي روتينية، ولا تزيد عن كونها صفقات مباشرة يكسب فيها الطرفان، إلا أنك ستخوض أحيانا لعبة ذكاء على قدر كبيـر من التنافس مع المصادر للتأكد من أن النسخة الأصدق والأكمل من القصة هي التي قدمت، وليست تلك التي تخدم المصلحة الذاتية ويفضلها المسؤولون الرسميون.

دلائل إرشادية للتعامل مع أي مصدر

قبل التفكير بالخصائص المحددة للتعامل مع المصادر الرسمية، وتقنيات إدارة الأخبار، والمصادر المثيرة للخلاف والنزاع، وبعض الأخطار الأخرى، نقدم هنا بعض الدلائل الإرشادية الأساسية للتعامل مع أي مصدر للمعلومات:

عرف عن نفسك على الدوام

حين تخفـي مهنتك فإنك تخدع الناس للحصول على المعلومات، وهذا لا يعتبر غشا فقط بل قد يعرضك للخطر أيضا. فكثيرا ما يتكلم الناس بحرية إلى أن يعرفوا أنك صحفي، ليصبحوا أكثر حذرا وتحديدا للمعلومات التي يقدمونها. لأنهم الآن يتحملون بعض المسؤولية حول نوعية هذه الحقائق، بدلا من مجرد الحديث العابر الذي يفتقد التروي والتفكير. إن عدم التعريف بمهنتك يدفع الناس إلى المبالغة والتهويل كما يفعلون عادة في أحاديثهم الودية وغير الرسمية. الفصل العاشر المتعلق بالصحافة الاستقصائية سوف يتناول الأوقات النادرة التي يمكن خلالها تبرير إخفاء هويتك.

كن عادلا ونزيها مع مصادر المعلومات

صدق أو لا تصدق: الصحافة تشبه كثيرا الحياة الواقعية. ومن هذا المنبع تتدفق الحقيقة الصارخة التي تقول: إذا أردت من مصادرك مساعدتك، فإن التعامل معهم بود وصدق وأمانة ونزاهة أفضل كثيرا من الاستئساد عليهم، أو خداعهم، أو ترهيبهم. النزاهة أمر حيوي على نحو خاص. فإن تعرضوا للانتقاد أو الاتهام بإساءة التصرف، فلا ينبغي أن تكتفي بعرض الانتقادات والاتهامات عليهم، بل عليك منحهم الوقت الكافي للرد. وعشر دقائق قبل الموعد النهائي مدة غير كافية.

الموافقة على النسخة

إن عرض المقال بعد اكتماله - وقبل نشره - على المصدر هو استجداء للرقابة. أما السبب المعتاد المقدم فهو أن ذلك يمثل فرصة لتصحيح الأخطاء - وإن صدقت بأن ذلك هو الدافع الحقيقي، فلسوف تؤمن على الأرجح بأي شيء. إن عرض ما سيوصف حتما بـ"مسودة" القصة على شخص ما يشجع فكرة أنها عرضت لأخذ الموافقة، وبالتالي يمكن أن تخضع للتعديل. مهمة الصحفي تقديم نسخة صحيحة عن الحدث، لا نسخة تؤسس للتفاوض مع المصدر حول الموضوع.

التراجع

في مرات عديدة سوف يقول المصدر للمراسل شيئا يندم إليه فيما بعد. وليس ثمة معنى في تدرب الصحفي على الحصول على المعلومات الجيدة من شخص إذا منحه فرصة لاحقة لسحبها. لكن إذا رغب المصدر بتصحيح المعلومة التي زودك بها، فعليك أن تعطيه المجال لذلك، إلا إذا كان لديك سبب وجيه يدعوك للتفكير بوجود مكيدة مخادعة - في هذه الحالة عليك نشر النص السابق واللاحق. أما المصدر الذي يتوسل لسحب تصريحه السابق على أساس أن ذلك سيؤدي إلى طرده من العمل فهذا أمر مختلف. عليك التعامل مع مثل هؤلاء بدقة وعناية، ونقل المسألة إلى مديرك. المراسل ليس قاضيا؛ اترك الأمر للمحررين.

المال مقابل المعلومات

هذه قضية أخرى يمكن للمراسلين الصحفيين أن يتركوا أمر معالجتها إلى رؤساء التحرير. فهؤلاء هم الذين يقررون هل بمقدورهم أن يدفعوا الثمن - ماليا أو معنويا - مقابل الحصول على المعلومات. أما أخطار الممارسة فواضحة لا لبس فيها. أولا، تحول القضية إلى سوق وتشجع المشاركين في القصص الإخبارية على المطالبة بالحصول على المال. ثانيا، لا يتمتع المخبرون المأجورون

بسجل مؤثر من المعولية والمصداقية. فهم يعرفون أن قوة القصة تتناسب طردا مع الأجر، ولذلك فهم يملكون حافزا مباشرا ومغريا للتلفيق أو المبالغة والتنميق. قبل بضع سنين، توجب على أكثر الصحف البريطانية شعبية وشهرة، "صن"، أن تدفع مليون جنيه إسترليني تعويضا عن الضرر الذي لحق بالمغني التون جون، نتيجة تصديقها، ونشرها، قصة مختلقة باعها لها أحد المثليين. المثال ليس الوحيد، كما أن الأمثلة على خداع الشخصيات العامة الذي افتضح من خلال القصص المدفوعة الأجر كثيرة ومتوفرة. ومن المفهوم أن تتعرض صحف الإثارة لإغراء دفع المال مقابل القصص والمعلومات.

المصادر الرسمية

وهي مصادر مفوضة بتزويدك بالمعلومات - بدءا من صاحب المتجر الذي يعلق على أحوال التجارة، وانتهاء بكبير الناطقين الصحفيين باسم رئيس الحكومة الذي يدلي بتصريح عن أسباب استقالته. وهؤلاء يضمون مجموعة متنوعة ومتفاوتة من الأشخاص الذين يتصفون بكل سمات البشر: فمنهم المفيد والعنيد والمشاكس والخبير والعارف والجاهل والأحمق. لكن معظمهم يقدمون العون والمساعدة للصحفي إذا عرف الأسلوب الصحيح لمقابلتهم.

حين يتعلق الأمر بالتعامل مع إدارات العلاقات العامة والمكاتب الصحفية، فإن الأشخاص المفوضين رسميا بإعطاء التصريحات ليسوا بالضرورة الأكثر معرفة واطلاعا. بعضهم يتمتع بمعرفة جيدة بالمؤسسة ويمكن أن يجيب بالتفصيل عن الأسئلة المطروحة. بعضهم الآخر يلعب دور الوسيط، حيث يكتفي بنقل أسئلتك إلى المسؤول المعني ويعود منه بالأجوبة، مع حتمية خسارة الجدة - وضياع فرصة المتابعة. لهذا السبب، حاول الاتصال بالمسؤولين الذين يوفرون لك المعلومات بصورة مباشرة، لا عن طريق موظفي العلاقات العامة العاملين تحت إمرتهم.

حدثت في السنوات الأخيرة تغييرات جذرية في طريقة تعامل المؤسسات التجارية والسياسية والحكومية الكبرى مع وسائل الإعلام. كما جأر

الصحفيون بالشكوى من الظلم في "إدارة الأخبار" ومن "محرفي المعلومات". كل ما حدث هو أن هذه المؤسسات والهيئات بدأت بتوظيف ناطقين صحفيين أكثر ذكاء من الصحفيين. أما النتيجة فهي مقاربة أكثر تطورا وتعقيدا (رغم أنها نادرا ما تكون بارعة) للتعامل مع وسائل الإعلام، أهم ملامحها الفعل الاستباقي بدلا من رد الفعل المتأخر. ينبغي أن نتذكر النقاط التالية.

محرفو المعلومات

كثيرا ما تطبق العبارة خطأ على موظفي العلاقات العامة جميعا. فقد استخدمت أصلا لوصف العاملين في الحملات السياسية الذين انحصرت مهمتهم في "الدردشة" الودية مع الصحفيين بعد الاستفتاءات الجديدة، ومناظرات المرشحين.. الخ، وتقديم تفسير إيجابي من منظور أحزابهم للتأثير في الرأي العام. ثم بدأت تطبق تدريجيا - بشكل خاطئ - على كل من يعمل في العلاقات العامة أو تحسين الصورة أمام الجمهور. "محرف المعلومة" الحقيقي هو شخص يعمل في المجال السياسي باعتباره كبير الناطقين الصحفيين أو كبير المعاونين. وبغض النظر عن البيانات والمؤتمرات الصحفية الروتينية، يحاول تفسير الأحداث للصحافة نيابة عن/ وباسم رئيسه، وتوقع الأخبار السيئة (وتحويل الانتباه عنها)، وإدارة كل الأمور بطريقة تساعد قضيته.

في هذه الحالة الأخيرة يضلل "محرفو المعلومات" معظم الصحفيين. فخوفا من الأخبار السيئة الوشيكة مثلا، يوجزون للصحفيين أن النتائج المتوقعة تقترب من حافة الكارثة بحيث يمكنهم حين تظهر النتيجة الفعلية أن يفاخروا بنصرهم ,ويبدو أن وتيرة تكرار هذه الخدعة الممجوجة التي تمارس على الصحفيين لا تعرقل نجاحها.

لكن محرفي المعلومات الحقيقيين يتمتعون بميزة يتفوقون بها على أولئك الأقل أهمية في مهنتهم. فهم قريبون، بل قريبون جدا، من رؤسائهم، وكل ما يصرحون به يحظى بسلطة مرجعية جدية. كما يمضون جزءا كبيرا من حياتهم

وهم يتعاملون بشكل مباشر مع الأسئلة الروتينية، ويعتبر أفضلهم مصادر للمعلومات لا تقدر بثمن. تأكد من حماية نفسك عبر طرح السؤال التالي باستمرار: لماذا يبلغوني بذلك؟

إدارة الأخبار

للمؤسسات العامة أو الخاصة، التجارية أو السياسية، عدد كبير من التقارير والبيانات والتصريحات التي ترغب، أو تجد أنها ملزمة، بإعلانها. وليس من المفاجئ أن تسعى لاختيار أفضل الطرق وأنسب الأوقات للقيام بذلك. وفي الحقيقة، كثيرا ما تكون "إدارة الأخبار" هذه مفيدة ومساعدة، حيث تضمن أن يملك الصحفيون الوقت الكافي للكتابة عنها، أو تجنب التضارب بين إعلان التقرير والأحداث الهامة.

لكن من غير المستبعد اللجوء إلى الاحتيال والخداع، حيث يتخذان هنا ثلاثة أشكال رئيسة ترتبط على الدوام تقريبا بالمعلومات التي تخشى المؤسسة من تأثيرها السلبي. الأول التلاعب بتوقيت إعلان المعلومات ليتزامن مع أقل اللحظات ملائمة في دورة الأخبار – مثل الهزيع الأخير من الليل، أو ساعة متأخرة من أصيل يوم الجمعة. وبذلك يزداد احتمال تجاهلها أو التعامل معها بدون ما تستحق من اهتمام. الثاني هو تسريب الجزء الرئيس من القصة إلى وسيلة إعلامية متعاطفة أملا بأن تصبح القصة، بحلول الوقت الذي تتناقلها وسائل الإعلام الأخرى أو تتلقى المعلومات عنها من خلال القنوات السرية، قديمة أو تحدد "جدول أعمالها". الشكل الثالث من الخداع هو تغطية "مرارة" الخبر السيئ بـ"حلاوة" الخبر السار، ومن ثم نشره باعتباره الجزء الرئيس من التقرير.

على سبيل المثال، حددت الحكومة البريطانية عام 1999 موعدا لإعلان أرقام جديدة للائحة الانتظار في المستشفيات. ولأنها تعرف مسبقا أن الأرقام سيئة، وتسعى لتجنب العناوين المعادية في الصحف، فقد أعلنتها في نفس اليوم الذي ظهرت فيه نتائج امتحانات المدارس السنوية (وهي على ثقة بأن

النتائج ستغطي على أرقام وبيانات المستشفيات). كما ألحقت خبر أرقام المستشفيات بخبر تخصيص منحة بقيمة ثلاثين مليون جنيه لتحسين الوضع. نجحت الحكومة في مسعاها. إذ لم تفرد الصحف مكانا بارزا للقصة، ولم يتجاوز الخبر في الصحيفة التي كنت أعمل فيها ثلاث فقرات. وحين اكتشفنا حقيقة ما حدث (أظهرت الأرقام زيادة في قوائم الانتظار بنسبة 64٪ بخلال سنتين) نقلنا القصة إلى الصفحة الثانية. أما السبيل الوحيد لتوقي هذه وغيرها من أشكال إدارة الأخبار فهو استعمال ذكائك.

منع الوصول إلى المعلومات

في بعض الأحيان يشعر المسؤولون في المؤسسات بالاستياء من التغطية الصحفية إلى درجة منع الوصول إلى المعلومات المتعلقة بها. هذه الممارسة النادرة والفظة لا تظهر إلا في الصحافة الفنية، حيث تسبب المراجعة النقدية الضيق والانزعاج للقائمين على المسرح أو صالة العرض إلى حد أنهم يفرضون حظرا على الناقد المعني. وتبدو صناعة السينما نزاعة على نحو خاص لهذا النوع من الرقابة. في الولايات المتحدة، وتبعا لدراسة أجرتها جامعة كاليفورنيا الجنوبية، منع الصحفيون من حضور العروض السينمائية أو تعرضوا للطرد من قبل أحد الاستوديوهات بسبب نبرة مقالاتهم أو خرق الحظر المفروض. جودي غيرستل على سبيل المثال، كتبت تقريرا صحفيا حول استجابة الجمهور الهزيلة لفيلم "هوك" إلى "ديترويت فري برس"، وسرعان ما نبذت من قبل الأستوديو، وانضمت إلى مقاطعتها شركتان أخريان ("ورنر" و"يونيفرسال"). في نهاية المطاف، ليس ثمة حل. فالمعلومات تخص الشركة، ولديها الحق القانوني (والأخلاقي) لتفعل بها ما تشاء. أما استجابة الصحف فيجب أن تتمثل في إبلاغ القراء بمحاولة التلاعب بالمعلومات، والتكاتف معا في المواجهة، فلربما تتعرض أي منها لذلك في المرة التالية.

التعامل مع المصادر غير المعتمدة رسميا

هذه المصادر ليست مفوضة رسميا بتقديم المعلومات التي تعلنها. قد يكون هؤلاء من الذين يفضحون الأخطاء في المؤسسة وعلى علاقة وثيقة بها، أو لا تربطهم أي صلة رسمية بالمعلومات. ويمكن أن ينقلوا الوثائق، أو يكتفوا بالإشارة إلى المكان الذي ينبغي التنقيب فيه. أما معلوماتهم فهي محل جدال وخلاف على الدوام، ولن يرغبوا - في البداية على الأقل - بالاستشهاد بهم في القصة. من مثل هذه المصادر يأتي بعض من أفضل القصص الإخبارية - ومعظم المشكلات إن كانوا على خطأ. عند التعامل مع هذه المصادر، عليك تذكر النقاط التالية.

اسأل نفسك ما هي دوافعهم

نادرا ما يقدم أحد العون والمساعدة للصحفي لأنه يتصف بالكمال والمثالية. فلربما يريد إلحاق الضرر بخصم سياسي، أو تجاري، أو شخصي، أو الترويج لقضية تهمه (أو إضعاف قضية خصومه)، أو الانتقام، أو مجرد إثارة المشكلات. وفي حين أن مهمة الآخر الانتقامية قد تكون مفيدة، لكن من الأفضل معرفة الدوافع منذ البداية. لذلك اسأل نفسك، ومصادرك أيضا، ما هي الدوافع والبواعث. صحيح أن حساباتهم قد لا تفقد القصة أهليتها، إلا أنها تشكل سببا وجيها للتعامل معهم بحذر.

اسأل نفسك، ومصادرك، ما هو الجانب الآخر من القصة

نادرا ما تكون حقيقة القصة التي يقدمها مصدر مثير للخلاف والجدل باللونين الأسود والأبيض كما يريدك أن تعتقد. وفر وقتك من خلال سؤال مصادرك هل يوجد جانب آخر للقصة، أو معلومات مهمة يجب أن تعرفها. هنالك أمور جنونية، ومرعبة، وعبثية تحدث فعلا: لكن ليس بالوتيرة التي تزعمها معظم المصادر. صحيفة "نيويورك بوست" كتبت ذات مرة على صدر صفحتها الأولى تحت عنوان رئيسي: "عار على المدينة - حكاية شنيعة عن

نيويورك في أسوأ أوضاعها"، قصة رجل اغتصب طفلة في الثالثة من عمرها على جانب أحد طرقات منهاتن السريعة والمزدحمة، بينما لم يحرك الناس ساكنا واكتفوا بمشاهدة ما حدث. هل تبدو القصة معقولة؟ في الحقيقة، شاهد ثلاثة سائقين رجلا يهاجم طفلة، فقفزوا من سياراتهم لمطاردته، في حين حوصر الآخرون في الزحام المروري. المثال يعبر بوضوح عن قصة خبرية اعتمدت على مصدر وحيد ولم تخضع للاستقصاء والتحقق.

هل يحتل المصدر موقعا يؤهله لمعرفة ما يزعم معرفته؟

العديد من المصادر المعرفة بالاسم تزعم مرارا وتكرارا أنها في موقع "يؤهلها لمعرفة أدق المعلومات"، بينما لا تحتل في الحقيقة سوى موقع هامشي. المثال التقليدي على ذلك تجسده تغطية الصحافة الغربية للأحداث في الاتحاد السوفييتي خلال العامين التاليين لثورة أكتوبر 1917. فقد حظر على المراسلين الغربيين دخول روسيا، ولذلك أرسلتهم الصحف إلى ريغا على بعد 300 ميل من بيتروغراد، حيث انحصرت مصادرهم الوحيدة في جنرالات ومسؤولي وسياسي النظام القيصري البائد. وكلهم زعموا أنهم في موقع "يؤهلهم لمعرفة أدق المعلومات"، بينما لم يكن أحد منهم كذلك في حقيقة الأمر. أما النتائج بالنسبة لصحيفة "نيويورك تايمز" فكانت "سوريالية"، وذلك تبعا للدراسة الشهيرة التي أجراها والتر ليبمان وتشارلز ميرتز. فبين عامي 1917 - 1919 ، أكدت الصحيفة أن الحكومة البلشفية قد سقطت أو على وشك السقوط (91 مرة)؛ وأن لينين وتروتسكي يستعدان للهرب من البلاد (4 مرات)؛ وأنهما هربا من روسيا فعلا (3 مرات)؛ وأن لينين أودع السجن (3 مرات)؛ وأن لينين قد قتل (مرة واحدة).

اطلب الوثائق بإصرار كلما أمكن

اطلب من المصدر دوما أي وثيقة تثبت ما يخبرك به. فإن رفض اطلب نسخة عنها؛ فإن رفض اطلب أن تتطلع عليها في حضوره على الأقل، وإلا

ارفض القصة بحزم وتجاهلها. أما في حالة حصولك على الوثائق، فتأكد من أنها أصلية وحقيقية. الفصل الثاني عشر المتعلق بالأخطاء والخداع يصف ماذا يحدث حين تكون الوثائق مزورة. في بعض الأحيان، تكون حتى الصور عرضة للشبهات والشكوك. يروي اد بيهر قصة تحذيرية في كتابه "هل تعرض أحد هنا للاغتصاب ويتحدث الإنكليزية؟" عن وكالة صحافة وزعت أدلة "فوتوغرافية" على الأعمال الوحشية التي ارتكبها أحد الأطراف في حرب أهلية في دولة إفريقية. الصور تعرض امرأة يغتصبها الجنود. كانت الصور دامغة ومقنعة إلى أن طلب رئيس المكتب الصحفي المحلي الحصول على الفيلم بأكمله. أظهرت الصور في بدايته مشاهد الاغتصاب المريعة، لكن في اللقطة الأخيرة، كانت "الضحية" تعانق أحد "مغتصبيها" وقد رسمت على وجهها ابتسامة سعيدة!

حاذر من الثقة بالمصدر حين يتعاظم حماسه وانفعاله

لا يعني الحماس والانفعال عدم الموثوقية، لكن كلما ازدادت مشاعر التعاطف لدى شخص تجاه حدث ما تضاءلت موثوقيته كشاهد عدل. لذلك يجب استجواب ومساءلة مثل هؤلاء المصادر بدقة وعناية. فكثيرا ما يكيفون الحقائق لتناسب نظرياتهم، كما تدفعهم مواقفهم إلى تجاهل المعلومات الأساسية. حاذر على وجه الخصوص من الناشطين والملتزمين بقضية ما، والموظفين المفصولين، والمطلقات، والمطلقين، والعشاق المهجورين. اطلب منهم إثبات ما يخبرونك به بواسطة أشخاص آخرين يتصفون بالنزاهة. وغالبا ما تدخل تعديلات فورية على روايتهم للأحداث.

المصادر المجهولة

الشعار المنطقي هو: ابتعد عن استخدام "مصادر رفضت الكشف عن اسمها" بقدر ما تستطيع. فإن لم تفعل، ستتراكم لديك مصادر عديدة لا يمكن أن تسميها. وحين تناقش بعض أنواع المعلومات المأخوذة من مصادر مجهولة

الاسم وضح لمصادرك بصورة لا لبس فيها ما اتفقتم عليه. وبهذه الطريقة تتفادى الجدل والخلاف فيما بعد. فهل سيقدمون لك المادة ثم ينبغي عليك توكيدها والحصول على المعلومات من طرف آخر (الخلفية)؟ أم يقدمون لك المعلومات على أساس أن المصدر مجهول الاسم، بحيث يمكنك استخدامها دون كشف هويته؟ تأكد من أن عبارة "مصدر رفض الكشف عن اسمه" تحمل المدلول نفسه بالنسبة لك ولمصدرك.

من المهم ألا تقبل بسهولة إحجام مصادرك ورفضهم الاقتباس عنهم. تشبث بإصرارك العنيد على ذكر أسمائهم. وقدم الحجة على أن أهمية القصة تعتمد على إثباتها من مصادر معروفة ومذكورة. فإن أصروا على البقاء "خلف الستار"، تابع اللقاء معهم ثم حاول في نهاية المطاف أن تقنعهم بقبول الاقتباس عنهم وذكر أسمائهم. فاوضهم. ولا تدعهم يقولون لك في نهاية المقابلة: "بالمناسبة، كل ما ذكرناه ليس للنشر". القاعدة هي: لا تكون مجريات اللقاء "ليست للنشر" إلا إذا اتفقت أنت ومصدرك على ذلك. وحالما يتم الاتفاق حافظ على كلمتك. ولا تذكر اسمه في القصة، وإن أراد البقاء خلف الستار، لا تكشف اسمه - أبدا - إلا أمام رئيس التحرير.

إحدى المشكلات الرئيسة الملازمة لأسلوب "ليس للنشر" طريقة استخدامه من قبل السياسيين ومستشاريهم لأغراضهم الخاصة التي تكون مشبوهة أحيانا. لتوضيح ذلك نعرض مثالا استخدمته جامعة هارفارد في حلقة دراسية لها حول الصحافة في موسكو:

> ***دعيت لإجراء مقابلة نادرة مع أحد كبار المستشارين الحكوميين. فأبلغك أن كل ما سيقوله ليس للنشر. وخلال المقابلة تحدث عن تغيير جذري في السياسة الاقتصادية. ملأت القصة كيانك بالإثارة ورجعت مسرعا إلى مكتبك لتكتبها، مستشهدا بـ"مصادر حكومية حسنة الاطلاع".***

لكن تبين أن الحكومة لا تنوي إجراء مثل هذا التغيير، وأن المستشار كان على علم بذلك عندما تحدث إليك، وأراد أن يزودك بقصة تشتت انتباه الرأي العام عن مشكلات أخرى تواجه الحكومة. من الأمور الأكثر شيوعا استخدام السياسيين أسلوب "ليس للنشر" في إيجازاتهم الصحفية لاختبار فكرة ما، فإن تعرضت للهجوم والانتقاد سارعوا إلى إنكارها. في الحالتين كلتيهما، سوف تتعرض للخديعة. فإن اشتبهت بفخ ينصب لك، حاول العثور على مصدر ثان للمعلومات.

المبالغة في الاقتراب من مصادر المعلومات

أخيرا، نعرض قصة توضح أخطار مغالاة الصحفي والصحيفة في الاقتراب من المصادر والتورط معها. القصة تدور حول رجل يدعى الفريد "جيك" لينغل، كان يعمل مراسلا لصحيفة "شيكاغو تريبيون" في أقسام الشرطة في عشرينات القرن الماضي. العديد من القصص الحسنة الاطلاع حول الجريمة المنظمة في شيكاغو أتت من هذا المراسل ومن معارفه ومصادره، كما تمتع بسمعة أسطورية لدى قرائه وزملائه. عاش لينغل حياة باذخة، ولبس أفخر الثياب، وامتلك عدة بيوت، رغم أن راتبه كمراسل لم يتجاوز 65 دولارا في الأسبوع. لكنه عزا ثراءه إلى مبلغ الخمسين ألف دولار الذي ورثه عن أبيه. وفجأة نضب مخزونه الضخم من قصص الجرائم في التاسع من حزيران/يونيو 1930. فحين كان يهم بالدخول إلى محطة القطار في "راندولف افنيو"، أطلق رجل يرتدي زي كاهن النار عليه وقتله في الشارع في وضح النهار.

جريمة القتل حملت كل سمات عالم العصابات والقتلة المأجورين المحترفين. وانفجر غضب الصحيفة التي يعمل فيها:

> *مدلول الجريمة واضح لا لبس فيه. فقد ارتكبت بدافع الانتقام وفي محاولة للتهديد والتخويف. كان لينغل مراسلا يغطي الأخبار في قيادة الشرطة المحلية، ويتمتع بمعرفة ودراية على نحو استثنائي.. لقد أضيف إلى لائحة أسماء أولئك الذين قتلوا في مذبحة عيد الحب [حيث قتل سبعة*

رجال في نزاع بين العصابات] اسم رجل كانت مهمته فضح أعمال القتلة.
"شيكاغو تريبيون" تقبل هذا التحدي. إنها الحرب.

دعمت الصحيفة كلماتها المتحدية بمكافأة بلغت 25 ألف دولار لمن يدلي بمعلومات عن المجرمين، وحذت حذوها صحف أخرى. بينما أقيم للينغل مأتم شعبي ورسمي في المدينة، شاركت فيه الفرق الموسيقية العسكرية وحرس الشرف. واصطف عشرات الألوف من سكان شيكاغو على طول الشوارع التي سار فيها الموكب الحزين وأحنوا رؤوسهم أمام النعش احتراما وإجلالا.

لكن لم يمض وقت طويل قبل أن تتكشف تفاصيل لم تكن معروفة عن حياة لينغل حتى ذلك الحين. فقد تبين أنه لم يرث عن والده أكثر من بضع مئات من الدولارات (وليس 50 ألفا كما زعم). وحين قتل كان في محفظته ألف دولار عدا ونقدا، كما كانت بكلة حزامه مرصعة بالألماس. فهو على ما بدا هدية من آل كابون، أشهر زعماء العصابات والجريمة المنظمة في المدينة. علاوة على أن في حسابه المصرفي ودائع زادت قيمتها عن 60 ألف دولار خلال الأشهر الثمانية عشرة السابقة.

أحد حساباته المصرفية المشتركة كان مع قائد شرطة المدينة، وليام اف. رسل، الذي استقال من منصبه على الفور ذليلا مهانا. فقد كانا صديقين منذ فترة الشباب، وكان المراسل الجنائي يبيع نفوذه لدى رسل إلى رجال الشرطة الراغبين بالنقل أو الترقية، والسياسيين، والمجرمين وزعماء العصابات مثل آل كابون. تبين أيضا أن لينغل قد حل ضيفا مرارا وتكرارا على آل كابون في منتجعه في بالم ايلند (فلوريدا)، وعلى اتصال يومي بالرجل الذي أدخل الرعب في قلوب الأمريكيين خلال تلك الفترة.

لكن لينغل أدمن القمار. وبالرغم من عدد من المحاولات الناجحة للتلاعب بنتائج السباقات والمراهنات، إلا أنه بدأ يخسر ألف دولار أسبوعيا في المضمار وفي كازينوهات القمار السرية التابعة لآل كابون. وبحلول صيف عام 1930، بلغ

إجمالي ديونه لزعيم الجريمة المنظمة مائة ألف دولار - أي أكثر من مليون بالقيمة الحالية. أما محاولته لابتزاز المال من أفراد عصابة آل كابون ذاته فقد كانت - بالنسبة لزعيم العصابات - القشة التي قصمت ظهر البعير. وتم استئجار القاتل المحترف المتنكر بزي الكاهن(*).

بعد ثلاثة أسابيع من مقتل لينغل اضطرت الصحيفة للاعتراف بأن:

الفريد لينغل اتخذ الآن شخصية لم تعرفها إدارة "تريبيون" عندما كان على قيد الحياة.. لم يكن، ولا كان بمقدوره أن يكون مراسلا عظيما.

"يظل المراسلون في هوليود ممددين تحت أشعة الشمس طيلة النهار، وبعد الغروب يبقون على حالهم".

فرانك سيناترا

(*) Jay Ropert Nash, Makers and Breakers of Chicago, Chicago Academy 1985.

7

المساءلة

"يوجه رجال الصحافة أسئلة غبية. فهم ينظرون إلى الشمس ويسألونك هل هي مشرقة".

سوني ليستون

طرح أسئلة على شخص من أجل قصة صحفية يحتاج إلى مهارة خاصة. فلربما يشبه أحيانا المحادثة، لكنه ليس كذلك؛ في أحيان أخرى، يكون من المسلي أن تسترق السمع أو تشارك في الحديث، لكن كل ذلك ليس مهما. إن طرح الأسئلة له غرض واحد: جمع المعلومات.

المقابلات الشخصية أو عبر الهاتف لا تكون مكتوبة في العادة، ولذلك ينبغي عليك الاستعداد للأجوبة غير المتوقعة، من أجل متابعة مضامينها ومقتضياتها وطرح الأسئلة المناسبة. كثيرا ما تكون هذه المقابلات مطولة ومتحذلقة، حيث تلح على سؤال تريد الإجابة عنه أو أمر تريد استيعابه. وهي لا تعتبر بمثابة فرصة متاحة لك لإبلاغ المسؤول برأيك فيه، أو استعراض معرفتك، أو إقحامه في جدال محتدم.

العديد من المقابلات تكون مباشرة وصريحة تماما. لكن هنالك حالتين إشكاليتين على نحو خاص: طرح الأسئلة على من يشعر بالقلق والارتباك

ويحجم عن الكلام، ومساءلة المراوغ أو حتى العدائي. لسوف نعاين الحالتين في موضع لاحق، لكن سنعرض هنا بعض الدلائل الإرشادية التي يمكن تطبيقها على طرح الأسئلة على أي مصدر كان.

دلائل إرشادية عامة

اعرف غرضك من المقابلة قبل أن تبدأ

يجب أن تكون لديك فكرة جيدة عن المعلومات الأساسية التي تريدها من المصدر قبل البدء بطرح الأسئلة. فكر بالصيغة النهائية التي قد تأخذها القصة، وبالتالي المعلومات التي ستحتاجها. خلال المقابلة، عليك متابعة التفكير بتقريرك وكيف ستغيره المعلومات الجديدة التي تحصل عليها. والأهم من كل شيء أن تدرك أين تقع فجوات المعلومات في قصتك، وتحاول ملئها في كل وقت. قد يبدو ذلك بالغ التعقيد لكنه سيغدو عادة متبعة وراسخة لديك بعد فترة وجيزة. ولا تخف من كتابة رؤوس أقلام من كلمة واحدة على دفتر ملاحظاتك تساعدك على تذكر الأسئلة المهمة، مما يعينك على تجنب الاتصال بالشخص المعني مرة أخرى للاستفهام حول قضايا نسيت طرحها في المقابلة. وهو أمر يكون مستحيلا في بعض الأحيان ولربما يجبرك على محاولة كتابة القصة بدون المعلومات المطلوبة.

اعمل على إجراء أكبر قدر من البحث والدراسة قبل المقابلة

لا ينبغي أن تخشى من إظهار جهلك، فهذا أفضل من التباهي بعدم المعرفة. قبل مقابلة الشخص المعني، حاول العثور على أكبر قدر من المعلومات عنه، وعن الموضوع، وكل ما له صلة بهما. فبغض النظر عن كل شيء آخر، سيساعدك ذلك على عدم التعرض للخداع أو الحرمان من الفهم.

أفضل الأسئلة أكثرها بساطة

لا يوجد مثال واحد في الصحافة يثبت أن ما يدعى بالأسئلة المخادعة أو الذكية قد أفرزت نتائج إيجابية. اطرح الأسئلة التي تدل على الخبرة أو على

الاهتمام بترك انطباع جيد بدلا من الحصول على أفضل قصة. الأسئلة البسيطة عادة هي: من؟ ماذا؟ أين؟ كيف؟ لماذا؟ فإن حصلت على أجوبة مرضية لتلك الأسئلة فأنت على الطريق الصحيح لاستكمال بحثك الأساسي.

في القصص المتعلقة بالأحداث، حاول بناء ترتيب زمني لما حدث

عندما تتصل بالمصدر المطلع على تفاصيل ما حدث، حاول أن تعيده إلى بداية الحدث (أو الأحداث)، أو قبلها، واسأله حول كل مرحلة، خطوة خطوة. لا تخف من الإلحاح في السؤال: "وبعدها ماذا حدث؟". اجعل تسلسل الأحداث واضحا تمام الوضوح في ذهنك. وهذا أمر حيوي بالنسبة للقصص التي تقوم على الحدث، مثل حوادث التصادم. عند نهاية بحثك، عليك أن تكون قادرا على تشغيل "شريط فيديو" في رأسك يصور "دقيقة بدقيقة" ما حدث. عدم قدرتك على ذلك يعني وجود ثغرات في قصتك.

اقنع مصادرك برواية ما حدث بـ"الحركة البطيئة"

في العديد من قصص الحوادث سوف تطرح أسئلة على الأشخاص الذين كانوا جزءا من الحدث أو شهودا عليه. ولن تكون سوى قلة قليلة منهم على استعداد لتقديم رواية متسقة لما حدث، ولربما غلبتهم الإثارة، أو أصابتهم صدمة، أو شعروا بالكرب والغم. لذلك، عندما تستفهم عن الحدث الأساسي، حاول الحصول على كل التفاصيل الممكنة. اسأل مصادرك عما حدث في كل لحظة، أين كانوا، وماذا شاهدوا، وماذا سمعوا: الألوان والأصوات والروائح والملابس، وحالة الطقس.. الخ.

تحقق من الأسماء والمواقع

اسأل مصادرك عن المعلومات المتعلقة بالأسماء والألقاب والأعمار والعناوين إن كنت تحتاجها. قد تجد ذلك مملا، لكنه أمر جوهري وبالغ الأهمية. وعندما تكون الأسماء صعبة أو أجنبية، اطلب منهم كتابتها في دفتر ملاحظاتك. لربما تظن أن ذلك يجعلك تبدو سخيفا - لكن تخيل ما سيحدث حين تعود إلى مكتبك لتجد أنك لا تعرف كيف تكتب الأسماء.

احصل على أكبر عدد ممكن من أرقام الهواتف

هذا يعادل في الأهمية أسماء مصادرك الصحيحة. احصل على أرقام هواتفهم النقالة والثابتة في المكتب والمنزل، وأجهزة النداء كلما كان ذلك ممكنا.

احصل على أكبر قدر من المعلومات

في أغلب الأحيان لن تحصل إلا على فرصة واحدة لمقابلة أحد المصادر المهمة. استفد منها إلى أقصى قدر ممكن واطرح كل سؤال تجده ضروريا. ولا تنس أن الإجابات عن تلك الأسئلة الإضافية كثيرا ما تشكل العناصر التكوينية للقصة، وأن التفاصيل هي التي تجعلها استثنائية وبعيدة عن الابتذال. اسأل عنها على الدوام.

لا تخف من أن تبدو كالمغفل

مررنا جميعا بهذه الحالة، حيث نجلس أمام شخص يتحدث إلينا ونحن نومئ برؤوسنا علامة الموافقة دون أن نعلم شيئا عما يقوله. فنحن نخشى أن نبدو كالحمقى إذا طلبنا تفسيرا يوضح ما يقال. وحين نحاول كتابة القصة ندرك أننا لم نفهم ما زعمنا معرفته طيلة ساعات اللقاء.

لا تخف أبدا من طرح الأسئلة الأساسية حتى وإن بدوت مغفلا سخيفا. أولا، من النادر أن يكون المعنيون، حتى في المؤتمرات الصحفية، على درجة من الفظاظة بحيث يسخرون من جهلك. وحتى لو فعلوا لا يجب أن تتأثر. فمن هو الأحمق: من يدعي المعرفة أم من لا يعرف ويعترف بجهله؟ كل مصدر تقريبا على استعداد لتفسير المفاهيم المتخصصة للمراسلين الصحفيين، ومعظم الناس سيشعرون بالإطراء حين يهتم شخص بموضوع تخصصهم.

إذا راودتك الشكوك، حاول وصف فهمك للوضع

إن لم تفهم الإجابة، أو إذا كان الوضع الذي تكتب عنه في تقريرك مشوشا ومربكا، حاول وصف فهمك لأولئك الذي تطرح عليهم الأسئلة. لا

تخجل أبدا من القول: "هل يمكن أن أعود مرة أخرى إلى هذه النقطة.. لقد بدأ كل شيء حين.."، أو حتى: "إذا كتبت وصفا للوضع على هذا النحو.. فهل أكون على صواب؟". هذا أسلوب معياري، ولا يعني أنك بطيء الفهم. وحتى في هذه الحالة، ليس هناك ما تخجل منه. فهو أفضل من التقرير الغامض أو الخاطئ. الأمر نفسه ينطبق على الدوافع والبواعث. لا تفترض مسبقا وجود دوافع وبواعث. فإن فعل أحدهم شيئا وبدت دوافعه وثيقة الصلة بما فعل، اسأله. لا تفترض بشكل مسبق. فكتابة التقرير الصحفي ليست لعبة تمارس في "الصالونات" المغلقة لتشكيل وانتقاء الكلمات.

اطرح الأسئلة للحصول على المعلومات، لا الآراء أو ردود الأفعال

أنت تتحدث إلى المصادر لمعرفة الحقائق، وينبغي تصميم كل سؤال من أجل هذا الغرض. من السهل البدء بطرح الأسئلة المتعلقة بردود أفعالهم على أمر ما. لكنها نادرا ما تكون جديدة أو مفاجئة، ولذلك لن تجمع ما يفيد قصتك. فمعرفة رفض سياسي يميني مثلا للإصلاحات الليبرالية لا تعتبر خبرا مهما. أما الاستثناء الوحيد لذلك طبعا فهو أن تتمحور القصة على الآراء والأفكار.

حاول تجنب طرح الأسئلة المبتذلة (الكليشيهات)

إن سؤال شخص عانى للتو من مأساة عن حاله وصحته هو دعوة للحصول على جواب مبتذل في أفضل الأحوال، ويؤدي في أسوأها إلى رفض قاطع للإجابة عن أي أسئلة أخرى. فهل تنتظر منه أن يجيبك: "أنا على ما يرام وصحتي جيدة" وقد فقد ابنه في حادث سقوط الطائرة مثلا! ومع ذلك، نجد كل يوم استعراضا للمشاعر المبتذلة في القصص الإخبارية ("شعرت بالإثارة حين كسبت هذا المبلغ من المال"، و"تملكنا الغضب عندما طردنا من العمل دون تعويض") وكأنها رؤى ثاقبة وعميقة.

اعمل على سبر واستكشاف الحكايات الطريفة والنادرة

يمكن للحكايات الطريفة أن تضيف قدرا هائلا من الحيوية إلى القصص الإخبارية. حاول جمعها كلما سنحت الفرصة من الأشخاص الذين تطرح عليهم الأسئلة. لكن تذكر أن دفع المصدر لرواية حكايات مسلية وساخرة ومعبرة أمر يتعلق بتبادل الحديث معه بشكل ودي وغير متشنج، وليس الجلوس بجدية وتجهم قبالته، لتأمره قائلا: "والآن قص علي أطرف ما رأيت/ أو خبرت". لن يفعل ذلك. وسينسى كل شيء. حاول الاقتراب بدلا من ذلك من المجالات المتعلقة بحياته/ أو عمله/ أو نشاطه، التي يرجح أن توفر لقصتك روح الدعابة والفكاهة. على سبيل المثال، إذا كنت تقابل مضيفة جوية لكتابة تحقيق صحفي حول خدمة جديدة أدخلتها شركة الطيران، وأردت إضافة بعض النوادر الطريفة لتصرفات الركاب الجنونية، فلا تقل لها: "ما هي أسخف تصرفات المسافرين". بل حاول بدلا من ذلك دفع الحديث - بصورة طبيعية - نحو تناول المسكرات في الطائرة، أو الرهبة من الطيران، أو حمل الأمتعة، أو الشكاوى من الطعام والأولاد، والطلبات الغريبة.. الخ.

لا تدع مصادرك تخدعك

عليك - كما هو واضح - أن تطلب تفسير المفردات الاصطلاحية كافة. لكن معظم العبارات والجمل التي تبدو فنية وتقنية هي في الواقع لغة ملطفة. ففي كل صناعة ومجال ومهنة يطور المعنيون في الشركات أو الطبقة البيروقراطية تعابير لتمويه الواقع الحقيقي. المسؤولون عن شركات الطيران مثلا يستخدمون تعبير "نقص تدفق الركاب"، الذي يعني في حقيقة الأمر قلة عدد الركاب الراغبين بالسفر على متن طائراتها. ولربما يصدر صندوق استثماري بيانا حول "وضع تصدير السيولة الصافية"، ليغطي به حقيقة أن المستثمرين لم تنطل عليهم الخدعة وبدؤوا بنقل أموالهم إلى الخارج.

المؤسسات التي تتعامل مع المواد الخطرة، مثل الشركات العاملة في الصناعة النووية والعسكرية، تتمتع ببراعة خاصة في هذه الأنواع من الخداع.

في أمـريكا، وفـي أعـقـاب الحـادث الذي وقـع في "ثري مـايل ايلند" (1979)، قدمت صناعة الطاقة النووية سلسلة من الكلمات والتعابير المحيرة والمربكة التي استـهدفت التخـفيف من شـدة الأذى والضـرر والخطر. فـقـد تحـدثت البـيـانات عن "ارتقـاء شـاذ" في المنشـأة النووية أدى إلى "تشـتت نشط"، ثم إلى "أكسدة سريعة"، ليعقب ذلك - ربما - "توطن البلوتونيوم". أما المعنى الحقيقي لكل ذلك فهو حادث في المنشأة النووية سبب انفجارا أدى إلى اندلاع حريق، ثم التلوث بالبلوتونيوم - لكن حظر استـخدام كل هذه الكلمات والجمل ذات المعنى المباشر. حاول رفع الحظر عن الكلمات والجمل الممنوعة. واسأل عن معناها الدلالي.

استمع إلى الأجوبة كافة

من السهل الانشغال بتحضير صيغة السؤال التالي، أو تدوين الإجابة، بحيث تفشل في تقدير الأهمية الدلالية لما يقال. إذا انقضت عشر دقائق على مقابلة شخص دون أن تدرك أهمية - أو سخف - ما يقوله، فأنت متأخر جدا. وهذا يصدق بشكل خاص حين تطلق مزاعم ودعاوى استثنائية في المقابلات الشخصية.

الروائي الفرنسي جورج سيمنون قال ذات مرة لمراسل صحيفة "داي تات" السويسرية: "مارست الحب مع عشرة آلاف امرأة". الصحيفة أوردت الخبر كما هو دون تعليق. لكن حتى العقول التي تبغض الأرقام ستكتشف أن على الروائي كي يحقق هذا الرقم القياسي أن يقيم علاقة مع إحدى النساء كل يومين طيلة خمس وستين سنة - وهي مهمة "شاقة" إن لم تكن مستحيلة بالنسبة لرجل في الثالثة والسبعين، وجد أيضا متسعا من الوقت لتأليف حوالي مائة كتاب. أما الرقم الإجمالي الحقيقي فكان 1200 تقريبا، وذلك تبعا لزوجته المتساهلة والمتسامحة في مقابلة لاحقة.

راجع الإجابات في نهاية المقابلة

راجع - إن أمكن - الملاحظات التي دونتها مع المصدر، وتحقق مرة أخرى من الأرقام والمعلومات التي ما زلت غير متأكد من صدقيتها. وبغض النظر عن

مثل هذا الغرض الصريح، فإن لهذه العملية هدفين مستترين. أولا، اكتشاف أي ثغرات أو "فجوات في المعلومات" فاتتك، وثانيا، معرفة هل تستطيع استخلاص مزيد من المعلومات من المصدر. اسأله في هذه المرحلة هل يوجد شخص آخر يمكن أن يدعم ما قدمه من معلومات.

لا تقدم وعودا لمصادرك تتعلق بكيفية التعامل مع القصة

رئيس التحرير وحده هو المخول بمعرفة كيفية التعامل مع القصة وطريقة ظهورها في الصحيفة. الكثير من الأشخاص الذين تقابلهم للحصول على المعلومات سوف يطرحون هذا السؤال، لكنك لست مضطرا للإجابة عنه. قل لهم إنك "مجرد مراسل صحفي"، وقدم لهم اسم رئيس التحرير ورقم هاتفه.

طرح الأسئلة على المصدر القلق والمرتبك

يشعر العديد من الناس بالتهديد والرهبة في حضور الصحفيين. ولا يرجع ذلك إلى كونهم مرعبين (وإن كان بعضهم يرعب حقا)، بل لأن الناس غير معتادين على التعامل مع الصحافة. وحتى إن كانوا معتادين، فقد يحجمون عن التحدث مع الصحفيين خوفا من خسارة الوظيفة أو غير ذلك من التبعات والعواقب. وباعتباري مشاركا في العديد من القصص الإخبارية والمقابلات، أعرف أن المقابلة الشخصية مع الصحفيين أمر يثير القلق: حول ما ستقوله، أو ما يقتبس عنك.

كثيرا ما تكون مهمة المراسل الأولى عند لقائه مع شخص يشعر بالقلق هي إقناعه بالكلام. وبعد ذلك يمكنه أن يتحدث بمودة ومرح، ويتطرق مثلا إلى حق الجمهور بمعرفة ما يحدث.. الخ؛ في الحقيقة، سينجح كل أسلوب يخطر على بالك. لكن لا تتاح لك على الأغلب فرصة التفاوض أولا حين تكون "زائرا غير منتظر"، أي عندما تقوم بزيارة المصدر بدون اتصال هاتفي يمهد لها. في مثل هذه الظروف، فإن مجرد عبور الباب الأمامي يمثل مشكلة. أما المهم هنا (كما يوضح الشاهد التالي) فهو الدخول إلى غرفة الجلوس أو المكتب. وحين تصبح

هناك سيكون من الأصعب على مصدرك رفض الإجابة عن أسئلتك. ومهمتك الآن العثور على الطرق المناسبة للبقاء في المنزل أطول مدة ممكنة.

القصة التالية مستمدة من كتاب "كل رجال الرئيس"، لكارل بيرنستاين وبوب ودوارد (من صحيفة "واشنطن بوست")، حيث يقدمان وصفا للتحقيق الذي أجرياه وأدى في نهاية المطاف إلى استقالة الرئيس ريتشارد نيكسون. أما تقاريرهما الصحفية، والقصة خلفها، فسوف نتطرق لها بمزيد من التفصيل في الفصل التالي. هنا، كان كارل بيرنستاين مقتنعا بأن المرأة التي يحاول مقابلتها تعتبر مصدرا مهما على الأرجح لمعرفة أنشطة مستخدميها. لهذا السبب، إضافة إلى توقع إحجامها عن الكلام، قام بزيارتها في بيتها ولم يمهد لزيارته باتصال هاتفي:

فتحت امرأة الباب وأفسحت المجال لبيرنستاين كي يدخل. قالت "أنت لا تحتاج إلي، بل إلى أختي". دخلت شقيقتها الغرفة. توقع أن تكون كهلة في الخمسين وقد شاب شعرها؛ تلك هي صورة كاتبة الحسابات في مخيلته. لكنها كانت أصغر عمرا بكثير.

قالت: "أوه، يا إلهي. أنت من -واشنطن بوست- عليك أن ترحل. أنا آسفة".

بدأ بيرنستاين التفكير بطرق تساعده على البقاء حيث هو. كانت الأخت تدخن، ولاحظ وجود علبة سجائر على المنضدة؛ طلب لفافة. قال حين كانت الأخت تتقدم لأخذ العلبة: "لا، سآخذ واحدة بنفسي". وبذلك استطاع الدخول مسافة عشرة أقدام في المنزل. لجأ إلى التمويه والخداع، قال للموظفة إنه يتفهم خوفها؛ فهناك العديد من الأشخاص مثلها في اللجنة يرغبون بقول الحقيقة، لكن بعض الناس لا يريدون الإصغاء. وإنه عرف أن بعض الأشخاص عادوا إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي وإلى النائب العام لتقديم مزيد من المعلومات.. تردد لوهلة.

سألته "من أين تحصلون على معلوماتكم على أية حال؟ هذا ما لا يعرفه أحد في اللجنة".

سألها بيرنستاين إن كان بمقدوره الجلوس وتدخين لفافته.

"أجل، لكن عليك أن تغادر بعد ذلك. ليس لدي ما أقول حقا". كانت تشرب القهوة، فسألت شقيقتها بيرنستاين إن كان يرغب بفنجان منها. جفلت كاتبة الحسابات، لكن تأخرت جدا، فقد كان بيرنستاين يرشف القهوة من فنجانه. بكل تمهل.

تحدثت المرأة، وأعطت بيرنستاين بعض المعلومات البالغة الأهمية والفائدة، التي شكلت طرف الخيط لكشف ملابسات القضية. ثم كررت ذلك أمام الصحفيين كليهما وأثبتت أنها مصدر ثمين للمعلومات. ولربما كان لذلك صلة بحقيقة أن بيرنستاين لم يخرج على الفور دفتر ملاحظاته ليبدأ بتسجيل كل كلمة تقولها المرأة، ويرسم على وجهه إمارات السرور والدهشة. بل انتظر، ربما عشر دقائق، قبل أن يسحب الدفتر من جيبه ويدون بشكل عرضي ملاحظاته.

لكن إذا قبل المصدر الكلام، فإن الخطوة التالية هي التفكير بطريقة تجعله يشعر بالارتياح والاطمئنان. الأمر الذي سيساعدك في الحصول على أكبر قدر من المعلومات منه. نقدم فيما يلي بعض النصائح المفيدة.

فكر بعناية حول مكان وكيفية الحديث مع مصادرك

هل ستقابل مصدرك وجها لوجه أم تكتفي بالحديث معه على الهاتف؟ ما هي الطريقة المفضلة لديه؟ إذا كانت المقابلة وجها لوجه، أين ستعقد؟ في مقهى؟ في مكتبه؟ على مائدة العشاء؟ في بيته؟ بكلمات أخرى، ما هي البيئة التي لا تجعله يشعر بأنه مهدد، وبالتالي يظهر أكبر قدر ممكن من التعاون؟

تكيف مع مصدرك

يتمثل هدفك حين تقابل مصدرا للمعلومات في إبعاد الضغوط عنه وجعله يشعر بالارتياح والاسترخاء، وإقناعه بمساعدتك. وهذا يعني عدم تهديده أو ترهيبه أو إزعاجه. وقد يتوجب عليك تعديل مسلكك ومظهرك قليلا. لا ينبغي عليك تغيير شخصيتك مع كل مقابلة، لكن خذ شخصية مصدرك بعين

الاعتبار. على سبيل المثال، حين تذهب لمقابلة المشردين في الشوارع، لا تلبس أفخر بزة لديك. فهذا قد يزعجهم. وعلى نحو مشابه، حين تذهب لمقابلة رئيس الوزراء، لا تلبس سروال "الجينز" والقميص القطني الخفيف، فلربما يشعر بالإهانة ويظن أن رغبتك في التعبير عن نفسك تفوق مسعاك لإجراء مقابلة مفيدة - وقد يكون مصيبا في ذلك. وعندما تقابل شخصا لا تجمعك به علاقة ودية، قد يتوجب عليك التصرف بطريقة تظهر اهتمامك به، أو تكييف أساليبك لتناسبه. إما إذا كان مسؤولا رسميا، فاتبع الأسلوب الرسمي في التعامل معه؛ وعندما يكون متساهلا بعيدا عن الرسميات، يمكنك أن تجاريه في ذلك.

احكم على شخصية مصدرك

ما الذي يدفع مصدرك إلى الوقوف في صفك؟ المديح والإطراء؟ الصداقة والمودة؟ الدعابة والنكتة؟ الحوار الجدي؟ مهما كان دافع المصدر، حاول إشباعه إن كان مهما. ما الذي يثير اهتمامه؟ مهما كان الباعث، أظهر اهتمامك به. وهذا أسهل دوما إذا كنت تقابله في منزله أو مكتبه على وجه الخصوص. اعتاد الناس أن يحيطوا أنفسهم بما هو مهم بالنسبة لهم - صور أفراد العائلة، لوحات تعرض الأماكن المفضلة، تحف وتذكارات تهمهم. حاول الاستفادة من هذه الأشياء، اسألهم عنها. استحث المصدر كي يرغب بمساعدتك. حاول العثور على العوامل المشتركة معه، حتى إن كنت تملك الحيوان الأليف ذاته، أو كنت أبا مثله.

جرب حيلة "قصة الحياة"، إن سمح لك الوقت

إذا كان مصدرك خجولا، أو معاديا لك، لكن يبدو أن لديك ما يكفي من الوقت، حاول السؤال عن قصة حياته. هذا النوع من الأسئلة يتصل بمجمل السيرة الذاتية - مكان النشأة، التعليم، التدريب، أول عمل، النجاحات، الإنجازات، التجارب الخارجية.. الخ. لربما يوفر لك ذلك سبلا واعدة لطرح الأسئلة، وفي أسوأ الأحوال سوف يقربه إليك ويدخل الطمأنينة إلى قلبه. فكل واحد منا يرحب بأي شخص يظهر اهتماما به.

إذا كانت المقابلة شخصية، لا تخرج دفتر ملاحظات على الفور

لا شيء يقلق ويزعج المصدر أكثر من مراسل صحفي يدخل الغرفة وقد فتح دفتر ملاحظاته وشرّع قلمه واستعد لتسجيل كل كلمة يقولها. حاول بدلا من ذلك أن تسحب دفترك من جيبك أو حقيبتك خلسة حين تشعر بأن التوتر قد زال عن محدثك. بل يمكنك القول: "ذاكرتي ضعيفة.. هل تمانع لو سجلت بعض الملاحظات". في بعض الأحيان، يتبين لك أن مجرد ظهور دفتر الملاحظات يوقف الشخص عن الكلام. في هذه الحالة، حاول حفظ المعلومات المهمة في ذاكرتك، ثم حاول العثور على عذر لمغادرة الغرفة مؤقتا. وحالما تبتعد عن ناظريه يمكنك تدوين ما أشار إليه من نقاط مهمة في معرض حديثه.

كن صادقا في مقاصدك - لكن لا تخبر مصادرك بكل شيء

لا ينبغي عليك أبدا أن تخفي هويتك. ولا أن تضلل المصدر الذي تقابله. لكنك لست مضطرا لشرح الغرض من لقائه بشكل دقيق ومفصل. فإن كانت القضية خلافية أو السؤال مثيرا للجدل، فمن الحكمة إعلانهما عند بداية اللقاء. قل:"أنا أقوم ببعض الاستقصاءات العامة حول هذا الموضوع".

لا تفاجئ مصدرك بسؤالك الرئيس

اطرح في البداية بعض الأسئلة العامة، التي يمكن أن تعرف مسبقا الإجابات عنها. فعلى أقل تقدير، سوف تعلم من أجوبة المصدر مدى إطلاعه وصدقه وأمانته. وعندما تشعر بأنه مستعد يمكنك أن تسأله عما تتحرق شوقا لمعرفته. وحين تفعل، قد يكون من الأفضل التظاهر بعدم المبالاة تجاه الجواب. وليس من المناسب أن تكون ردة فعلك: "يا إلهي! هل تدرك ما تقول!". إن مجرد التفكير بأنه قدم لك سبقا صحفيا لم يشهد العقد مثله، سوف يدفعه إلى الانسحاب والتراجع.

استخدام طريقة السكوت المؤقت "المفعم بالمعاني"

إذا كان الشخص الذي تطرح عليه الأسئلة لا يجيب عنها بشكل كامل جرب أسلوب السكوت المؤقت "المفعم بالمعاني"، مصحوبا بنظرة ترقب وأمل.

في بعض الأحيان، سوف يجيب مقدما معلومات إضافية تحتاجها. هنالك بالطبع حدود لفترة الصمت والترقب هذه، والتأخير لأكثر من بضع ثوان قد يفسر على أنه حمق أو نوبة ناتجة عن اختلال خطير في الجهاز العصبي.

إذا انسدت كل السبل، ضع نفسك تحت رحمة مصدرك

قل لمصدرك إنك ستواجه مشكلة مع رئيس التحرير إذا لم تحصل على هذه المعلومات. اطلب منه العون. وغالبا ما تنجح هذه الطريقة.

حافظ على سلاسة واستمرار الحوار

حين تواجه بعبارة "ليس لدي تعليق"، لا تحاول التركيز بصورة مباشرة على ما يسبب القلق لمصادرك. في جميع الحالات تقريبا، سوف تخسر في ذلك الحوار لأن أسبابهم مرتبطة بمناصبهم أو مؤسساتهم، وهم مطلعون على خفايا الأمور أكثر منك. بدلا من ذلك، حافظ على سلاسة واستمرارية الحديث، وجرب أساليب وطرقا أخرى. أولا، طمئن مصدرك وأكد له أن الحديث معك ليس انحرافا ضلاليا صادما، فقد تحدث العديد من الأشخاص معك. ثم أردف، دون أن تتوقف عن الكلام: "ما يحيرني هو.. هل أستطيع أن أسألك عن..".

طرح الأسئلة على المصادر المراوغة والمعادية

بعض طرق التعامل مع الأشخاص الذين يشعرون بالقلق والانزعاج تنطبق على أولئك المراوغين أو المعادين. لكن في أغلب الأحوال، لابد من اتخاذ أساليب مختلفة لمقاربة المصدر الذين يحاول مراوغتك وتجنبك.

تشبث بالإصرار والإلحاح

من الصعوبة بمكان أحيانا مقابلة مثل هؤلاء المصادر. لكن إياك والاستسلام. دوام على الاتصال بهم، وقم بزيارتهم في مكاتبهم. واجعلهم يدركون بأن الطريقة الوحيدة للتخلص من إلحاحك العنيد هي الموافقة على التحدث معك.

عند الاتصال بالمصدر، لا تنخدع بعبارة "سوف يتصل بك لاحقا"

لا ينوي العديد من الأشخاص فعل ذلك، برغم ما تقوله السكرتيرات أو الزملاء. لا تقبل هذه العبارة. قل إنك ستبقى منتظرا على الخط، أو ستتصل فيما بعد، أو - في حالات نادرة - وافق على انتظار مكالمته، لكن حدد موعدا لذلك. فإن لم يتصل بك، اتصل أنت. ومن الأفضل الاتصال قبل ساعة من الموعد المحدد. غالبا ما تقول السكرتيرة إن المصدر سيتصل بك في الرابعة بعد الظهر مثلا، لأنها تعلم بأن الموظفين يغادرون المكتب في الثالثة والنصف.

إذا لجأ المصدر إلى أسلوب المناورة حول إجابة واقعية، ضع خيارات متعددة أمامه

على سبيل المثال، إذا احتجت لمعرفة المبلغ الذي دفعته الحكومة لعقد معين، ورفض الشخص الذي يملك المعلومات إعطاءك الجواب، حاول تحديد المبلغ أمامه: "هل دفعت ستة ملايين؟"، "هل وصل المبلغ إلى اثني عشر مليونا؟". غالبا ما تعطي مثل هذه الأسئلة نتائج مثمرة، أو تلميحات معبرة. كن حريصا عند استخدام هذا الأسلوب، وتأكد من أن الشخص المعني يعرف موضوع السؤال. فقد يؤدي، مع غيره من أساليب التلاعب بالألفاظ، إلى التشوش والارتباك.

أشهر مثال على ذلك حدث خلال تحقيقات صحيفة "واشنطن بوست" في قضية "ووترغيت" التي أشرنا إليها آنفا. فقد كان لدى المراسلين قصة جيدة ومثيرة، لكنها أتت من مصدر واحد. أما رئيس التحرير فأصر بإلحاح على وجود مصدرين اثنين قبل أن يوافق على النشر. وهكذا، وفي ساعة متأخرة من الليل، اتصل أحد المراسلين بالشخص الآخر الوحيد الذي يمكن أن يدعم ويثبت القصة. لكنه رفض ذلك بشكل مباشر؛ فقال المراسل:

"لسوف أعد حتى عشرة، أغلق سماعة هاتفك إن كانت القصة مزيفة. أما إن

كانت صحيحة فابق على الخط". ثم بدأ العد. "واحد ,اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة.." بدأت الإثارة تظهر على صوته، ".. ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة.

وضع السماعة وأبلغ زميله المنتظر ورئيس التحرير أن الشخص أكد على صحة القصة، فتم نشرها. أما المشكلة الوحيدة فهي أن القصة لم تكن صحيحة. فالشخص الذي جرى الاتصال به في ساعة متأخرة من الليل أساء فهم المراسل وظن أن بقاءه على الخط يعني أن القصة مزيفة.

بين الحين والآخر، حاول الادعاء بامتلاك معارف تفوق ذخيرتك الفعلية منها

إذا آمنت بقوة بصحة شيء، لكنك لا تستطيع الحصول على توكيد له، اتصل بالمصدر وقل إنك تطلب تعليقا. على سبيل المثال، جرب أن تسأله "لماذا حدث ذلك؟"، بدلا من "هل حدث ذلك؟"، فيبدأ بالشرح والتفسير بدلا من الإنكار. لكن في بعض الأحيان يجب ألا يستخدم هذا الأسلوب سوى المراسلين المتمرسين.

انتبه لعبارات الإنكار التي لا تنكر ما حدث

تطلق مثل هذه العبارات حين يوجه اتهام لشخص، وبدلا من إنكار التهمة، يصدر بيانا يوجه فيه الإهانات لمن اتهمه، أو إلى المراسل، أو إلى كليهما. فلو سألت مصدرك، مثلا، هل كان العقد الحكومي غير خاضع للإشراف مما أدى إلى إهدار أموال طائلة، وأجاب: "مصادرك لا تعرف شيئا عما تتحدث"، فإن ذلك لا يعتبر إنكارا للموضوع. إنها الخدعة التقليدية لمن يحاول إخفاء أمر ما - لكن لا تعتمد دوما على ذلك.

انتبه للإنكار غير الضروري

على العكس من الحالة السابقة، يمكن لشخص يخفي شيئا أن يتجاوز في إجابته ما يتطلبه سؤالك. على سبيل المثال، حين تطلب تعليقا، ينكر أشياء لم تتهمه بها أصلا. كن مستعدا! قد يكون ذلك مكسبا مفاجئا، وأول إشارة على أمر يخفيه.

لا تستخدم أسئلة "المكائد"

الهدف من مثل هذه الأسئلة محاولة إيقاع شخص في الفخ من خلال الخدع اللفظية وليس المعلومات. أما حقيقة ابتذالها فلم تمنع استخدامها. وهي تعتبر تنويعا على السؤال القديم: "هل توقفت عن الاعتداء على زوجتك بالضرب؟"، حيث يجيب الزوج المتهور "أجل"، مما يعني ضمنا أنه اعتاد ضرب زوجته في السابق واهتدى إلى جادة الصواب الآن، أو تكون الإجابة "لا"، مما يدل على أنه مازال مواظبا على فعلته الشنيعة!

استخدمت هذه الخدعة بشكل فاضح حين انتشرت الشائعات التي أشارت في الصحف البريطانية إلى أن الأمير إدوارد، رابع أبناء الملكة، شاذ جنسيا. طاردته صحيفة "ديلي ميرور" إلى نيويورك، وفي إحدى المناسبات العامة، صاح مراسلها في وجه الأمير: "هل أنت شاذ؟". فرد الأمير الساذج "لا"، وفي اليوم التالي كتبت الصحيفة عنوانا عريضا على صدر صفحتها الأولى: "إدوارد: أنا لست شاذا". أما الانطباع الذي خلفه العنوان في ذهن القارئ فهو أن الأمير شاذ فعلا، لكنه الآن يجهد لإنكار الحقيقة. تقرير صحفي شنيع دون ريب.

اطلب من مصدرك أن يتخيل كيف ستبدو عبارة "بدون تعليق" في الصحيفة

لكن لا تجعل الطلب يبدو كتهديد، بل محاولة لإنقاذه من كارثة تدمر علاقاته العامة: "القراء سيجدون أن -السيد .. يمتنع عن التعليق-، وسوف يظنون أنك تخفي سرا خطيرا. أعلم أن القضية ليست على هذا النحو، فهل أستطيع الحصول على إجابتك حول..".

أخيرا، تذكر أن شخصا قد يرفض التحدث إليك اليوم قد يصبح لين العريكة ويقبل لقاءك بعد بضعة أيام. فإن كان مصدرا مهما، حاول معه مرة أخرى.

المؤتمرات الصحفية

تعتبر المؤتمرات الصحفية حالة خاصة حين يتعلق الأمر بطرح الأسئلة. فأنت لست وحدك، ولا تقابل المصدر في اجتماع ثنائي، وغالبا ما يكون الوقت

محدودا. في هذه الحالة، تأكد من أنك، والآخرين، تطرحون الأسئلة التي تحتاجون الإجابة عنها. يمكن لذلك أن يعني في بعض الأحيان أن تكون جسورا، بحيث تطرح سؤالك بصوت مرتفع يسمعه المسؤول المعني، أو تقف لطرحه.

يبدو أن الكثيرين ممن يدعون إلى المؤتمرات الصحفية يحسبونها مناسبات يمكنهم فيها عقد لقاء مع جماعة من المعجبين الوديعين الذين يكتفون بتدوين الملاحظات. لا ينبغي على أي مراسل صحفي أن يدع تلك الفكرة تتجذر وتترسخ. صحيح أن هذه المناسبات قد تنظم بغرض الدعاية فقط، لكن ذلك لا يعني بأن عليك المشاركة في اللعبة. أنت من يقرر ماهية القصة الإخبارية، وليس منظمو المؤتمرات الصحفية. لا تأبه لرأيهم حول الرسالة المهمة، فهل هنالك قصة أخرى، أفضل وأكثر إثارة؟

إذا كان الشخص الذي يعقد مؤتمرا صحفيا جليلا عظيم القدر، ولديك ما يكفي من الوقت، يمكنك تأجيل أسئلتك. في هذه الحالة لا تدعه يغادر القاعة قبل الإجابة عن أسئلتك ومحاصرته بها. قد يعني ذلك في بعض الأحيان الوقوف بينه وبين باب الخروج. لا تكن خجولا فتحجم عن ذلك، فكل من يعقد مؤتمرات صحفية بانتظام معتاد على مثل هذه التصرفات الجسورة. فأنت لا تحضر المؤتمر لعقد صداقات، بل للحصول على المعلومات الضرورية لقصتك.

النصيحة الأخرى هي أن تراقب وتحاول أن تعرف هل يوجد مراسل آخر يبدو أنه يعرف الكثير عن الموضوع. بعد المؤتمر، جرب الحديث معه. معظم المراسلين لا يستطيعون مقاومة التباهي بما يعرفون وبمن يعرفون، وبالتالي يكشفون أمامك مفاتيح مهمة وثمينة توصلك إلى المعلومات المطلوبة. لا تضع ثقتك الكاملة بما يرويه المراسلون الآخرون، لكنك غالبا ما تلتقط بعض الأفكار الجيدة حين تتابع أحاديثهم. كل ذلك يذكرك بأن الفائدة الحقيقية التي تستمدها من المؤتمرات الصحفية هي الالتقاء بالآخرين والاتصال بهم، أكثر من الحصول على المعلومات المزعومة.

المقابلات الشخصية مع المشاهير والمسؤولين المهمين

كلما زاد نفوذ وسطوة وشهرة الشخصية، تضاءل الوقت المتاح للقاء بها. لذلك لا تهدر وقتك بطرح الأسئلة التي يمكن الإجابة عنها بواسطة البحث قبل أو بعد المقابلة. النجوم الكبار يوظفون لديهم غالبا وكلاء صحفيين يحضرون اللقاء ويحاولون وضع حدود تقيد المواضيع التي تستفسر عنها وحولها. مهمتك مراوغة هذه القيود كلما كان ذلك ممكنا، فإن لم تستطع أبلغ قراءك بالأمر. أنت مراسل صحفي، ولست من الحاشية. لا تستسلم لإغراء الإطراء والتباهي إذا تكلم معك أحد النجوم الكبار؛ وبالمقابل، لا تدع كرهك لهم أو حنقك على ما يرتعون فيه من ثراء أو جمال أو ذكاء أو نجاح، يدفعانك لكتابة ما تعتقد أنه سيدمر حياتهم المهنية بشكل نهائي. وحين تنشر قصتك ستفضح ما يعتمل في صدرك من دوافع، وليس هم.

بدلا من ذلك، استخدم الأسلوب البسيط الميسر. قدم وصفا دقيقا لهم بقدر ما تستطيع، وركز بؤرة الاهتمام على الأسئلة التي تمكنك من مقارنة شخصياتهم بصورهم العامة لدى الجمهور. وكما تقول لين باربر، إحدى أشهر الصحفيات اللاتي تخصصن في إجراء المقابلات في بريطانيا: "كل ما عليك أن تفعله أن تكون دقيقا في مواعيدك، كن مهذبا واطرح أسئلتك".وهي توصي (ويتفق معها معظم الصحفيين) بأن تكون الأسئلة مختصرة وقصيرة بقدر الإمكان. نقدم فيما يلي بعض الأسئلة الاستقصائية المفيدة للحصول على إجابات غير متوقعة، أو حول مجالات حياتية قد يكون المصدر راغبا في الحديث عنها. والأسئلة تعتمد على لائحة أرسلها جيرمي مارتن لمنتدى الصحافة (CompuServe Journalism Forum):

- ما هي أولى ذكرياتك؟
- ما هي أفضل نصيحة قدمها والدك/ والدتك؟
- من الذي مارس أكبر تأثير في حياتك؟
- ما هي أول وظيفة شغلتها؟
- ما هو أسوأ عمل قمت به؟
- ما هي أول سيارة ركبتها؟

- ✍ من هو الحبيب الأول؟
- ✍ ما الذي تفعله حين تكون متوتر الأعصاب؟
- ✍ ما هو الدافع القهري الذي لا تستطيع مقاومته؟
- ✍ هل أنت حاد الطبع؟
- ✍ ما الذي تأكله/ ولا تأكله؟
- ✍ من هو أفضل صديق لك؟
- ✍ ما هي أسوأ عاداتك؟
- ✍ ما الذي يثير غضبك؟
- ✍ ماذا تدرس؟
- ✍ ماذا تقرأ؟
- ✍ ما هو الوقت الذي تقضيه في المطالعة؟
- ✍ كم ساعة تنام؟
- ✍ ما الذي تفعل إذا صحوت في الليل وجافاك النوم؟
- ✍ ما هو يوم العطلة المثالي بالنسبة لك؟
- ✍ متى تنوي الاعتزال؟
- ✍ من هم الضيوف الذين تفضلهم في حفلاتك؟
- ✍ هل تحب عيد الميلاد؟
- ✍ ما هو كتابك/ أغنيتك/ فيلمك/ مطربك/ فنانك المفضل؟
- ✍ من الذي يثير إعجابك أكثر من سواه؟
- ✍ ما هو مشروبك المفضل؟
- ✍ ما هو الطعام الذي لن تأكله؟
- ✍ ما هو المكان المفضل لقضاء إجازتك؟
- ✍ أين تعيش لو امتلكت حرية الاختيار كاملة؟

"أشد المراسلين مكرا وخداعا هم أولئك الذين يظهرون المودة ويرسمون الابتسامة ويزعمون والمساندة. فهم الذين يدمرونك في كل مناسبة أو فرصة سانحة".

اد كوش، محافظ نيويورك.

8

كتابة التقارير التي تتضمن الأرقام والإحصائيات

"الصحفي مقامر، ورقيب، وناصح، ووصي على الملوك، ومعلم للأمم. وأربع صحف معادية أشد ترويعا وتخويفا من ألف حربة مسنونة"

نابليون بونابرت.

هنالك قلة (قليلة) من الصحفيين تتبنى الفكرة القائلة إن الأرقام والحسابات نوع من الفيروس الذي يمكن أن يلحق الضرر بالعقل الأدبي إن أصابه بعدواه، مما يؤدي إلى فقد دائم للمفردات، وانكماش للحساسية. هذا هراء خطير، لأن العديد من القصص والتحقيقات الصحفية تعتمد على الإحصائيات والأرقام هذه الأيام. إذ يتعرض الصحفيون لقصف متواصل من المسوحات، واستطلاعات الرأي، وموظفي العلاقات العامة، ورجال الأعمال، وجماعات الضغط، والسياسيين. ويبدو، للوهلة الأولى، أن هؤلاء جميعا يستشهدون بأرقام إحصائية مؤثرة. أما الابتعاد عن الأرقام والإحصائيات بذريعة الفصاحة والجزالة الأدبية، فيعتبر بالنسبة للصحفي الحديث نقطة ضعف قاتلة. فإذا لم تعرف ما يكفي لاختبار واستقصاء البيانات فأنت تفتقد القدرة والكفاءة الصحفية. مصادر المعلومات تمارس الخداع وتغش بالأرقام على الدوام. وبدون المعرفة الأولية الضرورية لاكتشاف الأرقام المزيفة، سوف تضطر لقبول ما تعلنه المصادر وتعيد نشره (أو

إنتاجه) بكل إخلاص وأمانة. العاقبة؟ سوف تضلل قراءك وتزودهم بمعلومات خاطئة، وستبدو - وتكون فعلا - مغفلا.

من حسن الحظ أن ثمة وقاية تتمثل في تسليح نفسك بما يكفي من المعرفة لفهم الإحصائيات اليومية. إذا شعرت بأن هذه الفكرة تهددك وترهبك، تأكد من أن ما يلي يحتوي من الرياضيات ما يستطيع حتى صبي في الثانية عشرة فهمه واستيعابه. إن كنت ما تزال تشعر بالتهديد، فقد حان الوقت كي تبحث عن مهنة أخرى؛ شئت أم أبيت، لسوف تتعامل مع الإحصائيات بشكل ما كل يوم من أيام حياتك المهنية.

مساءلة واستقصاء البيانات والمعطيات

ينبغي مساءلة البيانات والمعطيات، مثلها مثل كل المصادر الأخرى للمعلومات. هذا يعني استجواب أولئك الذين يقدمون ويروجون الأرقام الإحصائية، والمعطيات والبيانات ذاتها، وأي استنتاجات مستمدة منها. أما نقطة البداية فهي:

هل تبدو القصة محتملة؟

من المدهش كم تبدو القصص بعيدة الاحتمال. في عام 1991، واجهتُ قصة تقول إن 50٪ من القروض الشخصية التي تقدمها المصارف للنساء تصرف على عمليات التجميل. في الأحياء الراقية من لوس أنجلوس (بولاية كاليفورنيا)، يمكن للقصة أن تكون منطقية ومعقولة. لكن في لندن لا تصح أبدا. وحين تحققت من الأمر، وجدت الإحصائية صحيحة: نصف القروض الشخصية المقدمة للنساء لأغراض صحية تصرف على بعض أنواع العمليات غير الضرورية. الآن، أصبحت القصة أكثر احتمالا وصدقا - لكنها لا تستحق أن تشكل خبرا مثيرا، فتجاهلتها.

ثم هنالك نوع من القصص التي تتطلب بديهة أسرع قليلا لاكتشافها. في الولايات المتحدة، نشرت إحدى الصحف قصة تقول إن 50٪ من سكان بلدة

ايتابوم في البرازيل يتناولون المهدئات. يمكن أن تكون الإحصائية صحيحة، لكن قليلا من التفكير المتعمق يثبت زيفها. فلابد من وجود الأطفال والمراهقين في المدن والبلدات. وفي الحقيقة يشكل الذين تقل أعمارهم عن 18 سنة نصف السكان على أقل تقدير في البلدات الصغيرة في البرازيل. فهل تعني القصة أن النصف الآخر من السكان جميعا أي كل البالغين، حتى من هم في عمر التسعين، يتناولون المهدئات؟ هذا أمر مستبعد. وسرعان ما نشر تصحيح بعد ظهور القصة. أما الرقم الصحيح فكان 16٪ من السكان البالغين.

إذا بدت الأرقام للوهلة الأولى على الأقل قابلة للتصديق، فإن السؤال التالي هو:

ما هو مصدر البيانات والمعطيات؟

جامعة؟ شركة خاصة؟ مؤسسة استطلاع للرأي؟ جماعة ضغط؟ هل المصدر مؤهل لجمع أو فهم هذه البيانات/ المعطيات؟ أم أن البحث الذي أجراه مصدر شهير ومعروف قد استخدم من قبل طرف ثالث؟ في هذه الحالة الأخيرة، عليك العودة إلى الباحثين الأصليين، وسؤالهم عن رأيهم باستخدام معطياتهم ودعوتهم للتعليق على الاستنتاجات المستخلصة منها. يمكن لذلك أن يؤدي إلى كتابة قصة إخبارية أفضل من الأصلية.

من أين أتت؟

إذا لم يستطع أحد إبلاغك عن مصدر الأرقام - وهي حالة شائعة مع المسوحات غير المباشرة ومسوحات المسوحات - يتوجب عليك أن تقرع أجراس الإنذار.

لماذا يقدمون هذه البيانات/ المعطيات؟

لماذا تقدم لي هذه البيانات/ المعطيات؟ بدافع المصلحة الشخصية؟ أم أن هنالك قضية يريد المصدر ترويجها؟ إن دراسة تتناول تأثيرات قرار حظر الصيد على استخدام العمالة في الريف تتضاءل مصداقيتها إذا أجريت من قبل باحثين استأجرتهم مجموعة ضغط تؤيد الصيد. لكن الأبحاث المزورة عمدا من قبل مجموعات الضغط تظل نادرة. والأرجح أن تكتفي بعدم نشر

الأبحاث التي تعارض قضيتها، أو تحلل الأرقام بطريقة تدعم الفكرة المتبناة مسبقا (سوف نتناول مجموعة الطرق التي يجري بواسطتها التلاعب بالإحصائيات في قسم لاحق من هذا الفصل).

لماذا تعلن البيانات/ المعطيات الآن؟

نادرا ما يكون التوقيت اعتباطياً، حتى بالنسبة للباحثين الأكاديميين. وما يبدو أنه توقيت اعتباطي استكمل عنده الأكاديميون (الذاهلون عن وقائع الحياة المعاشة!) أبحاثهم الشاقة في أبراجهم العاجية، لينشروا حكمتهم بين العامة، سوف يثبت على الأرجح ارتباطه الوثيق بالحاجة إلى معاودة طلب المنح الحكومية، أو الأمل بالحصول على رعاية جديدة، أو إضافة بحث علمي منشور إلى بيان سيرة ومنجزات القسم الذي يعملون فيه في الوقت المناسب لعملية التقويم الحكومي التالية. بالنسبة للبيانات/ المعطيات التجارية وتلك التي تصدرها جماعات الضغط، يمكن الاعتماد بشكل كلي على وجود سبب منطقي يكمن وراء التوقيت. فالأعمال التجارية تنتعش بإطلاق منتج جديد، وصدور إشارة عن منتج منافس، واجتماع وشيك يعقد لحملة الأسهم.. الخ. لكن السبب الكامن وراء التوقيت لا يتضح على الدوام، ويجب أن يشكل دائما جزءا من سياق القصة.

هل الأعداد كلها مدورة (معبر عنها بالعشرات أو المئات..)؟

تعتبر الأعداد المدورة إشارة مؤكدة إلى عدم الالتزام بصرامة العلم. وهنالك قاعدة منطقية تقول إن أي مصدر يزعم "تحقيق 50٪ من هذا الهدف أو 60٪ من ذاك" "متهم حتى تثبت براءته".

هل الرسوم البيانية صادقة؟

للرسوم البيانية مقاييس متدرجة عمودية وأفقية يمكن تعديلها لتقديم الانطباع المرغوب. كما يمكن جعل ارتفاع بسيط يبدو وكأنه ضخم وكبير، والعكس بالعكس. مخططات الأعمدة يمكن أن تخدع أيضا. أما الخدعة القديمة فهي التمثيل البياني للدخل على شكل حقائب مالية. فإذا كان دخل

شخص يعادل ضعفي دخل آخر، تظهر الحقيبة أعلى بمرتين من الأساسية. وهذا أسلوب مضلل لأن الحقيبة المالية الناتجة أكبر حجما بثماني مرات من الأصلية.

كل ما أنت بحاجة إليه حتى الآن جرعة من الحس البدهي السليم وقدرة صحفية صحية على التشكك والاشتباه. وهذا كاف لبلوغك هذه النقطة. لكن في أي قصة إخبارية تشمل إحصائيات، أنت بحاجة إلى معرفة - أولية - بالرياضيات. وبدونها، سوف تتعرض للخداع وتنطلي عليك الحيل. على سبيل المثال: تبلغك شركة في خضم نزاع تخوضه حول الأجور أن متوسط أجر العامل هو 28000 جنيه في السنة. فتنخدع وتنشر الرقم في جريدتك! في الواقع، ما أخبرتك به هو المعدل الوسطي، محسوبا بإضافة رواتب جميع الموظفين والعاملين - بمن فيهم المدراء الأربعة (من العائلة التي تملك الشركة) الذين تتجاوز رواتبهم 200 ألف جنيه في السنة. ولو قدمت لك أجر العامل تبعا للعدد المتوسط الأقرب للصحة، لكان الرقم 14 ألف جنيه. فإذا لم تسمع بالعدد المتوسط من قبل، كيف تستطيع توقي الخديعة؟ سنقدم فيما يلي "دليل الصحفيين" للتعرف على استخدام، وإساءة استخدام، أكثر الإحصائيات شيوعا.

المعدلات

هنالك ثلاثة أنواع من المعدلات:

المعدل الوسطي

هذا ما يعنيه معظم الناس بالمعدل. ويتم الحصول عليه من جمع القيم كلها ثم تقسيم الناتج على عددها. نقطة ضعف المعدل الوسطي تكمن في أنه يخفي بقدر ما يكشف. فهو لا يقول شيئا حول مدى القيم في الحساب. ولن يظهر - كما في مثال الرواتب والأجور الآنف ذكره - أن قلة من القيم المرتفعة (أو المنخفضة) تحرف النتائج وتشوهها، وبالتالي تقدم "معدلا" مضللا. لسوء الحظ، يعتبر هذا النوع المزيف من المعدلات أكثرها شيوعا. نقول "لسوء الحظ" لأنك حين تكتب عن "المعدل الوسطي للآباء" أو "المعدل الوسطي للطلاب" فأنت

لا تريد الإشارة إلى "معدل" وهمي افتراضي، بل إلى الآباء أو الطلاب في الوسط. وهذا ينقلنا إلى العدد المتوسط.

العدد المتوسط

يمثل هذا العدد، ضمن سلسلة من الأعداد (الوترية أو الشفعية)، القيمة التي تتوسطها. فبالنسبة للأجور التي تتراوح بين 9 - 23 ألف جنيه (ومعظمها عند الحد الأدنى)، يكون الرقم الأوسط 14500 جنيه - وهذا يعبر بشكل أكثر دقة عن معظم رواتب العاملين في شركة ما مقارنة بالمعدل الوسطي الذي يشوهه الأجر المرتفع لحفنة من المدراء. أما الخلط بين هذين النوعين الأكثر شيوعا من المعدلات فيأتي من تفكير الناس بمجموعات من القيم مثل الأعداد 1 - 20 هنا المعدل الوسطي هو 10 وكذلك العدد المتوسط. ويرجع ذلك إلى أن القيم موزعة بصورة متساوية وترتفع بالنسبة ذاتها كل مرة. لكن معطيات العالم الحقيقي نادرا ما تكون كذلك.

القيمة المشتركة

يمكن تعريفها ببساطة بأنها القيمة الأكثر تكرارا في مجموعة من الأرقام.

التوزع

ما يماثل العدد المتوسط في صلته بموضوعنا هو المدى الذي تغطيه القيم، وتحتاج غالبا لمعرفته لتبدأ بفهم معنى المعطيات/ البيانات. على سبيل المثال، المعدل الوسطي لدرجة الحرارة في منطقتين قد يبلغ 61 درجة (فهرنهايت)، الأمر الذي يعطي الانطباع بأن مناخيهما متشابهان. وهذا خطأ. فلربما تشترك المنطقتان بمتوسط درجة الحرارة نفسه، لكن قد يبلغ مدى الأولى 45 درجة، والثانية 130 درجة. وبالتالي يختلف المناخ السائد في الأولى عن ذلك السائد في الثانية اختلافا بينا.

يطلق على مدى القيم اسم التوزع. ولمعظم المعطيات الاجتماعية توزع قياسي تقترب قيمه من المعدل المتوسط، إضافة إلى قلة على الطرفين. على

سبيل المثال، تشير إحصائيات المعدل الوسطي للساعات التي يقضيها الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين 21 – 40 سنة في النوم، إلى أنها موزعة بشكل قياسي. مع أن قلة منهم يكتفون بخمس ساعات أو أقل من النوم ليلا، وقلة أخرى تحتاج إلى أكثر من تسع. ومعظم القيم ستتجمع حول 7.5 – 8 ساعات، مع انخفاض حاد في كلا الاتجاهين. أما إظهار مثل هذا التوزع على مخطط بياني فيأخذ شكل الجرس، ومن هنا أتى تعبير "منحنى الجرس" لوصف التوزع القياسي. من ناحية أخرى، سوف يتفاوت الدخل المتاح (بعد حسم الضرائب) للشريحة السكانية التي تتراوح أعمار أفرادها بين 21 – 40 تفاوتا هائلا – بعضهم يعيش على الإعانات الحكومية وبعضهم من المليونيرات. التوزع هنا يكون أكثر انتشارا.

الانحراف المعياري

يشير هذا المقياس إلى مدى تجمع القيم حول المعدل الوسطي. فالقيم المتجمعة معا تنتج انحرافا معياريا أقل. في حين تنتج القيم المتباعدة انحرافا أكبر. وبالرغم من أنه قد يطلب منك ألا تشغل ذهنك وتفكيرك "الأدبي" بمثل هذه الأمور، إلا أن الانحراف المعياري قد يكشف الكثير من الحقائق. خذ على سبيل المثال قصة تدور حول دراسة تتعلق بامتحان مقارن يجتازه الطلاب في مدرستين. الأولى تحقق علامات أفضل في المعدل الوسطي من الثانية. لكن هذا – بحد ذاته – لا يعني أن طلاب الأولى أكثر ذكاء، أو أساتذتها أكثر كفاءة. لذلك فإن ذكر هذا الرقم المجرد في تقرير صحفي قد يكون مضللا. لكن الانحراف المعياري سوف يقدم سياقا ومعلومات إضافية مهمة، كما يشير إلى الأسئلة التي ينبغي طرحها. أما الانحراف المعياري الأكبر في إحدى المدرستين فيكشف لك عن مدى أوسع بكثير من النجاح مقارنة بالأخرى. اسأل عن السبب. فلربما تقبل الثانية تلاميذ تتفاوت قدراتهم، بينما لا تقبل الأولى سوى ألمعهم وأكثرهم ذكاء ومقدرة. أو قد تركز الأولى كل جهدها على تدريس أذكى وألمع التلاميذ، بينما تركز الثانية على أقلهم ذكاء ومقدرة، وبالتالي تنخفض فيها معدلات النجاح.

يمكن للانحـراف المعـيـاري أيضـا أن يسـاعـد في الحكم على الروابط المزعومة بين مجموعتين من الظروف. فإذا ادعت دراسة وجود علاقة بين ظاهرتين مع انحراف معياري كبير، فإن الاحتمالات تشير إلى أنها تنطبق على بعض الحالات فقط، أي أنها تحدث مصادفة وحسب.

النسب المئوية

من المذهل كم يرتكب المراسلون من أخطاء عند حساب النسب المئوية في القصص الإخبارية التي يكتبونها. ولذلك، ومن أجل كل صحفي تغيب عن دروس الرياضيات حين كان طالبا، نقدم كيفية حساب الزيادة في النسبة المئوية: نطرح القيمة القديمة (الرقم الأساسي الذي يقارن به الرقم الجديد) من الجديدة، ونقسم الناتج على القيمة القديمة ثم نضرب الجواب بمائة.

مثل هذه العملية الحسابية البسيطة تسبب برغم ذلك الكثير من التشوش والارتباك. على سبيل المثال، من المستحيل رياضيا انخفاض نسبة إلى ما دون 100٪، لأن ذلك يعني انعدام الرقم. فإذا انخفض عدد إلى ربع ما كان عليه، فهو لم ينخفض بنسبة 400٪، بل بنسبة 75٪. الشراك الأخرى التي تنصبها النسب المئوية هي:

الأرقام الأساسية

الرقم الأساسي هو القيمة القديمة التي تقارن بها القيمة الجديدة. انتبه دوما للأرقام الأساسية. فلسوف تختار المصادر كافة، باستثناء أشدها تشبثا بالصدق والأمانة، الرقم الأساسي الذي يعطي – حين يقارن بالرقم الجديد – نتائج تدعم قضيتهم. فكر على الدوام: لماذا تم اختيار هذا الرقم الأساسي؟

تجاهل الرقم الأساسي الخاطئ

إذا انخفض رقم بنسبة 40٪، ثم ارتفع بنسبة 20٪، فإن العديد من الصحفيين سوف يظنون بأن نصف الخسارة السابقة قد تم تعويضها. لا أبدا.

إذا كان الرقم الأساسي 100، وانخفض بمقدار 40، فإن الرقم الإجمالي الجديد هو 60، والارتفاع بنسبة 20٪ يعني 12، أي أن المجموع الجديد هو 72، وليس 80، وهو الرقم الذي نحصل عليه إذا تمت فعلا استعادة نصف الخسارة الأصلية.

انتبه لغياب الرقم الأساسي

يغرم السياسيون والمعلنون بـ"دس" المزاعم التي تدعي تحقيق تقدم مؤثر. "نحن نزيد استثماراتنا في المدارس بنسبة 25٪". بماذا نقارن هذه الزيادة؟ بمعدلات السنة الماضية؟ بما استثمرته الحكومة السابقة؟ مقارنة بالاستثمار في شؤون الدفاع؟ لا طائل في هذا النوع من المقارنة بغياب الرقم الأساسي - ولربما يجهد المسؤولون لإخفائه لا لكشفه. انتبه أيضا للمصادر التي تقدم النسب المئوية دون داع، ودون أن تصاحبها الأرقام الأساسية التي تعتمد عليها.

لا يمكنك جمع النسب المئوية

في الحقيقة، يمكنك ذلك، لكن من الصعب المحافظة على الدقة في هذه الحالة. على سبيل المثال، إذا ارتفعت تكلفة العمالة في صناعة من الصناعات بنسبة 4٪، وتكاليف التأمين بنسبة 20٪، والمواد الخام بنسبة 2٪، فإن الزيادة الإجمالية في التكاليف ليست 4 + 20 + 2= 26٪. فبمجرد تأمل بسيط نكتشف أن من المستبعد أن تزيد تكاليف التأمين عن نسبة ضئيلة من تكاليف العمل والمواد الخام. وعلينا إضافة كل أرقام التكاليف الأساسية لنحصل على مجموع جديد ثم نعاود حساب الزيادة المئوية على المجموع القديم.

المعدل لكل فرد

حين نقارن بين مجتمعين، أو مدينتين، أو بلدين، فإن تغيرات النسب المئوية بحد ذاتها تضلل مثلما تعلّم، فمن أجل مقارنة ظاهرات مثل التغيرات الاجتماعية أنت بحاجة لمعرفة السكان في المنطقتين بحيث تستطيع استنباط المعدلات لكل فرد. لنفترض (بالاقتباس عن مثال ورد في كتاب داريل هوف الممتاز "كيف تلفق في الإحصائيات") أنك تكتب قصة حول عمليات الاغتصاب

في مدينتين: (آ) و(ب). كلتاهما تشهد خمسين عملية في السنة، الأمر الذي يجعلهما متشابهتين ظاهريا، إلى أن تستفهم عن الأشياء التي تغيرت مؤخرا. تعلم الآن أن العدد كان 42 في مدينة (آ) قبل خمس سنين بينما لم يتجاوز 29 في مدينة (ب). إذن، الارتفاع في مدينة (آ) بلغ 19٪ وفي مدينة (ب) 72٪. واعتمادا على هذه المعطيات، قد يخطط الصحفي المتسرع لكتابة قصة حول أزمة الاغتصاب في مدينة (ب)، تتناول ما يجري فيها والخطوات التي اتخذت لمواجهة الأزمة. لكن المدن الكبيرة تشهد عددا أكبر من الجرائم مقارنة بالصغيرة. لذلك، أنت بحاجة لمعرفة المعدل لكل فرد. ويمكن حسابه بتقسيم عدد الجرائم على عدد السكان، ثم ضرب الناتج بمائة ألف (لتفادي التعامل مع الأرقام الصغيرة المهملة) للحصول على المعدل لكل مائة ألف شخص. الآن، تبدو الأمور مختلفة قليلا. فقبل خمس سنين كان يقطن المدينة (آ) 55 ألف نسمة، ومعدل عمليات الاغتصاب 7.64 لكل مائة ألف من السكان. أما المدينة (ب) فكان يسكنها 450 ألفا ومعدل عمليات الاغتصاب 6.44 لكل مائة ألف. الآن، يقطن المدينة (آ) 600 ألف نسمة، والمعدل 8.33 لكل مائة ألف شخص، والمدينة (ب)، التي توسعت بصورة هائلة، يسكنها 800 ألف نسمة، والمعدل فيها 6.25، إذن، انخفض في الحقيقة المعدل في المدينة (ب) حوالي 3٪، بينما ارتفع في المدينة (آ) بنسبة 9٪. وهكذا، حصلت الآن على المعلومات الضرورية لكتابة تحقيق صحفي أكثر توازنا ورصانة وتثقيفا وتنويرا للقراء.

عند عقد أي مقارنة، أنت بحاجة لمعرفة المعدل لكل وحدة، بغض النظر عما إذا كانت فردا، أو أسرة، أو ميلا يقطع. على سبيل المثال، يمكن تقدير معدل الأمان والسلامة في السفر بحساب عدد الحوادث أو الوفيات لكل ميل يقطعه المسافر. على سبيل المثال، شهد 1998 أكبر عدد من الوفيات في حوادث الطيران، وبالمقارنة مع عام 1952، يمكن القول إن الطائرات أكثر خطرا اليوم. لكن معاينة الأرقام المتعلقة بالأميال التي يقطعها المسافر تصحح بسرعة هذا الخطأ. وتذكر أن تقارن الوحدات المتشابهة. فمعدل الوفيات في الجيش

البريطاني أكثر انخفاضا منه في قرية لوار بيدلينغتون الهادئة. لكن الحقيقة تكمن في أن الأول عبارة عن مجموعة من الشبان الأصحاء، في حين أن الثانية تضم أساسا فقراء وشيوخا في أرذل العمر.

المسوحات

من بين أنواع القصص الإخبارية كافة، تحوم أكثر الشبهات باستمرار حول المسوحات. فقد أدرك كل مروجي الدعاية الرخيصة منذ أمد بعيد أن المسوحات طريقة سهلة التلفيق لتغطية قضيتهم، أو سياستهم، أو مؤسساتهم. وهم يفكرون بإحدى القضايا الخلافية، أو بموضوع مثير إعلاميا، ويطرحون على الناس أسئلة حولهما، ثم يصدرون نشرة إخبارية تكشف عن أن المنتج (آ) هو المفضل لدى الأمة، أو أن سياسة (ب) هي أنجح السياسات، أو أن نسبة الإنجاز قد تجاوزت التقديرات السابقة. وفي كل يوم، تنشر الصحف مثل هذه التوافه غير العلمية. والأسوأ من ذلك مسوحات الاتجاهات والميول الاجتماعية، التي تؤكد اكتشاف شرائح فرعية جديدة في المجتمع اعتمادا على أجوبة متسرعة عن أسئلة لا تمت إلى العلم بصلة.

معظم المسوحات التي تحاول إغراء الصحفيين لا تأتي من الأكاديميين، بل من رجال الأعمال والناشطين المؤيدين لقضية من القضايا. ولم يعرف عن أي من هاتين المجموعتين إجراء بحوث علمية نزيهة ومتجردة. لذلك، حين تواجه عملية مسح، فإن أول سؤال يجب أن يخطر على بالك هو: من يبلغك به، ولماذا؟ لكن شراك المسوحات لا تقف عند هذا الحد.

ما هي العينة؟

في عدد لا يحصى من المرات، تتفكك القصص الإخبارية البارزة المعتمدة على المسوحات، وتنهار حين تواجه بالسؤال التالي: ما حجم العينة؟ حتى بعض الصحفيين المتمرسين في الصحف الوطنية المحترمة كتبوا مقالات من 700 كلمة اعتمادا على مسوحات تبين أن العينات التي ضمتها لا تزيد عن

العشرات. فرصة مثل هذه العينات في تمثيل الواقع الحقيقي ضئيلة جدا، إلا إذا شكلت جزءا معتبرا من الكل الإجمالي الذي يخضع للقياس (مثلا: عينة من عشرين في فئة من أربعين). صحيح أن النتائج التي تستخلصها قد تكون مثيرة ولافتة (وهذا ليس بالأمر المفاجئ حين نأخذ بالاعتبار مدى ابتعادها عن الدقة)، لكن لا ينبغي أن يمثل ذلك سببا موجبا لنشرها. إن مسؤولية الصحفيين تتجاوز إطار العثور على مصدر للقصة الإخبارية. فهي تمتد لتشمل إيجاد روابط عقلانية تتصل بالمادة الخبرية. وهذا يعني أحيانا عدم كتابة القصة من الأساس.

كم يجب أن يكون حجم العينة؟

من الواضح أنه كلما كبر حجم العينة زادت قدرتها على التمثيل. لكن لا ينبغي على الدوام أن تكون كبيرة الحجم، بشرط أن يتم اختيارها بذكاء. المسوحات التي تتناول 1600 شخص مثلا يمكنها إذا أجريت بصورة صحيحة أن تشكل دليلا إرشاديا جيدا لمعرفة انقسام الرأي العام ضمن دولة يسكنها خمسون مليونا. لكنها لا تزيد عن ذلك: دليل إرشادي وحسب. أما مدى صدق هذا الدليل فيحدده هامش الخطأ.

ما هو هامش الخطأ؟

إنه مدى الدقة. لنفترض أن لعملية مسح هامش خطأ يبلغ 5.2٪. ووجدتْ أن نسبة الدعم والتأييد للحزب الحاكم تبلغ 45٪، إذن فإن للنتيجة مدى يتراوح بين 5.42 - 47.5٪. يتم حساب هامش الخطأ تبعا لعدد الأشخاص في العينة (وليس بالإشارة إلى العدد الإجمالي للسكان الذين تنتقى منهم). فحجم العينة يحدد هامش الخطأ، بغض النظر عما تمثله. إذ إن لتلك التي تضم 1600 شخص هامش خطأ يبلغ 5.2٪، ولتلك التي تضم 400 شخص هامش خطأ يبلغ 5٪ . أما هامش الخطأ للعينة التي تضم مائة شخص (وهي ليست أمرا غير عادي في المسوحات التي تجرى على عجل من أجل العلاقات العامة)

فيبلغ 10٪. وهذا يعني أن النتيجة التي تشير إلى أن 50٪ من المواطنين يؤيدون السياسي (س)، قد تنخفض في الحقيقة إلى 40٪ أو ترتفع إلى 60٪ (أو تبلغ أي نسبة بينهما). ولا ريب أن مثل هذا الاستطلاع يفتقد الدقة.

كيف تم اختيار العينة؟

تظهر فجوة واسعة في المصداقية بين عينة المسح المختارة عشوائيا وبين تلك المختارة بشكل انتقائي. فاستقصاءات الرأي المختارة ذاتيا يجيب عنها عادة أصحاب الدوافع والبواعث - الناشطون الذين يتمتعون برأي قوي ونافذ (وبالتالي أبعد ما تكون عن التمثيل الدقيق)، أو أولئك الذين منحوا دافعا محفزا للاستجابة ("أكمل هذا الاستبيان البسيط وستدخل السحب على جوائزنا").

من هم الذين تشملهم العينة؟

العينة العشوائية الجيدة تقدم بشكل أكيد فرصة متساوية لضم الجميع. لكن حتى بالنسبة للإحصائيات يصعب تحقيق ذلك. فبرغم كل شيء، أين تذهب للعثور على عينة "تمثيلية"؟ الشارع؟ فيفوتك جميع العاملين والموظفين، وربات البيوت، والذين يتنقلون بالسيارات؟ البيوت؟ فتخفق في استطلاع رأي العاملين، والمتسوقين، وكل من خرج من منزله. وهل تجري المسح في النهار أم في الليل؟ لهذا السبب تشمل عمليات المسح الشهيرة والموثوقة عينات عشوائية طبقية - أي تقسم السكان إلى مجموعات متعددة وتأخذ عينات منهم تبعا للجزء الذي يمثلونه من الكل. وحتى في هذه الحالة، تعتمد دقة المسح على من يقوم به ويعرف الحصة التي يمثلها هؤلاء. مثلا، نسبة النساء اللاتي تتراوح أعمارهن بين 25 - 40 سنة ويحصلن على مستوى معين من الدخل. في الحقيقة، تعاني كل طريقة من مشكلات التحيز، أو التعمد المقصود أو غير ذلك.

من المستبعد من العينة؟

هذا يعادل في الأهمية من يشمله المسح. يستشهد داريل هوف بعملية مسح واسعة النطاق أجريت قبل سنوات عديدة حول رواتب خريجي جامعة ييل

(للعام الدراسي 1924). كانت النتيجة 25.111 دولارا، وتم الاتصال بالمبحوثين من خلال الكتب السنوية التي تعرّف بالصناعة والصناعيين.. الخ. بكلمات أخرى، كانوا من كبار المدراء التنفيذيين في الشركات والمؤسسات. لكن صعب اقتفاء أثر خريجي تلك السنة من جامعة ييل الذين لم يحققوا نجاحا يذكر، أو رفضوا الإجابة عند العثور عليهم. فإذا أجريت عملية المسح بواسطة إرسال الاستبيانات (بالبريد مثلا)، يجب معرفة نسبة الذين لم يجيبوا ولماذا.

هل تشمل النتائج العينة برمتها، أم مجرد أولئك الذين أجابوا عن الاستبيان؟

حين يقول تصريح صحفي مثلا إن عملية المسح التي أجريت لمعرفة مواقف الفعاليات التجارية تجاه معدلات الفائدة، قد أظهرت أن نسبة 80٪ من الشركات اعتبرت معدلات الفائدة المرتفعة مشكلة، يجب أن تسأل عن عدد الاستمارات التي أرسلت. إذا كان الجواب: 2000 استمارة، اسأل: كم عدد الشركات التي أجابت؟ لنفترض أن الجواب 160 -80 ٪ منها اعتبرت معدلات الفائدة المرتفعة مشكلة. إذن، الحقيقة هي: "وجدت عملية مسح أجريت لمعرفة مواقف الفعاليات التجارية تجاه معدلات الفائدة، أن 80٪ من الشركات التي استجابت اعتبرت المعدلات مشكلة، لكن 93٪ من الشركات الألفين التي استطلعت آراؤها لم تجب عن الاستبيان".

هل يشمل المسح استطلاع الشؤون الذاتية؟

في هذه الحالة عليك أن تنتبه، خصوصا إذ تطلب المسح من المبحوثين التحدث عن مسلكهم بدلا من معتقداتهم. هل هناك وصمة عار ترتبط بإجابة معينة دون غيرها؟ في المسح الذي يتناول النظافة الشخصية أو الاستقامة أو الأمانة مثلا، من المستبعد أن يصرح الناس عن أساليبهم الكريهة أو غير القانونية. والمثال الصارخ على ذلك عمليات المسح التي تتناول الأمور الجنسية. فهذه محكوم عليها منذ البداية بأن الإجابات ستكون استعراضية أو متفاخرة ومتباهية. ومن المستبعد مشاركة المتزمتين والمحافظين والذين يميلون إلى العزلة ويبتعدون عن المغامرات.

هل الأسئلة مجردة ونزيهة؟

في المسوحات التي تبدو موثوقة ومحترمة، لكن تفرز نتائج مفاجئة، قم بمراجعة الأسئلة. على وجه العموم، من النادر أن يضم استبيان أسئلة "جوابية سافرة (أي تتضمن تلميحا إلى الجواب، مثل: "ارتبط اللون الأحمر بالشرائح السكانية المحدودة الدخل. الآن، ما هو لونك المفضل؟"). أما تلك الأكثر شيوعا فهي سلسلة تقود المبحوث الذي يفتقد الذكاء إلى اتجاه معين بشكل تدريجي.

ما مدى دقة إجابات المبحوثين؟

يميل الناس، خصوصا في مسوحات المواقف والسلوكيات، إلى إعطاء الإجابات التي يعتقدون أنها ستعتبر إيجابية من قبل الآخرين. ومن الأمثلة على ذلك المسح الذي أجري لصالح صحيفة "نيوز اوف ذي ورلد"، حين سئل القراء عن المقالات التي يحبونها ويكرهونها. أجاب معظمهم بأنهم يفضلون المقالات الافتتاحية والمقالات الدينية؛ ولم يعترف سوى عدد قليل منهم بقراءة التقارير التي تتناول الجنس والجريمة. وحين أوقفت الجريدة نشر مثل هذه التقارير، هبطت نسبة التوزيع بشكل حاد.

استطلاعات الرأي

نادرا ما تكون مؤسسات استطلاعات الرأي الشهيرة مذنبة بالتهم والمثالب والعيوب التي أشرنا إليها آنفا، وطالما ظلت النتائج تنقل في الصحف بشكل دقيق وصحيح (وهذا يعني الإشارة ضمن القصة الإخبارية إلى هامش الخطأ)، إضافة إلى السياق طبعا، فإن فرصة تضليل القراء تبقى ضئيلة. فبرغم كل شيء، هم الذين يحددون مقدار الثقة التي يضعونها في هذه الاستطلاعات.

الخطر في استطلاعات الرأي يأتي من التفسير. لذلك، ينبغي أن نتذكر عدة نقاط مفتاحية:

اتجاه عدة استطلاعات أكثر أهمية من استطلاع واحد

يمكن للاستطلاع الوحيد أن يكون مضللا، ولا ينبغي الاعتماد عليه كثيرا. لكن إذا قادت عدة استطلاعات نحو نفس الاتجاه، فإن احتمال دقة وصحة الاتجاه الذي أشارت إليه يكون كبيرا.

راقب العينة بعناية

في الاستطلاعات السياسية، خصوصا مع اقتراب موعد الانتخابات، كثيرا ما تجري وسائل الإعلام استطلاعات متعجلة، ومن المرجح أن تشمل عينات صغيرة العدد. ولذلك تكون أقل موثوقية ومعولية.

راقب هامش الخطأ في الاستطلاعات المقارنة

الخطأ التقليدي في نقل استطلاعات الرأي هو مقارنة استطلاعين، والتركيز على أهمية دلالية لا وجود لها. فإن وجد الاستطلاع الأول أن نسبة المؤيدين للحكومة تبلغ 45٪، وللمعارضة 42٪، ووجد الاستطلاع الثاني أن نسبة المؤيدين والمعارضين هي 44٪، فهل يعني ذلك أن الحكومة تخسر التأييد؟ يعتمد كل شيء على هامش الخطأ. فإذا كان 3٪ في الأول، فإن نسبة التأييد للحكومة تتراوح بين 42 -48 ٪، وللمعارضة بين 39 -45 ٪ فإذا كان للاستطلاع الثاني أيضا هامش خطأ بنسبة 3٪، فإن نسبة التأييد للحكومة والمعارضة تتراوح بين 41 -47 ٪ وبذلك تكون نتائج الاستطلاع الثاني ضمن نطاق هامش الخطأ في الأول، أي أنه لم يحدث جديد على الصعيد الإحصائي. ولسوف تحتاج إلى مزيد من الاستطلاعات لاستخلاص النتائج.

الصلة

أخطر كلمة في الصحافة هي "الرابطة". إذ يظهر عدد كبير من القصص والمقالات المضللة بسبب ادعاء أصحاب الأهداف الشخصية بوجود علاقة رابطة بين شيئين، وفشل الصحفيين في إجراء ما يكفي من الاستقصاء والبحث والمساءلة. أما النتيجة فهي تشوش وخلط بين الصلة الإحصائية

والعلاقة السببية. وهما مفهومان مختلفان. إذ يمكن، ويرجح، للصلة أن تكون مجرد مصادفة. أما الرابطة السببية فهي بين علة ومعلول، أي حين يسبب شيء شيئا آخر (أو يساعد على حدوثه).

الصلة بين عاملين لا تعتبر دليلا يثبت وجود علاقة بينهما. فقد توجد مثلا صلة وثيقة بين زيادة إنفاق الرهبان الكاثوليك وارتفاع مبيعات العازل الذكري، لكن لا توجد رابطة سببية بين الأمرين. إذ إن جميع أنواع الروابط الاقتصادية المعقولة (والمزيفة أيضا) تروج للصحفيين حين يكون التفسير الأكثر احتمالا - في فترة النمو الاقتصادي مثلا - هو أن كل المعطيات والنسب المتصلة والعديد من تلك التي لا تجمع بينها أي صلة، سترتفع بالمعدل ذاته. الصدفة هي أفضل تفسير هنا، مثلما هي بالنسبة للعديد من الصلات.

القصص الإخبارية التي تتناول الشؤون الصحية

القصص التي تؤكد أكثر من سواها على "الروابط" بدون قيود هي التي تتناول الشؤون الصحية. على سبيل المثال، يقال لك إن هنالك علاقة واضحة بين الاعتدال في تناول النبيذ وانخفاض في اختطار الإصابة بالسرطان. قبل أن تكتب عن تلك الرابطة في قصتك، توقف وفكر مليا. فلربما يلجأ أولئك الذين يتناولون النبيذ باعتدال إلى سبل أخرى تقلل خطر إصابتهم بالسرطان - كإجراء مزيد من الفحوص الطبية، أو التقليل من التدخين، والتخلص بسهولة أكبر من الضغوط النفسية، أو يكونون من الأثرياء أو الأصحاء بدنيا.. الخ. هذا مثال تقليدي على كيفية وضع السياق الذكي المتوازن "للرابطة" في مكانها المناسب. ثم هنالك القصص التي تقارن معدلات انتشار الأمراض بين البلدان المختلفة. وهذه تعطي غالبا نتائج مفاجئة. فمعدلات الإصابة بالسرطان في البلدان المتقدمة مثلا أكثر ارتفاعا من تلك السائدة في البلدان الأقل ثراء وتقدما. فهل يعني ذلك أن سكان البلدان الفقيرة يتبعون أنظمة غذائية معينة أو لديهم وصفات سرية يحتفظون بها؟ هذا احتمال ممكن، لكن من جهة

أخرى، يمكن أن يفسر ذلك بأن السرطان مرض يصيب الكهول والشيوخ، ومتوسط عمر السكان في البلدان الغنية أعلى منه في البلدان الأقل غنى، ولذلك يرتفع عدد المصابين بالسرطان فيها.

عند كتابة قصة إخبارية حول الصحة أو السلامة، تذكر أن إحصائيات الوفيات أكثر موثوقية على الدوام من معطيات وبيانات الجرحى والإصابات. لأن هناك التزاما قانونيا يوجب تسجيل سبب الوفاة، وبالتالي فإن مثل هذه الأرقام أقل عرضة للتلفيق وإساءة التشخيص. كما أنها متحررة كلية من التشخيص الذاتي، الذي يمكن، في حالة الإصابات، أن يشوه ويحرف بواسطة الحوافز المالية للمبالغة والتضخيم للحصول - مثلا - على التأمين أو التعويض.

الدراسات الانتقائية

هنالك نوع آخر من القصص الإخبارية حيث توقع "الرابطة" السطحية الصحفي الغافل في شراكها، ألا وهي الدراسات التي تتناول الأمراض المنتشرة في المناطق القريبة من خطوط الطاقة الكهربائية، أو أماكن التخلص من النفايات السامة، أو المزارع التي استخدمت فيها المبيدات.. الخ. يجري مثل هذه الدراسات عادة المشاركون في الحملات أو المحامون عن الضحايا، وقد مارست تأثيرا لا يقدر بثمن في التنبيه إلى الأخطار المهددة للبيئة. لكن "الروابط" المزيفة تظهر هنا في أغلب الأحوال، لأن الباحثين المتلهفين على إثبات قضاياهم، سرعان ما يعتمدون الأسلوب الانتقائي في جميع المعطيات، حيث يختارون ما يناسبهم منها، ويوسعون المجال للحصول على النتائج المرغوبة. تحقق على الدوام من حدود مثل هذه الدراسات، وإلا لن تجد فيها أي معنى منطقي. ولا تنس أن الأسلوب المخادع نفسه قد تستخدمه السلطات لإجراء دراسات مضادة في محاولتها لإنكار وجود مشكلات صحية أو بيئية.

التقديرات المستقبلية

تبالغ المصادر بصورة متكررة بالتقديرات والتوقعات. أما أكثر الطرق شيوعا فهي تطبيق أعلى معدل محتمل للنمو على فترات قادمة تكون فيها

المعـدلات المبكرة المرتفعـة (التي ترتفع فيـهـا بالضـرورة النسـب المئـوية) قـد انخفضت. نعرض فيما يلي أسلوبا آخر لإساءة استخدام التقديرات.

"نحن نخسر سبعة ملايين جنيه في الشهر"

تدلي الشركات غالبا بمثل هذا التصريح خلال الإضرابات عن العمل. أما السؤال فهو كيف توصلت إلى مثل هذا الرقم. في معظم الحالات يتم حساب المبلغ من خلال ضرب حاصل أعلى أيام السنة إنتاجا بـ 365، ثم إضافة كل أنواع الخسـائر المقدرة - زيادة أقساط التأمين، نفقات استبدال العملاء.. الخ. عليك أن تسأل أولا ما هو العائد في السنة الماضية، ولماذا تبدو خسائر الشركة المقدرة شهريا وكأنها تؤدي إلى عائد يتجاوز ما تحقق فعلا بعدة مرات.

الارتفاع الحقيقي مقابل الظاهري

وهذا من مصادر الخداع الأخرى، حيث لا يدل الارتفاع في المعدلات على ارتفاع حقيقي. لربما حدث ارتفاع حاد في درجة الوعي، أو ظهرت حوافز وبواعث جديدة يجب الكتابة عنها. مثل هذه العوامل مهمة للسياق، وحيوية على نحو خاص حين يصبح نوع من أنواع السلوك - الإجرامي عادة - الخبر الذي يثير اهتمام الناس. ما يحدث عندئذ هو أن الظاهرة تكتسب اسما مخادعا ("الشجار العنيف بين سائقي السيارات" مثلا). وعلى نحو مفاجئ، تبدو مثل هذه الحالات منتشرة في كل مكان. لكن حين تخضع للاختبار الإحصائي، يثبت أن ظاهرة "الوباء المتفشي الجديد" ليست "وباء متفشيا" ولا "جديدا"، مثلما تشير الصحف.

هل تغير تعريف موضوع المسح؟

يمكن تحقيق نمو هائل في عدد مدارس الحضانة مثلا إذا أطلق على ما كان يعرف سابقا بـ"أماكن لعب الأطفال" اسم "مدارس الحضانة". ولذلك فإن من الخطأ هنا استنتاج تزايد كبير في تعليم الأطفال تحت سن الخامسة.

الحقيقة أشد إثارة من التضليل أو الخرافة

أولاً، لأنها واقعية. ثانيا، لأنها كثيرا ما تفاجئ. في البلدان التي تعاني من طقس سيئ في الشتاء، تدور القصة الإخبارية المعتادة حول ارتفاع الحوادث المرورية بسبب هطول الثلج مثلا. لكن إن تحققت من المعطيات تجد أن حوادث الاصطدام أكثر عددا في الأيام التي يصفو فيها الجو وتشرق الشمس - ربما تزيد بمقدار الضعفين. فحين يصفو الجو ويتحسن يخرج عدد أكبر من الناس إلى الطرقات، بينما لا يخرج في الأيام العاصفة سوى المضطرين (بمن فيهم أولئك الذين يكسبون رزقهم من القيادة). ولذلك يقل عدد الحوادث. إن "هطول الثلج ينقذ أرواح الناس" لا يعتبر عنوانا لتحقيق صحفي مثير، مقارنة بـ"عاصفة ثلجية تقتل 13 شخصا"، رغم أنه أقرب إلى الدقة والحقيقة.

أخيراً، بالرغم من أهمية الإحصائيات التي لا يرقى إليها الشك، تذكر أن المبالغة في الاستشهاد بها قد تقطع سلاسة وتدفق حتى أفضل القصص الإخبارية. استخدم ما تحتاجه منها، وضع البقية في إطار، أو رسم بياني، أو جدول، أو عمود جانبي.

"تتلاشى وتبهت في الحال ألف قصة يرويها ويؤمن بها الجهلة، حين يقبض عليها عقل حسابي".

صمويل جونسون

9

البحث على الشبكة الإلكترونية

"توفير الملاذ والمأوى لأكبر عدد ممكن من العاملين المأجورين الغريبي الأطوار جزء من الرسالة الاجتماعية لكل صحيفة عظيمة".

لورد تومسون، صاحب جريدتي "تايمز" و"صنداي تايمز" (1961– 1981)

شهد العالم ثلاث ثورات في مجال الحفاظ على المعلومات، وإتاحتها، ونقلها، ومعالجتها. تجسدت الأولى في ظهور الكلمة المكتوبة قبل آلاف السنين، والثانية في اختراع الطباعة قبل مئات السنين، أما الثالثة فما زلنا نعيش في ظلها حتى الآن، إنها بالطبع الإنترنت – الوسيلة التي يستطيع بها كل إنسان في هذا الكوكب عرض معلومات يستطيع الآخرون قراءتها على الفور.

في عام 1990، كانت المعلومات المطلوبة موجودة على الورق أو على الأقراص: فإن احتجت للحصول على معلومات من المكتبة فعليك الذهاب إليها، وعليك استخدام الفاكس أو البريد لإرسال الرسائل المكتوبة. بخلال بضع سنين، تغير الوضع. فكل من يتاح له حاسب مزود بجهاز "مودم"(*) يستطيع الآن أن "ينشر" ما يريد ليقرأه الناس في مختلف أرجاء العالم؛ ويتلقى

(*) Modem: اختصار لكلمتي معدل/مفكك التعديل :(modulator/demodulator) جهاز اتصالات يمكن الحاسب من نقل المعلومات عبر خطوط الهاتف العادية. (م)

المعلومات المعقدة الغنية بالرسوم البيانية بصورة فورية تقريبا؛ والأهم من كل ذلك بالنسبة للبحث، الوصول الفوري إلى معظم المخرجات المكتوبة المتراكمة (والمتنامية بسرعة) في العالم. يمكنك الآن مثلا "الجلوس" وسط روسيا وإجراء البحوث الضرورية لكتابة مقالة شاملة وحديثة حول كرة القدم البرازيلية. نعم، لقد فعلت ذلك بنفسي.

ربطت الإنترنت سبعين ألف شبكة كمبيوتر في أرجاء العالم كافة، شملت المكتبات، وقواعد البيانات، والشركات التجارية، والمنظمات الأهلية (المنظمات غير الحكومية)، والجامعات.. الخ. وباستخدام الكمبيوتر وجهاز المودم، يمكن للمراسلين الصحفيين الآن أداء المهمات التالية من منازلهم أو مكاتبهم المريحة:

- الوصول إلى كم هائل من المعلومات لا تتوفر لهم بدونهما.
- التحقق من الشواهد والاقتباسات في القواميس، والموسوعات، والمعاجم الجغرافية، والتقويمات والكتب السنوية، التي تفوق ما كانوا يعتقدون بوجوده سابقا.
- تحديد موقع المصادر والخبراء والاتصال بهم.
- البحث في محفوظات (أرشيف) القصص الإخبارية.

كما يمكنهم، باستخدام حواسبهم والبرمجيات المعيارية، القيام بما يلي:

- تخزين هذه المعلومات.
- تداولها ومعالجتها بسرعة.
- تحميل المعلومات إلى قاعدة بيانات.
- البحث في قاعدة البيانات وتحليلها.

الحمقى وحدهم يرفضون الاستفادة من كل ذلك. وفي الحقيقة، يماثل رفض استخدام الإنترنت لإجراء البحوث والدراسات امتناع المراسل الصحفي عن استخدام الهاتف. لنأخذ مثالا شائعا (ومبتذلا) على ذلك، ولنفترض أنه طلب من صحفيين اثنين تحضير مقالة حول متلازمة الصدمة السمية، وهي

حالة تصاب بها النساء بعد استعمال سدادة الحيض. لسوف يتبع كل منهما الخطوات التالية:

المراسل الذي لا يستخدم الشبكة الإلكترونية. يلجأ إلى الهاتف للعثور على الأطباء وسؤالهم عن الحالة، ثم يبحث عن الخبراء ويطلب إجراء مقابلة شخصية معهم، وبعد ذلك يبحث عن المقالات التي تناولت الموضوع في الصحف غير المتخصصة. ويسعى للوصول إلى الناشطين في هذا المجال ويقابلهم أملا بلقاء المريضات، كما يلتقي بالشركات المصنعة للسدادات.

المراسل الذي يستخدم الشبكة الإلكترونية. يقوم بجميع الخطوات السابقة، إضافة إلى البحث عن الموضوع على الإنترنت ليعثر على مواقع مجموعات الناشطين وأعضاء الحملات في هذا المجال، علاوة على المواقع التي تقدم "الدليل" حول الموضوع، وتلك التي تعرض قائمة بأحداث المقالات التي تناولت القضية في الصحف، وشهادة المريضات، والمصنعين الذين يرفضون تحمل مسؤولية الحالة. ومن هذه المواقع، يحصل على عناوين البريد الإلكتروني الضرورية لإجراء المقابلات (بواسطة الهاتف أو البريد الإلكتروني)؛ ويبحث عن الموضوع في محفوظات القصص الإخبارية، ويجد جميع الأخبار الجديدة والمقالات المنشورة حديثا في المطبوعات الرئيسة؛ ثم يذهب إلى مواقع أخبار ورسائل جماعات الاعتماد الذاتي، ويتابع الشهادات المنشورة هناك، ويعرف أسماء الخبراء والمختصين؛ ثم يتصل بهؤلاء جميعا من خلال البريد الإلكتروني ويطلب الإذن بالاقتباس منهم ويطرح أسئلة إضافية. كما يكتشف أيضا مواقع الأخبار المهمة حول الموضوع، وموقع المتحف العالمي الوحيد حول الحيض.

فأي من المراسلين يتفوق على منافسه ويحصل على وظيفة مرموقة في صحيفته؟

عند التعامل مع الأخبار العاجلة، يمكن للإنترنت أن تقدم مساعدة أكبر. فحين انتشرت أخبار المذبحة في مدرسة كولومباين عام 1999، تمكن مراسلو

الصحيفة التي أعمل بها، وهم على مسافة 7000 ميل، من العثور على مواقع "الويب" الخاصة بالمدرسة التي تنشر الصور والتفاصيل المتعلقة بالمخطط التنظيمي، ومواقع محطات التلفزة والإذاعة والصحف المحلية التي تعرض التقارير الصحفية، ثم وجدوا الموقع الذي يديره أحد المراهقين القاتلين. وفي أوائل عام 1999، حين غرق مركب لصيد المحار قبالة ساحل نيوجرسي، استطاع الباحثون في وكالة اسوشييتد برس الوصول إلى قواعد البيانات للحصول على عنوان الشركة المالكة للسفينة، وتاريخ آخر فحص فني أجري عليها، وعنوان وسيره حياة أحد المفقودين من أفراد الطاقم، وأرقام هواتف جيرانه - كل ذلك بخلال نصف ساعة. ومثلما يقول روبرت بورت، محرر القسم الخاص في وكالة اسوشييتد برس:

> ***أستطيع باستخدام الإنترنت أن أعرف مثلا هل أقيمت دعوى ضد الشخص المعني، وهل هو متزوج أم مطلق، وهل له سجل جنائي. وبإمكاني أن أعرف مكان أي شخص في الولايات المتحدة يستخدم بطاقة الائتمان أو لديه حساب مصرفي، بخلال خمس دقائق. وبمقدوري أيضا معرفة مكان أفراد أسرته وتاريخ عناوينهم في أقل من ثلاثين دقيقة.***

لكن - ونشدد هنا على كلمة لكن - للإنترنت نقائصها ومثالبها أيضا. صحيح أن ميزتها الهائلة تكمن في الحجم الضخم للمادة المتوفرة، لكن هذا يمثل أيضا أكبر عيوبها. فبالنسبة للمبتدئين الأغرار، يمكن للافتقار إلى الممارسة والخبرة في معرفة ما الذي يبحثون عنه وأين يجدونه (إضافة إلى الإغراء المحتوم بالتجول في المواقع الجانبية التي لا تتصل بالموضوع) أن يجعل البحث على الإنترنت مهمة بطيئة وشاقة. وليس من الصعب العثور على صحفيين يطلقون على "شبكة الويب العالمية" (World Wide Web) "شبكة الانتظار العالمية" (World Wide Wait)، وكيف أدى البحث عن معلومة إلى

عرض 345789 صفحة من قبل محرك البحث! حتى أولئك الذين يستخدمون الإنترنت بانتظام للبحث يفعلون ذلك بطرق تسبب لهم التأخير والإحباط.

بالنسبة لمعظم هذه المشكلات (باستثناء إغراء الدخول إلى المواقع الفرعية التي لا تتصل بموضوع البحث) هنالك تقنيات يمكن بواسطتها حلها أو التخفيف من حدتها، وهذا ما يتناوله هذا الفصل. كما يغطي حدود وقيود وشراك الإنترنت التي ينبغي أن ينتبه لها الصحفيون.

الويب

شبكة الويب العالمية هي أبرز وأفضل ما في الإنترنت. أما أسوأ ما فيها - المواقع الخلاعية للأطفال، وصفحات الموطن (homepages) السخيفة، والمواقع التي تعد بالكثير وتقدم القليل - فترافقها دعاية كبيرة. في حين أن أكثرها فائدة أقلها شهرة: المواقع الحكومية التي تتيح الوصول الفوري إلى المعطيات والبيانات والتقارير والخطط والصلات الرسمية؛ والمصادر الأكاديمية التي تقدم الدلائل الإرشادية، والمقالات، والمعطيات/ البيانات حتى حول أكثر المواضيع غموضا؛ والمواد المرجعية التي تتراوح بين "موسوعة المعارف البريطانية" الشاملة، وبين قواعد البيانات المتعلقة بموضوع واحد؛ ومواقع الأخبار ومحفوظاتها (الأرشيف)، ومواقع البحث الأخرى مثل دليل الهاتف، وجداول مواعيد الأحداث والمناسبات الإخبارية القادمة، والبرامج الخاصة بالعثور على الأشخاص، ولوائح السجلات العمومية، وقواعد بيانات الخبراء، ومستكشفات العناوين، والأسئلة المتكررة. فإن عرفت أين تبحث، يمكنك بخلال دقائق معدودات أن تجد عمليا أية معلومة: بدءا بقواعد بيانات الإعلانات التلفزيونية، وقوائم بأسماء المحامين المتخصصين بدعاوى الحوادث الجوية، مرورا بمواقع تصف 2000 مادة خطرة على الصحة، وانتهاء بالمحفوظات والمقالات المتعلقة بالجريمة المنظمة، وقوائم تضم أسماء الأنواع الحيوانية المهددة بالانقراض، والسير الذاتية المختصرة للمشرعين.

ومع اكتسابك للخبرة، ستجد مزيدا من الاستخدامات المتخصصة لشبكة الويب للبحث: العثور على المصادر والصلات، الاستعانة بالخبرات حول الموضوع الذي تحقق فيه، تبادل معلومات مع الصحفيين (من غير المنافسين)، بل حتى العثور على قصص إخبارية.

إذن، من أين تبدأ؟ تبعا لتجربتي، الدلائل الإرشادية، لا محركات البحث، هي أفضل مكان مثمر تبدأ منه.

الدلائل الإرشادية

وهذه عبارة قوائم تدرج أكثر المواقع فائدة حول موضوع معين، مع بعض الملاحظات حول محتواها. أفضل الدلائل الإرشادية جمعت من زبدة ما تعرضه محركات البحث، إضافة إلى المواقع المنعزلة التي قد تخطئها. وفي حين أن هناك دلائل إرشادية على الإنترنت لأي موضوع تقريبا، إلا أن أكثرها فائدة بالنسبة للصحفيين هي مصادر البحث. اللائحة التالية من الموارد الموثوقة هي مجرد قمة جبل الجليد (لن نقدم مواقع "واجد الموارد الموحد" [URL]، لأنها تتغير باستمرار. ومن أجل العثور على المواقع، انظر معلومات البحث المقدمة في موضع لاحق من هذا الفصل).

- *American Library Association* (جمعية المكتبات الأمريكية): موقع مفيد على نحو خاص، فهو يشمل دليلا إرشاديا لأفضل مواقع المراجع، إضافة إلى العديد من المواقع المفيدة، مثل برامج العثور على الأشخاص، وخرائط الطرق، والدلائل الإرشادية للمدن، وعناوين البريد الإلكتروني للمشاهير، ودليل الهواتف على الإنترنت، ووصلات التاريخ.. الخ.
- *Awesome Lists* (القوائم المدهشة): ما زالت تعتبر أفضل اختيار لمواقع المراجع الجيدة النوعية والعالية الدقة. صحيح أنها شاملة لكنها منظمة ومرتبة.
- *Beaucoup* مجموعة تضم حوالي ألف محرك بحث، ودليل، وفهرس من مختلف أرجاء العالم، مرتبة ضمن فئات مثل محركات بحث عامة، مواقع

مراجعة/ ما الجديد، برمجيات، مراجع، تربية وتعليم، فنون ورسوم بيانية، اهتمامات اجتماعية/ بيئية/ سياسية، طب استهلاكي.

- *CIA World Factbook* بغض النظر عن عمليات الاحتيال والخداع التي تمارسها وكالة المخابرات المركزية، فهي تجمع المعطيات والبيانات أيضا. هذا الموقع يقدم معلومات شاملة وضخمة عن كل بلد من بلدان العالم - معطيات/ بيانات، معلومات عن الظروف المحيطة والمؤثرة (الخلفية)، وآخر الاتجاهات والنزعات في كل بلد.
- *FinderSeeker* يزعم هذا الموقع بأنه محرك بحث لمحركات البحث، وهو لا يبعد عن ذلك كثيرا. يمكنك استخدامه للبحث عن محرك بحث تبعا للموضوع، أو الكلمة المفتاح، أو البلد.
- *Infonation* دليل الأمم المتحدة للمعطيات والبيانات التفصيلية لجميع الدول الأعضاء. وهو يشمل كل شيء، بدءا بالأرقام الاقتصادية الأساسية، مرورا بمعدلات الوفيات، وانتهاء بملكية السيارات.. الخ.
- *Internationalaffairs.com* مخزن واسع للمعطيات/ البيانات، والتقارير، ويعتبر دليلا مفيدا بشكل خاص لوسائل الإعلام العالمية.
- *Internet Sleuth* دليل لمحركات البحث، مع وصف وجيز لأكثر من 3000 موقع بحث على الويب.
- *Librarians Index To The Internet* دليل قابل للبحث لموارد الويب، منظم ضمن: "أفضل"، "أدلة"، "قواعد بيانات"، "موارد محددة".
- *Needle In A Cyberstack* صحيح أن العنوان سخيف ("إبرة في كومة قش إلكترونية")، لكنه يعتبر أفضل موقع بحث مفرد على الشبكة الإلكترونية. فهو يقدم روابط إلى مواقع المراجع الرئيسة، إضافة إلى مئات المواقع الأخرى، مثل المجلات الإلكترونية كافة، والأسئلة المتكررة، ودليل الهواتف العالمية، ودليل المتاحف العالمية، وأفضل مواقع العثور على الأشخاص.. الخ.

- *North Harris College Library Online Guide To US Government Information* يتيح الوصول إلى مخزن هائل للمعلومات، مع الكثير من المادة المرجعية والمعطيات الجديدة المفيدة للبحث العام (الذي لا يتعلق بالولايات المتحدة). وهو يشمل وصلة إلى "GOVBOT"، محرك بحث الحكومة الأمريكية، ودليل ممتاز للمعطيات/ البيانات حول مختلف بلدان العالم.
- *researchbuz.com* دليل محدّث باستمرار لما هو متوفر للباحثين.
- *searchenginecolossus.com* قائمة مفيدة لمحركات البحث تبعا لكل بلد.
- *The Ready Reference Page* يعدد موارد الويب الكبرى اعتمادا على نظام "ديوي" التصنيفي. مرتبة حسب مراجع "مكتبة ليكوود العامة".
- *Expert Finders* قاعدة بيانات قابلة للبحث لتفاصيل الاتصال بعدد كبير من الخبراء والمتخصصين.
- *Experts.com* من أفضل مواقع الخدمات. موقع يضم محرك بحث يقودك إلى قوائم تعدد أسماء الخبراء وسبل الاتصال بهم بالتفصيل وبعض الإرشادات إلى مؤهلاتهم.
- *Pisco`s Ask An Expert* من أشهر مواقع مصادر الخبراء على الشبكة الإلكترونية، يشمل وصلات لمواقع الويب، وعناوين البريد الإلكتروني، وتفاصيل عن أكثر من 300 خبير ومتخصص على استعداد للإجابة عن أسئلتك.

موارد الصحافة

إن كان لديك أي شك بقيمة الإنترنت، حاول قضاء ساعة من وقتك في معاينة بعض المواقع المدرجة أدناه، ولابد أن تغير رأيك. حتى بعد ست سنوات من استخدامها، لم أتمكن حتى الآن من استكشاف جميع المواقع التي يمكن أن تزودك بالرؤى، والنصائح والتلميحات المفيدة، والتفوق، مهما كان نوع العمل الصحفي الذي تمارسه.

- *FACSNET* موقع يشمل المعلومات المتعلقة بالظروف المحيطة بالعديد من القضايا، وأدوات لترويض الإنترنت وغير ذلك من المساعدة في مجال البحوث ودراسة وإعداد القصص الإخبارية وفهم قضايا السياسة العامة.

- *WWW Virtual Library: Journalism* يحتوي أقساما حول جميع جوانب مهنة الصحافة، إضافة إلى وصلات للمناقشات الجماعية.
- *The Beat Page* يقدم خدمات للصحفيين عن طريق البريد الإلكتروني، أو خدمات تجارية.
- *UN Foundation Wire* خدمة تنبيه ممتازة للأخبار. لكنها بحاجة لتسجيل المستخدم.
- *Poynter Institute* يشمل واحدة من أفضل قوائم مواقع الصحافة، إضافة إلى العديد من المواقع الأخرى.
- *University of Miami Computer Assisted Reporting Site* مورد استثنائي يقدم موادا تعليمية مفصلة حول العديد من المهارات الجديدة.
- *PowerReporting.com* يضم آلاف موارد البحث للصحفيين التي تحدّث يوميا. وتشمل برامج العثور على أسماء الأشخاص، وأدوات البحث، والتنبيهات المتعلقة بالبريد الإلكتروني، ..الخ. هنالك أيضا قسم ممتاز لمواقع كتابة التقارير الصحفية بمساعدة الكمبيوتر.

مواقع الأخبار

أفضل وأسرع مواقع الأخبار العامة هي:

- *BBC World Service* (موقع هيئة الإذاعة البريطانية): لا يقدم الموقع مجرد خدمة إخبارية عالمية ممتازة فقط، بل يضم دليلا متفوقا ومفصلا للمؤتمرات، والاجتماعات، والمحاكمات، والانتخابات القادمة.
- *Drudge Report* موقع الأخبار الشهير على الإنترنت الذي كشف عدة حقائق حول قضية مونيكا لونسكي. تضم الصفحة الأمامية مختارات جيدة من أفضل خدمات الأخبار السلكية. صحيح أنها ليست شاملة، لكنها أسهلها وأسرعها استخداما.

- *Newscenter* قائمة عالمية كاملة ومدهشة لمواقع الحكومات، ووسائل الإعلام، والأخبار السلكية.

للبحث عن قصص إخبارية محددة، اذهب أولا إلى موقع إخباري حيث ستجد آخر الأخبار العاجلة الرئيسة، مرتبة حسب أهميتها، إضافة إلى مواقع:

BBC, CNN.com, Nado.net, Excite`s Newstracker, Northern Light`s News..

وغيرها. بالنسبة للأخبار المحلية، ابحث في مواقع وسائل الإعلام الإقليمية. في موقع "Yahoo" دليل سريع لوسائل الإعلام في أي منطقة. أما أفضل موقع لأرشيف الأخبار فهو newsindex.com ابحث بواسطة أي عنوان وستظهر أمامك مئات من أحدث القصص الإخبارية (السلكية والمطبوعة) في مختلف أرجاء العالم.

البحث

هنالك نوعان من المواقع المساعدة على البحث في الويب:

الفهارس

وهذه عبارة عن قوائم أو لوائح مختارة بعناية، مثل خدمة البحث "Yahoo"، حيث تعرض المواقع للمراجعة (اليدوية) بأعداد قصد أن تكون محدودة. لذلك لا تحتوي قواعد بياناتها سوى جزء صغير من تلك الموجودة على الويب. على سبيل المثال، لا تدرج خدمة البحث "Yahoo" سوى عدد محدد من جميع المواقع المتاحة. لكن هذه الحدود ذاتها تجعلها بمثابة نقطة انطلاق جيدة.

محركات البحث

توجد هذه المحركات، مثل " HotBot"، لوائحها بشكل آلي. البرامج التي تسمى "عناكب" (spiders) تبحث في قواعد البيانات عن الوثائق الجديدة ومواقع عناوينها والمعلومات المتعلقة بها، وتنسخ هذه الصفحات، وحين يدخل موضوع بحث، تدرجها حسب ترتيب صلتها به. لكن محركات البحث ليست

قوائم شاملة كليا لكل ما هو موجود على الشبكة الإلكترونية. فهي قواعد بيانات، وقواعد البيانات هي في نهاية المطاف "بضاعتنا ردت إلينا"، أي أنها لا تعرض إلا ما أدخل فيها. ونظرا للحجم الهائل للشبكة الإلكترونية (التي تزداد بعشرات الملايين من الصفحات كل سنة)، فلا نعجب من أن أكبر محركات البحث لا تغطي سوى نسبة تتراوح بين 16 -17 ٪ من مواقع الويب المتوفرة. وتغطي معظم المحركات الشهيرة نسبة لا تتجاوز 10٪ من الشبكة، ونظرا لأنها تجسد الطريقة الوحيدة لمعرفة ما هو موجود على الإنترنت، هنالك حقيقة مجهولة تقريبا وهي أن الشخص الذي يستخدم محرك بحث واحد ستغلق في وجهه نسبة تتراوح بين 85 -95 ٪ من الإنترنت.

تعمل محركات البحث المختلفة بطرق متباينة، ولن تعرف ما يناسبك منها إلا بعد استخدامها. هنالك دليل ممتاز لاستخدام محركات البحث وميزاتها المختلفة في موقع: "searchenginewatch.com" أما القاعدة العامة عند البحث فهي أن تحدد طلبك بقدر ما تستطيع. فطلب "ميليشيا تيمور الشرقية" أكثر كفاءة وفعالية من طلب "ميليشيا" فقط. عليك أيضا أن تنتبه لنتائج البحث المختلفة التي يمكن أن تحصل عليها. نقدم فيما يلي دليلا موجزا لإرشادك:

- *Match Any* (مطابقة أي [كلمة]) يعرض صفحات تحتوي أيا من التعابير/ الكلمات التي طلبتها. ويمكن أن يقدم نتائج عديدة جدا. معظم محركات البحث الكبرى سوف تفعل ذلك من خلال عرض الصفحات التي تحتوي جميع التعابير التي طلبتها، ثم بعضا منها.. وهكذا.
- *Match All* (مطابقة الكل): البحث عن صفحات تحتوي الكلمات التي طلبتها جميعا، بدلا من واحدة منها. استخدم الرمز + لإدخال كلمتين أو أكثر (على سبيل المثال: + turkey +earthquake سوف يؤدي إلى البحث عن الصفحات التي تذكر الكلمتين فقط).
- *Exclude* (إسقاط): حذف الوثائق التي تحتوي كلمات معينة. فلو أردت مثلا معلومات حول كلينتون ومدينة واكو (في تكساس)، ونظرا لمعرفتك

المسبقة بأنك سوف تحصل على العديد من الإشارات إلى قضية لوينسكي، يمكنك حذف هذه الإرشادات بواسطة استخدام: +- Clinton +Waco Lewinsky وبذلك تحذف أي صفحة تشير إلى مونيكا لوينسكي.

✍ *Phrase Searching* (البحث بواسطة الجملة): استخدام الرمز (+) يأمر محرك البحث بعرض جميع الصفحات التي تذكر تلك الكلمات. فالبحث عن: + Kenya +wildlife +vacations سوف يعرض الصفحات التي تضم هذه الكلمات كلها. لكن بعضها سيتعلق بشكل رئيس بالعطلات مع إشارة عابرة للحياة البرية وكينيا. لذلك فإن البحث بواسطة الجملة هو الحل. لأنك ستجد عبره الوثائق التي تحتوي الكلمات بالترتيب الذي حددته تماما. يمكنك القيام بذلك من خلال وضع جملتك ضمن علامات الاقتباس (" ")، مثل "Kenya wildlife vacations"، حيث ستعرض أمامك المواقع التي تستخدم هذه الكلمات فقط، بالترتيب ذاته.

✍ *Title Search* (البحث بواسطة العنوان): سوف يجد كلمة أو جملة حين تستخدم في عنوان صفحات الويب فقط، وبالتالي يحذف الصفحات التي تستخدم كلمة البحث بشكل عابر في النصوص. وللقيام بذلك، اكتب في حقل البحث:

title: الكلمة (الكلمات) التي تبحث عنها،

استخدم الأمر "t" بدلا من "title" بالنسبة لخدمة البحث "Yahoo".

✍ *Site Search* (البحث بواسطة الموقع): طريقة تبحث في الصفحات المتعلقة بنطاق معين فقط:

ادخل اسم النطاق (مثلا : bloggs.com)

تستخدم غالبية محركات البحث البادئة" : "(نطاق): بالنسبة لمثل هذه الأنواع من البحث.

آلة البحث "Alta Vista" تستخدم المضيف(:).

✍ *Combining* (التركيب): يمكن جمع وتركيب أي من التحديدات الآنفة لتقديم نتائج أكثر تحديدا، وهو ما يدعى "التعشيش" (nesting)، ويتيح لك بناء أسئلة معقدة باستخدام الأقواس، مثل:

(clinton OR Johnson) impeachment AND

يمكن لهذه الخيوط أن تطول بقدر ما ترغب، كما يمكن لتراكيب الأسئلة (المعششة) أن تستخدم بالتوافق مع رمزي "+" و"-". وللحصول على بحث أكثر تحديدا، اجمع أي من التحديدات السابقة معا. مثلا: للبحث في صفحات الأمم المتحدة فقط حول المعلومات المتعلقة بتيمور الشرقية، ادخل:

Domain: un.org "East Timor"

إذا أدى البحث عن "تيمور الشرقية" إلى قائمة طويلة من النتائج من الأمم المتحدة، حاول التخلص من صفحات الأمم المتحدة عبر القيام بما يلي:

"East Timor" -domain:un.org

أما إذا أردت أن تحصر البحث في مواقع الجامعات فقط فأدخل ما يلي:

"east Timor" +domain:edu

وإن أردت المواقع البريطانية فقط، فأدخل:

"East Timor" +host:uk

✍ Wildcards إذا لم تكن تعرف تهجئة الكلمة، أو أردت البحث عن جذورها جميعا، أضف الرمز (×) إلى موضوع البحث. بعض محركات البحث تقوم بهذه المهمة بشكل آلي.

✍ Natural Language (اللغة الطبيعية): عملية بحث تتم من خلال طرح

سؤال (مثلا: "Where is the source of the Nile") (أين تقع منابع النيل؟). لكن فائدتها محدودة، باستثناء الحالة التي تفشل فيها جميع الطرق الأخرى.

ميزات البحث المتقدم

لمعظم الخدمات صفحات بحث متقدم توفر مزيدا من التحكم بسؤالك، أو تتيح لك صياغة أسئلة أكثر تعقيدا. ولمعرفة ما تقدمه اقرأ صفحة المساعدة في محرك البحث. في "HotBot" على سبيل المثال، بحث متقدم مفصل جدا يتيح لك تحديد الجمل، واللغة، ومرشح الكلمات، والتاريخ، وحصر الوسائط (صور، وسائط سمعية، وصيغة "Shockwave"(*))، والنطاقات، والأصول الجغرافية.. الخ.

الميزات المحددة التي تعرضها غالبية محركات البحث الرئيسة تشمل:

- *Result Clustering* يمكن لصفحات موقع واحد أن تتحكم بالنتائج. ولتفادي هذه الحالة استخدم ميزة التجمع، التي تتيح لك إدراج صفحة واحدة من كل موقع.
- *Find Similar* إذا بدت إحدى النتائج مطابقة لما تحتاجه، استخدم ميزة "Find Similar" للعثور على أخرى شبيهة بها. محرك البحث "Excite" يعتبر فعالا للقيام بمثل هذا البحث.
- *Sort By Date* فكرة عظيمة نظريا، لكن في التطبيق العملي يحمل العديد من مواقع الويب التاريخ الراهن، وبذلك لا تتيح لك التاريخ الذي تسعى إليه (الذي جمعت فيه). الأمر نفسه ينطبق على ميزة "daterange".
- *Search Within* تتيح لك هذه الميزة البحث ضمن النتيجة التي وصلت إليها للتو. على سبيل المثال، ابحث عن "New York"، ثم ادخل "Buffalo"، واختر "search within"؛ تحصل عندها على المواقع التي تذكر المدينة ضمن النتائج الأولية التي توصلت إليها.

(*) صيغة لخدمات الوسائط المتعددة والصور المتحركة ضمن الوثائق التشعبية. (م)

✍ Find the Person عملية تتيح لك البحث في مواقع الويب ومجموعات الأخبار عن إشارات إلى شخص محدد. موقع "HotBot" يؤدي خدمة ممتازة في هذا المجال.

✍ Boolean Searching عبارة عن أوامر (And/Or) استخدمت منذ مدة طويلة من قبل خبراء ومحترفي الكمبيوتر للبحث في قواعد البيانات. أوامر (+) و(-) تقوم بالوظيفة نفسها. فإذا أردت بحثا جديا على الويب، اذهب إلى المواقع التي تقدم "Boolean tutorial" (أو التعليم المنطقي [البولياني]).

كيف تقيم صفحات الويب

ليست الإنترنت فرصة ضاعت بسبب المواقع السخيفة، والاستعراضية، والمملة. ومع ذلك يسهل تبين الشروخ قي مصداقية بعض مواقع الويب، واكتشاف التحيز السافر فيما يعرضه الناشطون والمتعصبون والمتهوسون بقضية واحدة دون غيرها. المشكلة تظهر مع المواقع التي تبدو معقولة وجديرة بالتصديق، لكنها ليست كذلك بالفعل. عليك أن تطور "رادارا داخليا" لاكتشافها، وإثارة الأسئلة المعتادة كلها عند الاقتراب من أي مصدر (من يقف وراءه؟ لماذا يعرضون هذه القضية؟ ما الذي تتضمنه؟ ما الذي أهملته؟) نقدم فيما يلي الجوانب التي ينبغي البحث عنها وراء الأشكال البديعة والرسوم المزخرفة لمواقع الويب؟

المبالغة في التصميم

من القواعد المستخلصة من الخبرة العملية أن الموقع الذي يضم الإعلانات، والصور الصغيرة الجميلة والملونة التي تومض وتختفي، وغير ذلك من الخدع، سيكون أقل فائدة للبحث الجاد من الموقع الذي يبدو عاديا لا زخارف تزينه.

المواقع التي تفتقر إلى عناوين الاتصال

حاذر من الموقع الذي لا يضم عنوانا، أو رقم هاتف، أو بريدا إلكترونيا. فبرغم كل شيء، لماذا لا يريدون منك الاتصال بهم؟

غياب تاريخ التحديث

وجود تاريخ لتحديث الموقع علامة جيدة، بشرط أن يكون صحيحا. لكن العديد من المواقع مبرمجة آليا لتحمل تاريخ اليوم الراهن. المستعرضات تتيح لك التحقق من التاريخ عبر مراجعة بيانات المورد، التي يجب أن تذكر تاريخ إنشاء الموقع وآخر تحديث له.

راقب "واجد الموارد الموحد" (URL)

العديد من لواحق النطاق تقدم دليلا جيدا يقود للمؤسسة التي أنشأت الموقع: ".gov" تعني أن المؤسسة رسمية، ".edu" أو ".ac" تعنيان جامعة، ".com" , "co.uk" تدلان على أن الموقع يعود إلى شركة تجارية. لكن بعض لواحق النطاق، مثل ".net" و".org" يمكن أن تعني أي شيء - وهي في الحقيقة كذلك. فإذا كان "واجد الموارد الموحد" مفصلا، يمكن العثور على أدلة إضافية. العلامة المائلة (~) تشير عادة إلى دليل مواقع الويب الشخصية، لا إلى مواقع المؤسسات الرسمية.

الإفراط في تقليب الصفحات

المواقع التي تدخلك في متاهة من الصفحات كي تصل إلى حيث تريد، تدل على أن مشغليها أكثر اهتماما بدفعك لرؤية عدد أكبر من الصفحات (وبالتالي زيادة احتمال مشاهدة إعلاناتها) من تقديم المعلومات بكفاءة وفعالية.

معلومات مفيدة أخرى لمن يستعرض المعلومات على الإنترنت

اغلق الرسوم البيانية

بغض النظر عن مدى سرعة الوصلات، فإن الصور تستغرق وقتا طويلا لتحميلها. فإن كنت مهتما بالحصول على المعلومات بسرعة (لا بالاستمتاع

بالصور الجميلة)، أغلق الصور (من شريط الأدوات) وسوف يحمل الكمبيوتر النص بشكل فوري تقريبا. يمكن تسريع التحميل أيضا عبر إغلاق "Java".

الكمبيوترات الأقدم عهدا تفضل المستعرضات الأقدم

تحدّث المستعرضات على الدوام. وفي حين قد تبدو ميزاتها الجديدة مغرية، إلا أن قلة قليلة منها (إن وجدت) تدخل تحسينات على العملية الأساسية لاكتساب المعلومات. كما تتطلب حجما أكبر من الذاكرة للقيام بذلك. فإذا كان حاسبك قديما، تشبث بالمستعرض القديم فهو أفضل خيار لك.

الكشف عن الفيروسات

تصل الفيروسات إلى حاسبك من خلال الأقراص والملفات المحملة. أجر عملية مسح لكل ملف تحمله، باستخدام البرمجيات المحدثة للكشف عن الفيروسات ومكافحتها. والأفضل من ذلك، استخدم برنامج خدمي يمسح بشكل آلي جميع الملفات والمواد المحملة، بما فيها مرفقات البريد الإلكتروني.

اشترك في مواقع تحديث وتلخيص البريد الإلكتروني

العديد من المواقع ستبعث لك رسائل بالبريد الإلكتروني بعد تحديثها، ومعظمها سيشمل "واجد الموارد الموحد" (URL) للموقع الدقيق إضافة إلى الوصف التفصيلي.

مجموعات الأخبار

هنالك منتديات على الإنترنت مفتوحة للجميع، يزيد عددها عن 17000، وتغطي كل شيء، بدءا بالموسيقى الكلاسيكية، وانتهاء بالموضوعات الإباحية غير المعروفة سابقا. كما أن العديد منها يتصف بالعبث والاستهتار، لكن هناك مواقع رصينة وجادة. بعضها، مثل "alt.disasters.aviation" متهوس بنظريات المؤامرة، لكن هناك ما يكفي من مجموعات الأخبار التي توفر المعلومات المفيدة وترسل المقالات الرصينة التي تجعلها تستحق الزيارات المنتظمة. الأكاديميون

وغيرهم من الخبراء والمختصين يستخدمون العديد من مواقع مجموعات الأخبار. وعلى وجه العموم، يرجح أن تقدم مجموعات الأخبار المتخصصة رسائل ومعلومات مفيدة. وتستحق إجمالا أن يقضي الصحفي نصف ساعة من وقته لتحميل القائمة الكاملة من المجموعات التي يوفرها مزود خدمات الإنترنت (ISP) ويقوم بمراجعتها، مع التركيز على تلك التي تغطي اهتماماته.

تصنف مجموعات الأخبار تبعا لبادئات مختلفة: "alt" (تعني اهتمامات عامة)، ".comp" (موضوعات الحاسب)، ".rec" (رياضة واستجمام)، ".soc" (شؤون ثقافية واجتماعية)، ولواحق البلدان: "uk" (بريطانيا)، ".jap" (اليابان)، "de" (ألمانيا).. الخ. هنالك أيضا العديد من التصنيفات الفرعية، مثل "alt.current-events" (يضم 36 مجموعة أخبار)، "alt.activism" للحملات، مثل: alt.activism.deathpenaltyو"alt.fan" (للمجموعات المعجبة بالمشاهير) - وهي مفيدة جدا إذا كنت ستكتب نبذة عن حياة أحدهم. ومن رسائل الإعجاب المبهرة، يمكنك الوصول إلى مواقع السيرة الذاتية المفصلة للمشاهير.

فائدة مجموعات الأخبار ثلاثية الوجوه:

تزودك بشعور عام حول القضايا الراهنة (في مجال معين)

اذهب إلى موقع "alt.environment.pollution" مثلا، وستعرف بعد خمس دقائق من القراءة العناوين والموضوعات الرئيسة في مجال تلوث البيئة.

توفر لك قصصا إخبارية

هنالك رسائل على الدوام تحتوي قصصا إخبارية محتملة، خصوصا مساهمات الخبراء المؤهلين. إضافة إلى وجود العديد من المجموعات التي تعرض رسائل تقترب من مخالفة القانون. مواقع مجموعات الأخبار التي تهتم بالمبادلات التجارية (التحف الأثرية، أو الطيور والحيوانات النادرة مثلا) كثيرا ما تضم نقطة انطلاق لتحقيق صحفي مثير.

تتيح لك العثور على الموارد/ المصادر

إن كنت تبحث عن مصادر للمعلومات، أو خبراء مؤهلين في مجال معين، قم بزيارة موقع مجموعة إخبارية تتعامل مع الموضوع ومن المؤكد أنك ستجد رسائل من هؤلاء. ويمكنك عندئذ سؤالهم عبر البريد الإلكتروني أو طلب التحدث إليهم. وتبعا لخبرتي الشخصية لم تفشل مثل هذه المقاربة أبدا. لكن تصرف بلباقة وكياسة. فمجموعات الأخبار تجتذب عادة المتهوسين الذين يدافعون بكل غيرة وحمية عما يعتبرونه أمانة واستقامة مجموعتهم، ويمكن أن تظهر العداء للمقاربات الغبية من قبل الصحفيين.

محفوظات مجموعات الأخبار من أكثر المصادر فائدة للبحث على الإنترنت. فهي عبارة عن خدمات تفهرس الرسائل لمدة سنة في الحالة النمطية. ولديها محركات بحث تتيح لك العثور على الرسائل حول مختلف الموضوعات عبر المجموعات كلها. خذ على سبيل المثال ما حدث معي شخصيا: فقد بني في المدينة التي أقيم فيها نظام للنقل بالحافلات الكهربائية (الترام). بحثت في الأرشيف حول هذا الموضوع والخطط والمشروعات ذات الصلة، وعثرت على رسائل تبين أداء الشركة المنفذة في مناطق أخرى. من محفوظات مجموعات الأخبار الجيدة: "dejannews.com" .

لوحات الرسائل

هنالك لوحات رسائل تظهر على مواقع الويب، ويمكن الحصول منها على فوائد مجموعات الأخبار برمتها، مع قيمة إضافية تتمثل في إزالة كل الرسائل العابثة أو غير ذات الصلة. من النادر "أرشفة" لوحات الرسائل ولا توجد طريقة منهجية للعثور عليها. أما أكثر المواقع ملائمة للبحث عن المفيدة منها فهي مواقع الدليل.

القوائم

عبارة عن لوائح بريدية متخصصة في موضوع معين. يمكنك الاشتراك في لائحة، ومن ثم تتلقى الرسائل (الإلكترونية) التي يسهم فيها المشاركون.

على وجه العموم، تغطي اللوائح البريدية موضوعات أكثر جدية مقارنة بلوحات الرسائل، كما أن المساهمات فيها أكثر فائدة من المساهمات في مجموعات الأخبار أو لوحات الرسائل. وهي أكثر اعتدالا حين يساهم فيها أكاديمي متخصص أو متحمس جدي. والمثال الجيد على القوائم هو: قائمة "The Computer Assisted Reporting".

تميل بعض القوائم لأن تكون بلاغات وجيزة بالتطورات (إضافة إلى روابط للمواقع المتعلقة بالمؤتمرات والتقارير.. الخ). بعضها الآخر عبارة عن مناقشات. لكن غيرها قد يتمتع بنشاط لافت بحيث يتسلم المشاركون حوالي عشر رسائل في اليوم. أما إلغاء الاشتراك فعملية سهلة. وأفضل طريقة للعثور على القوائم تتم عبر المواقع الأكاديمية التي تقدم المصادر حول موضوع معين. على سبيل المثال، في موقع مالكوفيتش (Malkovich) لمصادر الصحافة صفحة تضم عددا وفيرا من لوائح الصحافة. أما محرك البحث للوائح كافة فهو "liszt.com".

"الواجب الأول للصحافة هو الحصول على أسرع وأصدق المعلومات عن الأحداث الراهنة وبشكل فوري، من خلال كشفها، لجعلها ملكا مشاعا للأمة".

محرر "التايمز"، لندن، 1852

10

كتابة التقارير والتحقيقات الصحفية الاستقصائية

> ***"صورة المراسل الصحفي التي تظهره على شكل شخص دونكشوتي، مدمن على النيكوتين، والكحول، يلوح في مبنى البلدية بفضيحة خرجت لتوها من الآلة الكاتبة.. مازالت متشبثة بالأذهان بالرغم من الأدلة الوفيرة التي تثبت العكس".***
>
> بول غري

هنالك مذهب صحفي يستهزئ ويستخف بما يدعى "التقرير الاستقصائي"، ولا يقبل حتى بوجوده. حيث يقدم الحجة على أن العبارة خالية من المعنى، نظرا لأن التقارير الصحفية جميعها تحقيقات استقصائية. نتمنى لو كان ذلك صحيحا. لكن بعض التقارير استقصائية فقط في المعنى الأساسي للكلمة. وتعتبر المعادل الصحفي للمخلوقات وحيدة الخلية، ولا تزيد أوجه الشبه التي تجمعها بموضوع هذا الفصل عن تلك التي تجمع الكائنات وحيدة الخلية بالبشر.

ما هو التقرير الاستقصائي؟

التقرير الاستقصائي شكل مختلف اختلافا بينا عن الأنواع الأخرى. هنالك أربعة ملامح تميزه:

بحث أصيل

التقرير الاستقصائي ليس موجزا أو تجميعا لما توصل إليه الآخرون من نتائج ومعلومات ومعطيات، لكنه بحث أصيل يقوم به الصحفيون غالبا باستخدام المادة الخام. ويمكن أن يكون مقابلة شاملة، أو مطابقة ومقارنة للحقائق والأرقام، واكتشاف أنماط وصلات لم تكن معروفة سابقا.

يشمل الموضوع الخطأ أو الإهمال اللذين لم ينشر حولهما دليل دامغ.

كثيرا ما تراودك الشكوك بارتكاب خطأ أو وجود إهمال لكنك تفتقد الدليل، مثلك مثل غيرك. لذلك، أنت بحاجة لمراكمة الأدلة والبينات، وهذا يتطلب مزيدا من الوقت والجهد الدؤوب مقارنة بما تحتاجه كتابة التقرير العادي. ولربما يستدعي ذلك أيضا مشاركة أكثر من مراسل واحد.

بعضهم يحاول إبقاء المعلومات سرية

ينطبق ذلك على العديد من التقارير الصحفية، لكن في العمل اليومي هنالك نقطة يتوجب عليك عندها التوقف وكتابة تقرير حول ما وجدته (أو لم تجده). كتابة التقرير الصحفي الاستقصائي تبدأ من النقطة التي يتوقف فيها العمل اليومي. وهي لا تقبل السرية ولا رفض المسؤولين تقديم المعلومات. بل تقوم بعملية سبر واستكشاف.

الرهان مرتفع وحجم المخاطرة كبير

ما تحصل عليه من مجد وعز عندما تنجح القصة قد يكون عظيما، بقدر الضرر الذي يلحق بسمعتك حين تفشل. لنفكر مثلا بتجربة صحيفة "سينسيناتي انكوايرر" عام 1998. ففي شهر أيار/ مايو من تلك السنة نشرت الصحيفة على صدر صفحتها الأولى تحقيقا استقصائيا حول شركة الموز العالمية "تشيكيتا براندز"، إضافة إلى قسم من ثماني عشرة صفحة حول هذا التحقيق الذي تطلب إجراؤه سنة كاملة. تحت العنوان الرئيس "افتضاح أسرار

تشيكيتا"، زعمت الصحيفة أن الشركة سيطرت سرا على عشرات من شركات الموز المستقلة كما هو مفترض، وأنها استخدمت مع الشركات التابعة لها مبيدات حشرية هددت صحة العمال والسكان المقيمين في الجوار، وأن الموظفين تورطوا في قضايا رشوة في كولومبيا، وأن سفنها هربت الكوكايين إلى أوروبا.

لكن كل ذلك لم يكن صحيحا كما بدا تماما. ففي عدد الثامن والعشرين من حزيران/ يونيو، نشرت الصحيفة اعتذارا إلى الشركة على ستة أعمدة في صدر صفحتها الأولى، "تستنكر فيه التحقيق وتتبرأ منه كلية". كما طردت كبير مراسلي التحقيقات ووافقت على دفع مبلغ لا يقل عن عشرة ملايين دولار كتعويض للشركة.

لم تكن المشكلة صحة وصدق الدليل (أو كذبه وزوره)، بل الأساليب المستخدمة للحصول عليه. وهذه شملت الوصول إلى رسائل البريد الصوتي للشركة. أما القضية فهي كيفية الوصول. زعمت الشركة أن المراسل طرح أسئلة ثم تسلل إلى صناديق بريدها وتنصت على مناقشاتها الداخلية حول القضايا التي أثارها. وبدت الصحيفة، في اعتذارها وحل المسألة، أنها تقبل بهذه المزاعم. وفي بيان منشور، قالت إن المراسل قد ضللها حول مصدر رسائل البريد الصوتي. لكن لم يتضح أبدا ما إذا كان هناك أي أساس للقصص المنشورة.

فقدان المصداقية، إضافة إلى الملايين العشرة من الدولارات، جعل التحقيق باهظ الثمن. ولحسن الحظ، لا تصادف جميع القصص المشابهة مثل هذا المصير، بدءا من كشف نيللي بلاي للظروف المرعبة داخل مستشفيات الأمراض العقلية ("نيويورك وورلد")، وفضح و. تي. ستيد لدعارة الأطفال ("بول مول غازيت")، ونزع رونالد توماس القناع عن العنصرية العنيفة لمنظمة "كو كلوكس كلان" ("نيويورك وورلد")؛ مرورا بكشف سيمور هيرش عن ملابسات مذبحة ماي لاي عام 1968؛ وانتهاء بحملة "صنداي تايمز" لصالح

الضحايا الذين فقدوا أطرافهم بسبب عقار "الثاليدوميد"؛ وتحقيق كارل بيرنستاين وبوب ودوارد الذي أدى إلى فضيحة "ووترغيت" ("واشنطن بوست")، إضافة إلى العديد من القصص المحلية التي فضحت حالات الإهمال وغيرت حياة الناس نحو الأفضل. المثال التقليدي هنا يجسده تحقيق "الاباما جورنال" في سجل وفيات الولدان (الأطفال الرضع) في الولاية عام 1987: 13 وفاة من بين كل 1000، وهو المعدل الأسوأ في جميع الولايات الأمريكية. نشرت الصحيفة سلسلة من عشرين حلقة أدت إلى مضاعفة وكالة "ستيت ميديك ايد" تمويل برامج الأمومة لفترة ما قبل الولادة بمقدار أربع مرات، وإلى ظهور دافع قوي لتحسين خدمات الرعاية الصحية للأمهات الفقيرات. وبحلول عام 1994، انخفض معدل وفيات الولدان في ولاية الاباما بنسبة 20٪. وبحلول نهاية القرن، كان في الولاية ألف طفل يدينون بفضل وجودهم ذاته إلى تلك السلسلة. ومن الصعب تخيل تحقيق صحفي يمكن أن يعطي نتائج إيجابية أفضل.

أخيرا، يمكن أن تشمل المخاطرة حتى سلامتك الشخصية. ففي البلدان التي تنتشر فيها الجريمة المنظمة، تعتبر كتابة التقارير والتحقيقات الصحفية الاستقصائية مهنة خطيرة بل حتى مميتة. في روسيا مثلا، كان ديمتري خولدوف، مراسل صحيفة "موسكوفيسكي كومسوليتس" يكتب تحقيقا صحفيا حول الفساد في الجيش. اتصل به مصدر مجهول في أحد أيام خريف عام 1994 وقال إن حقيبة من الوثائق قد تركت له في محطة كازان. ذهب المراسل إلى المحطة وأخذ الحقيبة وعاد إلى مكتبه. وحين فتحها انفجرت في وجهه وقتلته. وفي ربيع عام 1992، كان المراسل الصحفي البيروفي ادولفو ايسويزا اوركويا يحقق في قضية مخدرات لصالح صحيفة "لا ريبوبليكا". وفي شهر آب/ أغسطس ذكر اسم تاجر مخدرات كبير يتمتع بحماية القوات المسلحة. كتب يقول: "الجيش لا يريد مكافحة الإرهاب لأنه يعتاش على تهريب المخدرات". بعد بضعة أيام (8/27) وجدت جثته في نهر هوالاغا. وتبين أنه تعرض للتعذيب وطعن حتى الموت. من أجل كل ذلك، يجب على كل من يفكر

بالتنقيب في هذه المجالات أن يتوخى الحذر ويدرس احتمالات الخطر. فالمراسل الميت لا يمكن أن يكتب التقارير!

المجالات المثمرة التي تستحق الاستقصاء والتحقيق

تبدأ كتابة التقارير والتحقيقات الاستقصائية برائحة قصة تفوح من مكان ما، أو حدس يشير إلى موضوع يشكل بذرة لقصة. أما الأمر المهم في هذه المرحلة فهو التفكير بعناية حول النتيجة في "أفضل الحالات"، وهل تستحق القصة الجهد المبذول والوقت المطلوب. فإذا لم تكن تستحق النشر في صدر الصفحة الأولى، تجاهلها. وحدات التحقيق المتخصصة يمكنها بسهولة الانشغال بقصة أقل أهمية من أن تشغل عموم القراء. اخضع تحقيقك الذي تخطط له لاختبار العنوان الرئيس: إذا وجدت أن النتيجة المتوقعة لن تصنع عنوانا مثيرا ومذهلا، فأنت على الأرجح تضيع وقتك سدى.

من حيث الإمكانية الاحتمالية، يمكن للتحقيقات الصحفية الجيدة أن تتناول أي مجال من مجالات الحياة. لكن هناك فئتين واسعتين تعدان بنتائج مثمرة على وجه خاص: الأنشطة والمنظمات التي تؤدي عملها في أماكن نائية أو بعيدة عن أعين الجمهور؛ والشخصيات والمؤسسات التي تظهر فجأة تحت الأضواء الكاشفة، لتبدو وكأنها "أتت من المجهول"، وتنسج حولها بسرعة الحكايات والأساطير. إنها الشخصيات والمؤسسات التي ليست لها خلفية على ما يبدو. لكن في الحقيقة لها مثل هذه الخلفية، ومن المؤكد أن نعثر فيها على قصة صحفية جيدة ومثيرة.

الشركات والمؤسسات المالية، خصوصا تلك التي "اغتنت بين ليلة وضحاها"، تعتبر تربة على درجة كبيرة من الخصوبة بالنسبة للتنقيب الصحفي. جرب معولك في مشروع استثماري غير مألوف تلقى دعاية واسعة، ويمكنك أن تراهن على مرتبك بأنك ستجد فيه فضائح قذرة تكتب عنها. الصناديق المالية الهرمية في رومانيا في بداية تسعينات القرن العشرين مثال

معبر عن الفرصة الضائعة. أما الفرصة التي لم تهدر، وهي نموذج تقليدي لهذا النوع من التحقيقات الصحفية، فهي قصة تشارلز بونزي، أو "بونزي العظيم" كما يحب أن يدعو نفسه.

آمن به العديد من الناس. فقد أودع أكثر من أربعين ألف أمريكي مدخراتهم في مشروعه، بعد أن أغراهم تعهده بدفع 5.2 دولار مقابل كل دولار يستثمرونه بخلال تسعين يوما. وبالرغم من تحذيرات الخبراء الماليين من أن الفائدة التي يقدمها لا تبدو منطقية ولا معقولة، إلا أنه كان يجمع في إحدى الفترات من عام 1920 حوالي 200.000 دولار في اليوم. وبخلال ثمانية عشر شهرا جمع أكثر من 15 مليون دولار.

كان كل شيء يعتمد على معدلات صرف العملة. حيث تأخذ شركته استثمارات الأفراد وترسلها إلى خارج البلاد، ليقوم وكلاؤه بشراء كوبونات اتحاد البريد العالمي بأسعار منخفضة ومن ثم بيعها في مناطق أخرى بسعر أعلى. تلك كانت قصة بونزي، وشارك الآلاف في "الهجمة" المحمومة لكي تكسب استثماراتهم المال بسرعة أكبر من المعتاد. أما الحقيقة بالطبع فهي أنه كان يدفع للمستثمرين الجدد من مال المستثمرين القدامى. وتبين أن مبلغ العملة الأجنبية الذي تاجرت به الشركة طيلة حياتها لم يتجاوز 30 من أصل 15 مليون دولار.

لكن الناس الذين احتشدوا على الرصيف خارج مكاتبه، واصطفوا في رتل طويل طلبا لفرصة الاستثمار بكل ما يملكونه، لم يعرفوا تلك الحقيقة. وبدا أنه "اكتشف المال ذاته"، على حد تعبير أحد المستثمرين الطامحين. لكنه في الواقع لم يكتشف سوى أنك إن عرضت على الناس عائدا مغريا على أموالهم، ورفعت بعض الشعارات الزائفة، يمكنك تأجيل يوم الحساب زمنا طويلا.

لكن ليس إلى أجل غير مسمى؛ فقد اكتشف مراسلو صحيفة "بوسطن بوست" ماضيه. وتبين أن "بونزي العظيم" كان معروفا للسلطات في كندا باسم

"السجين رقم 5247"، وهو الرقم الذي حمله حين سجن بتهمة التزوير. كما سجن أيضا في أطلنطا بتهمة تهريب الأجانب. نشرت "بوسطن بوست" القصة، فانهارت شركة بونزي، وحكم عليه بالسجن أربع سنين.

مهارات كتابة التقارير والتحقيقات الاستقصائية

يمكن لكل من يملك العزيمة على إكمال مهمته ومواجهة الإحباطات المحتومة أن يكتب تحقيقا صحفيا. فكتابته لا تتطلب مهارات أعظم من تلك التي تحتاجها كتابة التقارير العادية. لكن هناك بعض المؤهلات التي تجعل العمل أسهل أداء وتجعلك أكثر كفاءة في هذا المجال.

معرفة القانون المتعلق بإتاحة المعلومات للجمهور

ما هو القانون السائد حول ذلك في بلدك؟ هل تعرف ما هي السجلات والوثائق العمومية التي يعطيك القانون الحق برؤيتها؟ هذا أمر حيوي ومهم. بعض التحقيقات نتجت عن وثائق سرية سلمت إلى الصحفيين، لكن العديد منها نتجت عن اكتشاف المراسلين أن بعض السجلات قد حفظت وأن لديهم الحق بالاطلاع عليها. معظم البيروقراطيين لا يعلنون بالضبط عن وجود مثل هذه المعلومات، ويقيمون كل أنواع الحواجز لمنع الناس من مراجعتها - وذلك عبر إتاحتها في أوقات معينة، أو تخزينها في أماكن يصعب الوصول إليها.

اكتشفت مراسلة عملت معي في لندن وجود سجل معين في حاشية لتقرير حكومي، عدّد حقوق دخول العقارات الخاصة التي منحت مقابل حصول الملاك الأثرياء على تنازلات ضريبية. لم يرغب المسؤولون (لأنهم قدموا التنازلات الضريبية) ولا الملاك (لأنهم لم يريدوا أن يتجول الجمهور في أملاكهم) بنشر هذا السجل.

وما إن علمت المراسلة بالسجل وتأكدت من حقنا بتفحصه، حتى بدأت العملية الطويلة لدراسته. ولم تكتف بعد ذلك بذكر ماذا تكسب هذه الأملاك

من إتاحة الدخول إليها، بل حققت في الصفقات التي عقدت بين الملاك والحكومة. وما كان بمقدور أحد القيام بذلك لولا اكتشافها السجل في المقام الأول وإصرارها على دراسته.

حدث ذلك في بريطانيا، التي اشتهرت بتشبثها بتقليد سرية الوثائق الرسمية. وهي ليست متفردة في ذلك، فهناك العديد من البلدان الأخرى التي تبنت الآن قوانين حرية المعلومات التي فتحت كما هائلا من السجلات أمام المواطنين. لكن قلة قليلة من الناس العاديين سيعلمون بهذه السجلات، ولن يراجعها إلا عدد محدود من هؤلاء. وهذا سبب آخر يدعو الصحافيين لمعرفة ما هو محفوظ من سجلات وما يمكن رؤيته منها.

في الولايات المتحدة، فتح قانون حرية المعلومات لعام 1966 (الذي دعم عام 1971) جميع أنواع الوثائق للصحافيين. ونتيجة لاستخدامها في التحقيقات الصحفية، كشفت الصحافة كل أنواع الفضائح:

- حوادث في المواقع والمفاعلات النووية لم يبلغ عنها.
- آلات أشعة اكس في مراكز الكشف عن السرطان كانت تطلق إشعاعات تتجاوز المعدل المسموح به بمقدار 25 - 30 مرة (بخلال أشهر معدودة من افتضاح القضية، قامت المراكز المشابهة في الولايات المتحدة بتخفيض كميات الإشعاع).
- إعطاء العقاقير المخدرة خلال الولادة حتى مع احتمال أن تسبب - وقد سببت فعلا - ضررا دماغيا للولدان.

هنالك أيضا تلك الصحيفة في لويزفيل (بولاية كنتكي) التي حصلت على تقارير التفتيش الفيدرالية حول دور العجزة، حيث أظهرت إساءة معاملة المقيمين. ونتيجة لذلك، صدر قانون تشريعي جديد في الولاية، وأغلقت العديد من الدور واتهم عدد من أصحابها بالتزوير.

الحالات التي يمكن الاستشهاد بها تنأى عن الحصر. وتظهر جميعا قيمة اكتشاف الصحفيين للسجلات المحفوظة، وتفحصها، واستخدامها في تحقيقاتهم.

معرفة المصادر المرجعية

تتوفر في المجتمعات كافة، باستثناء أشدها تمسكا بالسرية وحرصا على المحافظة على الأسرار، كمية من المعلومات تفوق ما يحسبه الصحفي العادي. ويمكن استقصاء الكثير منها من المصادر المرجعية العادية، وإن لم تكن متاحة للعموم: قوائم المطبوعات الرسمية، تقارير من المجالس التشريعية، لوائح الهيئات العامة، الكتب المرجعية الخاصة بملكية الشركات، سجلات المؤسسات والهيئات العامة، الكتب المرجعية الخاصة بالشركات، سجلات المؤسسات والهيئات التي تتلقى التمويل الحكومي. وعلى كل صحفي ينوي القيام بتحقيق استقصائي تركيز جهده على معرفة ما تحمله مثل هذه المصادر المرجعية من معلومات.

الصلات ومصادر المعلومات

من الواضح أن المراسلين كافة بحاجة إلى صلات ومصادر معلومات، لكن المراسلين الذين يكتبون تقارير وتحقيقات استقصائية بحاجة إليها أكثر من سواهم. إلا أن صلاتهم يجب أن تكون من نوع خاص - لا مجرد مصادر تزودهم بالمعلومات أو تدلهم على الوجهة الصحيحة حول قصة معينة، بل تفيدهم في معرفة المصادر المفيدة حول مجال ومدى القصص. يشمل هؤلاء المحامين، والمسؤولين في خدمات الهاتف، ومراكز تسجيل السيارات، وأولئك الذين يمكن أن يقدموا المشورة حول (ويتيحوا لهم الوصول إلى) السجلات الرسمية.

المعرفة بالكمبيوتر

لا تعني المعرفة هنا مجرد القدرة على البحث بشكل فعال على الشبكة الإلكترونية، بل المقدرة على استخدام برمجيات قواعد البيانات. الأمثلة على قيمة هذه المقدرة في التحقيقات الصحفية متوفرة الآن في كل مكان. ومن

أكثرها وضوحا وفائدة سلسلة المقالات التحليلية للتمييز العنصري في تقديم القروض المصرفية، التي نشرتها مجلة "أطلنطا جورنال - كونستيتيوشن" في جورجيا، وفازت بها بجائزة بوليتزر عام 1989.

هذا التحقيق الذي قام به بيل ديدمان، يستحق الدراسة: ليس لأن في موضوعه أي أهمية دلالية عالمية، بل لأنه بالضبط لا يحملها. فهو عبارة عن تقرير صحفي محلي (داخلي)، بالرغم من أنه يشكل مثالا نموذجيا وممتازا على نحو خاص. لم يسقط التقرير أي حكومة، ولا فضح فسادا جنائيا، ولا أنقذ أرواحا بريئة. ولربما يبدو بالنسبة لرجل (أبيض البشرة) يعيش في مكان بعيد عن الولايات المتحدة عديم الأهمية مقارنة بالمشكلات التي تواجه بلاده. لكن سلسلة المجلة تستحق الدراسة بسبب أساليبها، وتنظيمها، ومواقفها. إنها قصة صحفي صمم على نقل حقيقة ما يحدث ونشره أمام الناس، بدلا من التمني أو اجترار وتكرار الشائعات التي كان يسمعها.

بدأ التحقيق بملاحظة عفوية من مقاول "أبيض" يعمل في تطوير المناطق السكنية. فقد قال إنه يواجه مشكلة في بناء البيوت في مناطق السود في جنوب أطلنطا لأن المصارف لا تقدم القروض هناك (وهو أمر غير قانوني إذا كان لأسباب عنصرية). وأضاف أن من الصعب الحصول على القروض - كما قيل له - حتى في مناطق الميسورين من السود. وبدت الملاحظة مألوفة ومن النوع الذي يسمعه المراسلون كل يوم - عمومية، ولا أساس لها، ويستحيل إثباتها. لكنها استثارت فضول ديدمان، وأراد معرفة إمكانية إثبات التهمة بالبينة والدليل.

أولاً، تحدث إلى بعض الأكاديميين الذين عملوا في هذا الميدان، وأعلموه أن على المصارف، وشركات الادخار والقروض، أن تبلغ الحكومة بمكان كل قرض إسكاني، وحجمه، وإحصاء التركيبة السكانية للمجتمع المحلي في المنطقة. ومثلما كتب ديدمان فيما بعد: "كل ما فعلناه على الورق ببساطة هو

مقارنة فهارس الكمبيوتر الاتحادي مع شريط تسجيل الإحصاء الفيدرالي، مع تركيز البحث المقارن على الأحياء السكنية للسود والبيض". لكن التطبيق العملي لم يكن بسهولة الكلام النظري. فقد كرست الأيام الثلاثة الأولى بكليتها لوضع فراغات بين الأرقام على الكمبيوتر بحيث يمكن قراءتها بشكل صحيح.

قام ديدمان، طيلة الشهور الخمسة التالية، بتدقيق القروض المقدمة من كل مصرف وشركة ادخار في أطلنطا خلال خمس سنوات - وبلغ المجموع 109000 قرض. كما أجرى دراسة أخرى للسجلات العقارية. استحق الجهد المبذول العناء، فقد اكتشف أن المصارف وغيرها من المؤسسات تقدم قروضا لمناطق سكن البيض تفوق بمقدار خمس مرات تلك التي تقدمها لمناطق السود. وعبر تفحص واستقصاء السياسات والممارسات المصرفية، وجد أيضا أنها لا تسعى وراء الأعمال التجارية في مناطق السود أو كانت لا تشجع المقترضين السود. ولم يكن أمام هؤلاء بدورهم سوى اللجوء إلى شركات الرهون غير النظامية، أي "أسماك القرش" من المرابين الجشعين. يقول ديدمان: "عندها فقط عدت إلى الروايات". جمع العديد من التجارب الشخصية للسكان، الأمر الذي أضاف إلى سلسلة تحقيقاته لمسات تنبض بالحياة الواقعية، وأظهر مدى تأثير سياسات المصارف على الناس.

حين ذهب إلى المصارف، أحجم المسؤولون فيها - كما هو متوقع - عن الكلام. أجاب أحدهم على طلب ديدمان للحصول على المعلومات كالتالي: "بعض المعلومات التي طلبتها لا وجود لها. وبعضها الآخر موجود لكنه سري للغاية. أما البقية فهي موجودة وليست سرية لكنها غير ذات صلة بموضوعك". إنه بلا أدنى شك صوت المسؤول الذي يحاول أن يخفي شيئا. مصرف آخر حاول سرا اللجوء إلى المشاعر الوطنية المحلية، تحت قناع التماس رقيق طلب فيه من ناشر الصحيفة، جاي سميث، أن يوقف التحقيق في القضية. قال مسؤول المصرف في رسالته: "أنا متأكد من أن جاي سميث يدرك أن أي مقال

يتهم مؤسسات أطلنطا المالية بالتمييز العنصري، يعتبر طلقة طائشة أخرى توجه إلى صدر مدينتنا العظيمة..". وأرسل نسخة من الرسالة إلى الناشر.

أخيراً، وعندما امتلك ديدمان ما يكفي من المعلومات لكتابة السلسلة (بعنوان: "لون المال" بالاقتباس من اسم أحد أفلام هوليود الشهيرة)، تدخل رؤساء التحرير في القضية. ومثلما كتب لاحقا:

> ***أعتقد بأنني أعرف مفتاح فعالية "لون المال". المحررون حذفوا الأجزاء الجيدة برأيي. وحين كتبت إن مصارف أطلنطا ترفض تقديم القروض لأسباب عنصرية، علق المحرر بيل كوفاتش قائلا: استخدم الأرقام فقط. ودع الحقائق تتحدث عن نفسها".***

في يوم الأحد الأول من أيار/ مايو بدأت السلسلة بقصة من عدة آلاف من الكلمات تحت عنوان عريض: "السود في أطلنطا يخسرون في التنافس على الحصول على قروض الإسكان":

> ***يحصل البيض من مصارف أطلنطا وشركات الادخار والإقراض على قروض تتجاوز بمقدار خمس مرات تلك المقدمة إلى السود من مستوى الدخل نفسه - والهوة تتسع كل سنة، مثلما أظهرت نتائج دراسة أجرتها مجلة "أطلنطا جورنال - كونستيتيوشن" على مبلغ 6.2 مليار دولار من القروض. العرق - لا قيمة المنزل أو دخل الأسرة - هو الذي يحدد باستمرار أنماط الإقراض في أضخم المؤسسات المالية في أطلنطا الكبرى، وذلك تبعا للدراسة التي استقصت ست سنوات من تقارير الإقراض المقدمة إلى الحكومة الاتحادية.***

تتابعت فصول القصة لتضم ما يلي: تفسير وإنكار المسؤولين في المصارف، تفاصيل عملية المسح مع مزيد من الأخبار (بما في ذلك حقيقة أن المصرف الوحيد المتخصص في إقراض السود سجل أدنى معدل تخلف عن سداد أقساط القروض على مستوى البلاد بأسرها)، تفسير القانون المتعلق

بالقروض المصرفية.. الخ. ونشرت الصحيفة في مكان آخر من عدد ذلك اليوم قصة حول عدد من المواطنين السود المؤهلين تماما للحصول على القروض لكنهم واجهوا مشكلات حالت دون حصولهم عليها. أما بقية السلسلة فكانت كالتالي:

✍ **الاثنين 2/ 5: قصة مفصلة حول السياسات المصرفية، وتاريخ سياسة التمييز العنصري التي تبنتها، إضافة إلى تواريخ حالات تشمل أحد قدماء المحاربين في فيتنام الذي رفض طلبه بالحصول على قرض يخفض ما يدفعه من أجرة لبيته الحالي بمبلغ 100 دولار شهريا. فصلت المقالة أيضا عملية شراء البيوت وكيف تتصل بالمواطنين السود.**

✍ **الثلاثاء 3/ 5: تفسير مفصل للقانون المتعلق بالمصارف وأنظمتها وممارساتها في مختلف أنحاء البلاد، إضافة إلى تاريخ الجهود والمساعي المبذولة من قبل جماعات السود لتغيير السياسات المصرفية في أطلنطا. هنالك أيضا مزيد من القصص التي تابعت تطورات القضية وأكدت أن التمييز العنصري يمارس على المستوى الوطني.**

أحدثت سلسلة مقالات ديدمان نتائج فورية. فبعد تسعة أيام من نشرها، بدأت تسعة من أكبر مصارف أطلنطا ضخ 77 مليون دولار في القروض الميسرة المخصصة لمناطق السود. بعض المؤسسات الأخرى بحثت أيضا عن أعمال تجارية تمولها في مناطق السود، ووظفت مستخدمين منهم، ونشرت إعلاناتها في وسائل إعلامهم، بل قام مدراؤها التنفيذيون بجولة بالحافلات في الأحياء التي يسكنها السود. بعد أحد عشر شهرا من نشر السلسلة، بدأت وزارة العدل الأمريكية التحقيق مع 64 مؤسسة مالية في أطلنطا حول احتمال خرقها لقوانين مكافحة التمييز العنصري.

كيف تدير عمليات التحقيق

موضوعات التحقيقات تأتي إلى الصحف بطرائق شتى: معلومات سرية من المصادر؛ أو عن طريق الصدفة؛ أو قصة روتينية على ما يبدو تدل

المعلومات اللاحقة على أن فصولها أكبر وأوسع؛ أو مشاهدات للمراسل ذاته؛ أو قصة عادية تزداد إثارة رويدا رويدا، أو واحدة تثير أسئلة مهمة بعد كل سؤال تطرحه.

تلك هي الحالة التي جرت فيها ربما أشهر التحقيقات الصحفية على الإطلاق - ووترغيت. بدأت القضية في حزيران/ يونيو 1972 مع اقتحام مركز الحزب الديمقراطي في مبنى ووترغيت في واشنطن. وانتهت بعد حوالي سنتين باستقالة أقوى رجل على ظهر الأرض. الرئيس ريتشارد نيكسون. دور الرئيس وموظفيه في التنصت على الحزب الديمقراطي وغير ذلك من التصرفات غير القانونية (تسجيل المكالمات الهاتفية، وصناديق تمويل الرشاوى، والأهم من كل ذلك التستر على هذه الأنشطة غير القانونية) ما كان ليعرف لولا التحقيقات الاستقصائية التي أجراها كارل بيرنستاين وبوب ودوارد من صحيفة "واشنطن بوست".

حين شرع الاثنان في العمل على القصة، وسط حالة من الشك المتبادل، بدت لهما قصة جنائية روتينية: ألقي القبض على خمسة رجال بعد اقتحامهم مركز الحزب الديمقراطي لزرع أجهزة تنصت. ذهب ودوارد إلى المحكمة في اليوم التالي ولاحظ أن أحد كبار المحامين البارزين قد أبدى اهتماما شديدا بالقضية. ما الذي يفعله هناك؟ علم ودوارد في المحكمة أيضا أن عددا من المتهمين قد عملوا لصالح وكالة المخابرات المركزية. كما كانوا يحملون مبالغ مالية ضخمة عند اعتقالهم، وكان مع أحدهم دفتر ملاحظات يضم رقم هاتف رجل عمل في البيت الأبيض.

من هذه البدايات الضئيلة - لكن الواعدة - انطلقت سلسلة من التحقيقات التي ستثبت في نهاية المطاف تورط إدارة نيكسون في مجموعة كاملة من الأنشطة غير القانونية. استقبل إنجاز بيرنستاين وودوارد بالحفاوة والتكريم، وألف الاثنان كتابا شهد رواجا كبيرا، كما أنتجت هوليود فيلما

سينمائيا اعتمدت قصته على التحقيق الذي قاما به. لكن كل ذلك كان النتيجة النهائية. إذ مر كل منهما قبلها بألف حالة إحباط، وتعرض لسوء المعاملة والتعسف من قبل مؤيدي نيكسون ومسؤوليه الذي خافوا من التحقيق واشتبهوا به، علاوة على الأيام والأسابيع والشهور التي ضاعت في ملاحقة معلومات مزيفة، وأخطاء فادحة (وجد بعضها طريقه إلى النشر)، وساعات لا تحصى من البحث في السجلات سعيا وراء المعلومة المهمة، والشكوك الذاتية، وانتقاد وحسد الزملاء، والليالي والأيام (حتى في العطلات الرسمية) التي قضاها كل منهما في استقصاء القضية.

هنالك دروس مفيدة وعبر ثمينة يمكن أن تستخلص من تجاربهما وخبراتهما. ولربما يعتبر كتابهما "كل رجال الرئيس" أفضل وصف تفصيلي لكتابة التقرير الصحفي باللغة الإنكليزية. حيث يروي قصة مراسلين صحفيين يقتربان ببطء (وليس بالضرورة بخط مستقيم) نحو الحقيقة، من خلال بحث دؤوب ومرهق وتهوس إيجابي بالدقة والإتقان. الدلائل الإرشادية التالية حول كتابة التقارير والتحقيقات الاستقصائية تعتمد على عمل بيرنستاين وودوارد، ودراسة الحالات والقضايا الأخرى، وتجاربي الخاصة المحدودة:

ادرس واحفظ كل وثيقة

الحكمة في كل تحقيق تقوم به تدعوك إلى الحفاظ على كل وثيقة تضع يدك عليها وألا تلقي شيئا في سلة المهملات. فلن تعرف متى تصبح الوثائق والملاحظات والتقارير - وكل شيء تجمعه- مفيدا لك. ولربما تمضي شهور على حصولك على تقرير يبدو بريئا في الظاهر، قبل أن يحدث شيء يعطيه أهمية مفاجئة. ملأ بيرنستاين وودوارد، المراسلان الصحفيان اللذان كشفا فضيحة ووترغيت، أربع خزائن بالملفات بعد بضعة شهور من مباشرة العمل على القضية.

دوّن كل مقابلة تجريها واحفظ الملاحظات

هذا مهم إذا كنت تشارك مراسلين آخرين في كتابة تحقيق صحفي، أو إذا كان تحقيقا مطولا ومسهبا. من المفيد تبادل ملاحظات المقابلات لمعرفة هل أغفلت معلومة مهمة. الملاحظات المطبوعة (والمحفوظة في ملف) أسهل وأسرع عند المراجعة. كما أن هذه الممارسة تتيح للمدراء والمحررين مشاركة أفضل في مناقشة القصة.

تشبث بالإلحاح والمثابرة

اقرأ قصة أي تحقيق صحفي ولسوف تفاجأ بإلحاح ودأب المراسلين. خلال التحقيق في قضية ووترغيت، أمضى ودوارد وبيرنستاين أياما طويلة في مراجعة السجلات، وإجراء الاتصالات الهاتفية من المكتب حتى في أيام العطلة، أو الانتظار خارج مكاتب المحامين طيلة اليوم من أجل لقاء مصدر مهم. في إحدى المناسبات، حصلا على قائمة بأسماء حوالي مائة شخص عملوا في لجنة إعادة انتخاب الرئيس، اللجنة التي ارتكبت فيها معظم الانتهاكات والأخطاء. ونظرا لعدم قدرتهما على زيارة هؤلاء في مكاتبهم، فقد أمضيا أسابيع عديدة يتصلان بهم في منازلهم بعد انتهاء الدوام في الصحيفة.

أعدْ مقابلة "المصادر القديمة"

طالما ظل التحقيق جاريا، لا يوجد شيء اسمه "مصدر قديم". فالأشخاص الذين يعملون في المجال الذي تحقق فيه سوف يتذكرون غالبا أشياء كان عليهم إبلاغك بها. وكل واحد من هؤلاء يعد سببا كافيا للاتصال به بانتظام. لقد احتفظ كل من ودوارد وبيرنستاين بلائحة منفصلة تضم أرقام هواتف المصادر، ليبلغ عدد الأشخاص في نهاية المطاف عدة مئات. وكان كل منهم يتلقى من المراسلين اتصالين هاتفين على الأقل أسبوعيا، طيلة أكثر من عام. ومثلما ذكرا في كتابهما: "حقيقة أن مصدرا معينا لم يرد على الهاتف أو لم يتصل لاحقا لها دلالتها المهمة أحيانا".

وطد العلاقة مع المصدر المطلع فعلا

خلال التحقيق بفضيحة ووترغيت، اتصل ودوارد برجل كان يعمل في منصب حكومي رفيع وسأله هل سمع شيئا عن التصرفات المسيئة. لقد سمع بها فعلا. وعرف قدرا هائلا من المعلومات، وبدا واضحا أنه يعتبر أن من واجبه المساعدة في فضح المؤامرة. لكن يراوده شك البيروقراطي الطبيعي بالصحافة، كما شعر بالقلق من أن تستخدم القصص المعتمدة على المعلومات التي يملكها هو وقلة من الأشخاص الآخرين بدون توكيد من مصادر أخرى.

لذلك وافق على مساعدة ودوارد، لكن تبعا لشروط معينة: سوف يكتفي بإرشاد المراسل إلى الاتجاه الصحيح، وكل ما يبلغه من معلومات يجب أن تدمج مع معلومات المصادر الأخرى. اللقاءات التي جرت بينه وبين ودوارد جرت في مرآب للسيارات تحت الأرض في الهزيع الأخير من الليل، وكانت تحدد بطلب منه. لكن نوعية المساعدة التي قدمها دفعت ودوارد إلى الموافقة على هذه الشروط.

لم يكشف المصدر هويته لأحد، وأطلق عليه أحد مدراء التحرير في "واشنطن بوست" اسم "الحنجرة العميقة" وما زالت هويته سرا غامضا لا يعرفها سوى ودوارد.

إنها لفرصة نادرة لا تتاح إلا لقلة قليلة من المراسلين، أن يتعرف ودوارد على مثل هذا المصدر المطلع ويحظى بتعاونه. لكن المبدأ الأخلاقي الذي ارتكز عليه ودوارد في تعامله مع مثل هذا المصدر هو الالتزام بالقواعد التي وضعها له. هذا لا يعني القبول بكل ما يقوله؛ فقد تجادل ودوارد مع مصدره مرارا وتكرارا، لكنه التزم وتمسك بكل ما اتفقا عليه.

دعم المدراء

يجب على مدراء الأخبار والتحرير حشد ما لديهم من موظفين وموارد لدعم مشروع التحقيق. وينبغي على رئيس التحرير الاستعداد لمواجهة المدة الطويلة التي قد يتطلبها مع احتمال أن لا ينتج أي قصة صالحة للنشر في

النهاية. إن نشر مادة لمجرد أن تحضيرها قد تطلب وقتا طويلا لابد أن يؤدي إلى كارثة. وحين ننشر القصة أخيرا، يجب أن تكون محكمة لا سبيل إلى دحضها.

على المدراء والمراسلين أن يتخذوا قرارا في وقت مبكر: هل ينشر التحقيق تباعا على شكل سلسلة من المقالات، أو على شكل "خبطة صحفية" لا تظهر إلا بعد استكمال البحث والتحقيق. في هذه الحالة الأخيرة، ينبغي تحديد موعد نهائي. من السهل للتحقيقات أن تطول وتمتد شهورا، مع إدعاء المراسلين بأنهم بحاجة "لأسبوع إضافي واحد فقط" لإنهاء بحثهم. لكن عليك أن تتذكر أيضا أن القصص المسلسلة قد تشجع أحيانا بعض الأشخاص على الإدلاء بمزيد من المعلومات المهمة.

ولكن بغض النظر عن طريقة النشر، ينبغي أن تخضع عملية التحقيق الاستقصائي للإشراف والرصد الدقيق من قبل أحد مدراء التحرير. والجزء الرئيس من هذا الدور يتمثل في طرح الأسئلة باستمرار على المراسلين فيما يتعلق بالقصة. وعلى هؤلاء المدراء اتخاذ موقف "محامي الشيطان"، أي اختبارها بإثارة الاعتراضات على تفاصيلها وفصولها، ومراجعة الأدلة والبينات مع المراسلين. فهم يمثلون العقل المنفتح والمتسائل والمستقصي في القضية.

التخفي

في معظم الأحيان، هنالك طريقة أفضل لجمع المعلومات من التخفي. لكن في بعض المناسبات القليلة (بل النادرة)، قد يكون الطريقة الوحيدة لكتابة القصة. فتقصي الحالة السائدة في عالم "مغلق"، مثل جماعة أو شركة أو منظمة سرية، هو الذريعة التبريرية عادة، ولربما هناك ذرائع أخرى. لكن يجب أن تستحق قيمة وأهمية القصة ذلك، كما أن هذه الطريقة تحتاج وقتا أطول، وتعرضك للمخاطر، أقلها الإحراج الذي تتعرض له إذا افتضح أمرك.

الأخطار الأخرى تتجاوز مجرد الإحراج. أولا، التخفي يشمل دائما نوعا من أنواع الخداع. لذلك يجب أن تكون الأعمال المسيئة التي تفضحها في

تقريرك خطيرة وضارة بما يكفي لتبرر ممارسة هذا الخداع. ثانيا، الأخطار الجسدية في هذه الحالة قد تكون داهمة وباقية حتى بعد أن تكشف هويتك لكتابة قصتك. ثالثا، إن كنت تحقق في أنشطة جنائية، فقد يدفعك التخفي إلى التورط فيها، الأمر الذي يجعل من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، الدفاع عن أفعالك وتصرفاتك.

هنالك مخاطرة إضافية تواجهها حين تحقق في تجارة غير مشروعة وتتنكر في شخصية بائع أو مشتر، أي "عميل محرض" إذا صح التعبير. وبغض النظر عن المانع الأخلاقي، فإنك تصبح جزءا من القصة وبالتالي تغيرها. وهذا يعني - بالنسبة لي - أنك تجاوزت حدود كل ما يعرف باسم الصحافة. المثال الصارخ على هذه الحالة ما حدث عام 1994 حين انتشرت شائعات عن عرض البلوتونيوم (الذي يمكن استخدامه كسلاح) للبيع في السوق السوداء بألمانيا. وحسب عدد من المراسلين أن أسماءهم ستشتهر عند التحقيق في هذه التجارة. بعضهم تنكروا كبائعين، وبعضهم الآخر كمشترين يملكون مبالغ طائلة من المال تحت تصرفهم. وكأنما لم يكن ذلك كافيا، فقد حاول بعض الصحفيين المتنكرين بزي "المشترين" شراء البضاعة من زملائهم المتنكرين بزي "البائعين"! ولم يكتشف أفراد الفريقين الهوية الحقيقية لبعضهم بعضا، ولذلك لم تتناول القصص المنشورة في الصحف "تجارة الموت" كما زعموا، بل مجموعتين من الصحفيين المتحمسين المتهورين الذين خدعوا بعضهم بعضا - وسخروا من أنفسهم.

لكن تتوفر أمثلة على مراسلين متخفين أجروا تحقيقات ناجحة لا تنسى. فعند نهاية القرن التاسع عشر، ادعت مراسلة "نيويورك ورلد"، نيللي بلاي، (اسمها الحقيقي اليزابيث كوشران) الجنون لكي تدخل إلى مستشفى الأمراض العقلية في جزيرة بلاكويل، وتكشف فضيحة صدمت الرأي العام. ثم نشرت ما اكتشفته في كتاب حمل عنوان "عشرة أيام في مستشفى المجانين". أما الجائزة التي عرضها الناشر، جوزيف يوليتزر، فكانت تكليفها بتحطيم الرقم القياسي

للرحلة حول العالم، والمقدر بثمانين يوما كما حددته الشخصية الخيالية في رواية جول فيرن "حول العالم في ثمانين يوما". وفعلت ذلك بخلال 72 يوما، و6 ساعات، و11 دقيقة، و14 ثانية.

المحرر الذي لم ينل مكافآت على هذا المستوى، هو و.تي. ستيد من صحيفة "بول مول غازيت". فقد فضح دعارة الأطفال في لندن الفيكتورية(*) من خلال "شراء" فتاة في الثالثة عشرة من أمها، وأمضى معها - تحت مراقبة صارمة - وقتا طويلا ليثبت أن بالإمكان إخضاعها لأي غرض لا أخلاقي. أما حملته لتغيير القانون المتعلق بدعارة الأطفال فقد تلقت الدعم والتأييد من العديد من الشخصيات البارزة، بمن فيها الأساقفة. لكنها لم تتمكن من حماية ستيد من العقاب. فقد وضعته السلطات في السجن مدة ثلاثة أشهر عقوبة له على شراء الفتاة كما اعترف في قصته. هذا الرجل الغريب الأطوار، بلحيته الحمراء، وتصرفاته الشاذة (في بعض الأحيان كان يصطاد الفئران ويقليها ويلتهمها) غرق مع "التيتانيك" عام 1912.

منذ ذلك الحين، تخفى الصحفيون بشكل رئيس لفضح معاملة - أو سوء معاملة - "ضحايا" المجتمع، مثل المشردين، أو المرضى العقليين، أو المدمنين على المخدرات. يشمل ذلك نوعا من التمثيل وربما التنكر. أما "المعلم" في هذا النوع فهو ألماني يدعى غونتر فالراف. وكان هدفه دخول العوالم الممنوعة على الكتّاب. استخدم أوراقا ثبوتية مزورة، وسيرة حياتية ملفقة، وارتدى ملابس مبتكرة أو نظارات جديدة (وحتى عدسات لاصقة)، وغير شكله وملامحه. لأن مهمته كما يقول هي "أن يخدع الآخرين كي لا يتعرض لخداعهم".

صمم على أن يكون "صحفيا غير مرغوب فيه"، ولم يعتبر كذلك دون سبب وجيه، طالما يتعلق الأمر بأهدافه. فقد قام بدور مخبر لأجهزة المخابرات

(*) نسبة إلى عهد الملكة فيكتوريا (1837-1901)، ملكة بريطانيا وايرلندا، وإمبراطورة الهند (1876-1901). كان لشعورها الحاد والمتشدد بالواجب والتزامها المتزمت بالمبادئ الأخلاقية تأثيرات نافذة في المجتمع البريطاني في القرن التاسع عشر. (م)

وعميلا للأمن السياسي، واختبر اللاهوت الكاثوليكي والمبادئ الأخلاقية من خلال التنكر بلبوس عالم يصنع قنابل النابالم، وعاش حياة المشردين وأقام في مأوى لهم، وادعى أنه مدمن على الكحول في مستشفى للأمراض النفسية، ومستشار حكومي لمعرفة كيف تتوفر الوحدات المسلحة في الصناعة الألمانية لحماية المصانع. واكتشف حين ادعى أنه "ممول ألماني من اليمين المتطرف" خططا للقيام بانقلاب في البرتغال، وزعم أنه "مراسل لإحدى صحف الإثارة"، ليفضح الأساليب التي تتبعها مجلة "بيلد" الواسعة الانتشار.

كان شديد التدقيق والحرص على الملاحظات والسجلات، واعتاد أن يسجل كل شيء وينسخ جميع الوثائق التي يرغب بالاستشهاد بها. ومثلما يقول: "قررت اتباع أسلوب التآمر لاختراق جدار التمويه والإنكار والكذب. المنهج الذي تبنيته لم يخالف القانون إلا قليلا مقارنة بعمليات الخداع والغش والمناورات غير القانونية التي كشفتها".

نشر معظم ما قام به من مهمات في المجلات أو الكتيبات أو الكتب (لا في الصحف). فقد استغرقت تحقيقاته وقتا طويلا يتجاوز - ربما - ما تسمح به صحف عديدة لمراسليها. لكن النتائج كانت مؤثرة، ولم تحظ طرقه وأساليبه بما تستحق من اهتمام وانتباه ودراسة.

"يمكن لأي صحيفة أن تتفوق على جميع كنائس نيويورك في عدد الأرواح التي ترسلها إلى النعيم وتنقذها من الجحيم"

جيمس غوردون بينيت

11

كيف تغطي الأحداث الكبرى

"ألم تلاحظ أن الحياة، الحياة الواقعية الحقيقية، بجرائمها وكوارثها ومواريثها الخرافية، تحدث حصريا تقريبا في الصحف؟".

جان انوي،"البروفة"، 1950

ثمة قاعدة غير مكتوبة في الصحافة تقول إنه كلما قويت القصة سهلت كتابتها. فبرغم كل شيء ليس هناك من حاجة لقضاء ساعات طويلة في التفكير والتساؤل عن المقدمة التمهيدية المناسبة لبداية قصة عن حريق شب في مرقص ليلي وأودى بحياة ثمانية وستين شخصا. لكن في حين أن أسلوب الكتابة عن حادث خطير وكبير يكون مباشرا في العادة، فإن مراجعة الحوادث والبحث فيها ودراستها وتحويلها إلى قصة واضحة المعالم هي من الأمور الصعبة في أغلب الأحوال.

الحوادث الكبرى والخطيرة مشوشة ومربكة وفوضوية بطبيعتها. وحتى بالنسبة للسلطات المختصة، قد يظل ما حدث بالضبط غامضا ومربكا ومبهمة طيلة ساعات وأيام عديدة. يمكن للكوارث أن تحدث في أماكن يصعب الوصول إليها، أو في بلدان تعاني من نقص في وسائل الاتصال، أو حيث السلطات المسؤولة غير منظمة أو تبالغ في التمسك بالسرية. كما يمكن أن تحدث ليلا، أو تكون من نوع الكوارث الطبيعية، مثل إعصار ميتش الذي ضرب أمريكا

الوسطى عام 1998، حيث تطلب الأمر بضعة أيام لتقدير حجم الدمار الفظيع الذي خلفه. أما أعداد الوفيات، التي تعتبر لأغراضنا المهنية "المريعة" المؤشر المفتاحي لحجم القصة، فيمكن ألا تظهر بسرعة. ولذلك فإن التقارير الأولى عنها قد تكون مضللة على نحو خاص.

ثم هنالك شهود العيان، المصابون حتما بالصدمة والتشوش، والذين يقدمون أحيانا - نتيجة لذلك - شهادات تفتقد الدقة إلى حد كبير. السلطات المسؤولة أيضا قد تقدم معلومات مضللة؛ والسبب الشائع غالبا أن أولويتها هي إنقاذ الأرواح لا مساعدة الصحفيين؛ أو لأن من مصلحتها إظهار جانب واحد من الحادث، أو إخفاء معالم جانب آخر. في كارثة ستاد هيلزبورو عام 1989 (حين قتل 94 شخصا من مشجعي كرة القدم عند انهيار المدرجات)، ومذبحة دنبلين (حين قتل رجل مسلح 16 تلميذا وثلاثة أساتذة في مدرسة سكوتلندية)، كان اهتمام الشرطة منصبا على إخفاء وإنكار نصيبها من المسؤولية. في هذه الأيام، يدفع تهديد المقاضاة القانونية، والمسؤولية، ومطالب التأمين، المسؤولين إلى مزيد من الحيطة والحذر، ورفض المساعدة، وحتى الخداع أحيانا. عند حدوث كارثة، لا تقلل أبدا من استعداد المؤسسات المعنية، أو من يمثلونها، لتقديم معلومات موجزة للصحافيين في سبيل أغراض داخلية وأهداف خفية على جدول أعمالها.

المثال التقليدي على ذلك تجسده أعمال الشغب التي اندلعت في سجن سترينجوايز في نيسان/ إبريل عام 1990. ولربما تكون التقارير التي كتبت عن الحادث أكثر تقارير الحوادث الكبرى التي تعيها الذاكرة بعدا عن الحقيقة والدقة. بدأت القصة في الأول من نيسان/ إبريل عندما استولى السجناء، الذين أغضبهم اكتظاظ السجن وبالتالي حبسهم في الزنزانات مدة 23 ساعة في اليوم، على المفاتيح من السجانين، وأطلقوا سراح حوالي 1000 سجين آخر، وأحرقوا الكنيسة الصغيرة وقاعة الرياضة، وسيطروا على السجن. كان حدثا

خطيرا وكبيرا بكل المعايير، زاده إثارة وجاذبية صور المساجين الذين علقوا اللافتات على النوافذ وجلسوا على السطح وهم يرتدون أقنعة صنعت على عجل ويقذفون الحجارة على الأرض. ونظرا لأنهم تمترسوا في المباني الرئيسة واحتلوها بضعة أيام، كان من المستحيل معرفة ما يحدث فيها. ظهرت إشارات قوية تؤكد تعرض المسجونين بسبب جرائم الجنس (الذين يقيمون في مبان منفصلة عادة) إلى الهجوم في خضم الاهتياج والاضطراب في السجن.

هذا الغموض الذي غلف ما كان يحدث بالضبط بدا كفجوة لم تكن صحف الإثارة مستعدة لمواجهتها. في الثامن من نيسان/ إبريل، ذكرت "ديلي ميرور" أن "11 قتيلا سقطوا في أعمال الشغب التي اندلعت داخل السجن"؛ وفي نفس اليوم قالت "ايفننج ستاندارد" إن 20 شخصا قتلوا، وبعد يومين اثنين كتبت "صن" على صدر صفحتها الأولى نقلا عن مصادر "تنفرد بها حصريا": "ربما قتل أكثر من ثلاثين شخصا". ولم ترغب "ديلي ميرور" بأن تبزها الصحف الأخرى، فكتبت تقول: "الغوغاء في السجن شنقوا شرطيا". وانتشرت حكايات تتحدث عن عمليات شنق أعقبت إقامة محاكم "قراقوشية"، وعمليات خصاء، ومساجين دفعوا من فوق السلالم، أو وضعوا على الخازوق، أو ذبحوا من الوريد إلى الوريد، أو حقنوا بالقوة "بمزيج من العقاقير المخدرة" التي سرقت من صيدلية السجن، أو تعرضوا للضرب بقضبان حديدية وقطعت أوصالهم.

اتضح أن جميع هذه القصص عارية عن الصحة. إذ لم يقتل سوى رجلين، وبالنسبة "للشرطي المشنوق" (حسبما ذكرت "ديلي ميرور")، فقد تبين أنه رجل محكوم بجريمة اغتصاب، ويقضي عقوبته في سجن ارملي، على بعد سبعين ميلا في ليدز. حقيقة ما حدث أن عدة عوامل قد تضافرت لتوليف خلطة من الحقائق المزورة، والافتراضات المزيفة، والأكاذيب - صدقتها صحف الإثارة وبعض الصحف الرصينة دون تمحيص.

أولا، هناك الفوضى العارمة التي سيطرت على الوضع، واستحالة معرفة ما كان يحدث فعلا آنئذ، (المصدر الرئيس لخبر "الإعدام" كان محاميا أبلغ قضاة محكمة اولدهام بأن موكله رأى ثلاث جثث تتدلى من الشرفات. وتبين أنها دمى على شكل بشر تستخدم في دروس الإسعافات الأولية). ثانيا، العديد من الإشاعات المهيجة أتت من رجال يرتدون الزي الرسمي، وضباط وحراس السجن على وجه الخصوص. وكانت لديهم أسبابهم الذاتية لتصوير أعمال الشغب بوصفها "تفجرا للشر"، على حد تعبيرهم. أما الناطق الرسمي فقد تحدث باستمرار عن "الوفيات"، مع الترويج لقصص الرعب (مع طلب عدم ذكر اسم المصدر). بينما أضافت الإدارة الحكومية المسؤولة المزيد إلى هذا الانطباع من خلال إرسال عشرين كيسا للجثث إلى السجن (في إحدى مراحل الأزمة).

لكن الصحف فاقمت ما سيصيبها من حرج فيما بعد. إذ لم تخضع المعلومات التي وصلتها للمساءلة. وفي بعض الحالات، لم تشر إلى البيانات والتصريحات باعتبارها مزاعم بل حقائق راسخة. فقد أرادت تصديق "السيناريو" الأسوأ، ووجدت – في هذه المناسبة بالذات – تواطؤا واستعدادا من الجهات الرسمية. إذ سمعت ما أرادت سماعه وصدقته. ثم تجاهلت صحف الإثارة كل خبر لم يناسب هذه الافتراضات النظرية. في صبيحة اليوم التالي على اندلاع أعمال الشغب، مثلا، نفى طبيب استشاري في مستشفى "نورث مانشستر" العام خلال مؤتمر صحفي استقبال أي سجين مصاب بجراح خطيرة. ولم تذكر هذا الخبر سوى الصحف الرصينة. والأهم من ذلك أن معظم الصحفيين لم يسألوا أنفسهم هل يبدو ما يقال لهم معقولا وجديرا بالتصديق. اكتفوا بترديده وحسب، وتناسوا جميعا أن مسؤولية الصحفي تتجاوز إطار العثور على مصدر للقصة. فهي تمتد لتشمل تدقيق وتمحيص ما يقوله المصدر.

العدو الآخر (الذي يوجده الصحفي بنفسه) للتغطية الدقيقة والرصينة للأحداث هو الاندفاع والتعجل في إصدار الحكم. وهذه حالة أكثر شيوعا من

الظروف التي أضعفت وشوهت تغطية قضية سترينجوايز، والصحفيون الذين يرسلون التقارير عن الكوارث التي تشمل خطأ بشريا أو ميكانيكيا معرضون لشراكها بشكل خاص. فالحاجة الراهنة لتفسير آني، والعثور على الأشرار فورا، تدفع الصحفيين إلى رفع إصبع الاتهام واللوم باتجاه معين قبل وقت طويل من اتضاح جميع الحقائق الأساسية. في أيار/ مايو 1991 مثلا، سقطت طائرة بوينغ 767 (تابعة لشركة لودا إير) في أدغال تايلند مما أدى لمقتل جميع ركابها البالغ عددهم 223. ومن بينهم دون مكنتوش (43 سنة) الموظف الحكومي البريطاني المعار إلى برنامج مكافحة المخدرات الذي ترعاه الأمم المتحدة. هذه الحقيقة لوحدها كانت كافية بالنسبة لصحيفة "ديلي ستار" لتقفز متعجلة إلى استنتاجات سابقة لأوانها. فقد كتبت على صدر صفحتها بالخط العريض: "الضحية"، فوق قصة تتناول كيف قتل "بارونات المخدرات القساة" 223 شخصا من أجل اغتيال رجل واحد (كليشيه مبتذلة ومنقولة مباشرة من الأفلام السينمائية). كل ذلك كان بالطبع محض تخمينات اعتمدت على مصادفة وجود مكنتوش على الطائرة. قبل انقضاء أسبوع واحد، تم العثور على الصندوق الأسود الذي كشف لاحقا أن سبب الحادث يعود إلى دوران محرك الطائرة بشكل عكسي فجأة.

كيف تتأكد من أن تغطيتك الصحفية لكارثة لا تتحول إلى واحدة أخرى!؟

غالبا ما تصل التقارير الأولى حول ما سيتبين لاحقا أنها كارثة كبرى عبر الاتصالات السلكية باعتبارها حدثا تافها قبل أن تتضخم وتغدو حدثا مهما. في بعض الأحيان، قد يحدث العكس، حيث تبدو نائبة هائلة الأبعاد، لتصحح التقارير اللاحقة المبالغة والتهويل وتحول الكارثة إلى حدث عادي. التجربة تعلمنا عدم التسرع في إصدار الحكم، ويمكن أن تزودنا بالحس الفطري للتمييز بين الأحداث التي تتضخم لتصبح مهمة وخطيرة وتلك التي تبقى صغيرة وقليلة الأهمية. ومن الدلائل الإرشادية الجيدة في هذا السياق أن أي

حادث لا تتضاءل أهميته على الفور يجب اعتباره خطيرا ومهما حتى يثبت العكس. لم يحدث أبدا أن تأثرت سمعة أحد بإجراء بضع اتصالات إضافية ثبت أنها عبارة عن جهد ضائع، لكن العديد من الصحفيين قد أصبحوا هدفا دائما للسخرية والتندر بسبب تجاهل وإغفال القصص الخطيرة والأحداث الكبرى.

أول إشارة تلمح إلى الكارثة المحتملة ربما تأتي ضمن تقرير مرسل على شكل برقية، مثل: "وقع حادث لطائرة بوينغ (تابعة لشركة "يورو" مثلا) في مطار هيثرو عند الساعة 14.26". أنت تعلم أن وكالة الأنباء المحلية لن تهتم بالتوافه، لكن عند هذه المرحلة يمكن للحادث أن يكون أي شيء: بدءا من تحطم طائرة ومقتل ركابها، وانتهاء باندلاع حريق بسيط لم يصب فيه أحد. لذلك سوف تنتظر. وبعد عشر دقائق ربما، تورد الوكالة التقرير التالي: "يبدو أن طائرة شركة 'يورو' القادمة من فرانكفورت قد تحطمت. ولم ترد أنباء بعد عن سقوط ضحايا".

هذه هي النقطة التي يجب أن يرسل عندها المراسل الصحفي والمصور إلى مكان الحادث، وإذا كان محرر الأخبار يعرف ما يفعله، يكلف أفضل الكتاب بمهمة تنسيق القصة. أي متابعة فصولها من خلال البرقيات الواردة واستخلاص زبدة ما يبعث به المراسلون في مكان الحادث لسرد ما حصل على صدر الصفحة الأولى.

ستصل الآن مزيد من التقارير، لتوضح وتؤكد أن الحادث كارثة كبرى. فقد اندلعت النار في الطائرة عند هبوطها على المدرج، وقتل أكثر من مائة شخص، وهنالك العديد من الأسئلة التي لا تزال بدون إجابات. ومع انقضاء اليوم، ظهرت إجابات عن بعضها: الطائرة، وهي من طراز بوينغ 737 وتابعة لشركة "يورو اير" عانت من بعض المشكلات الفنية عند اقترابها من مطار هيثرو. ازداد الوضع خطورة. شب حريق في أحد المحركات، فسقط من الطائرة وهي محلقة في الجو، ثم امتد الحريق إلى محرك آخر، فتوقفت

الأجهزة الإلكترونية عن العمل واضطر قائد الطائرة للهبوط يدويا بمحركين اثنين فقط. أما المحرك فقد سقط على مدرسة، كانت مغلقة لحسن الحظ. مزيد من المعلومات تأتي تباعا، ليس بالضرورة تبعا للترتيب المنطقي الوارد هنا، بل بشكل خليط مشوش من الأجزاء الصغيرة، مع تصحيحات وتراجعات تصاحب مزيدا من التفاصيل الغريبة.

يبدأ عدد الضحايا بثلاث أو أربع وفيات مؤكدة. ثم يتصل مراسل ليقول إنه تحدث مع امرأة شاهدت "العديد من الجثث". ثم تعرف أن وزير التجارة الألماني - مثلا - كان على متن الطائرة المنكوبة، وأنه توفي نتيجة الحريق بعد ارتطام الطائرة بالأرض، وأن أحد المغنين المشهورين قد شارك في عملية الإنقاذ. تعقد شركة الطيران مؤتمرا صحفيا تقول فيه إن الحريق اندلع في مقصورة المسافرين بعد الهبوط مباشرة وبخلال عشر دقائق انتشر في الطائرة برمتها. وتبين أن ستين فقط من أصل 210 مسافرين قد نجوا من الحادث، وقد أصيب العديد منهم. وإذا كنت محظوظا جدا، ستتوفر كل هذه المعلومات قبل صدور الطبعة الأولى من صحيفتك. لكن في العادة، ستصدر الصحيفة عدة طبعات لتغطية الحادث، وينبغي إرسال النسخة الأولى إلى المطبعة قبل وقت طويل من اتضاح القصة برمتها.

بالطبع، ستغلف حالة من الغموض وعدم اليقين طيلة اليوم الحقيقة المتعلقة بحجم الكارثة، وعدد الصفحات التي يجب تخصيصها لتغطيتها، وكيفية التعامل مع الأخبار الأخرى. لكن في الوضع المثالي، هذه هي التغطية التي ينبغي على كل صحيفة رصينة أن تستهدفها، وكيف يجب أن تجمع فصول القصة:

- **رواية ما حدث حسب الترتيب الزمني**: يجب عليك (أو على الفريق الذي تعمل ضمنه) صياغة رواية لتفاصيل الحدث، دقيقة بدقيقة، أو ساعة بساعة، من لحظة البداية وحتى النهاية. وهذا يعني عدم التوقف عن طرح الأسئلة: "وبعد ذلك ماذا حدث؟". حاول تجميع فيلم "فيديو" للحدث في

ذهنك. عليك أيضا أن تبقى على اتصال منتظم مع كل خدمات الطوارئ والمستشفيات والسلطات المختصة. الرواية الرئيسة للحدث سيكتبها بالتأكيد (تقريبا) المحرر - المنسق. كما يمكن لهيكل القصة أن يظهر على شكل عمود جانبي يضم بضعة أسطر عن كل جزء من الرواية، مع التوقيت الدقيق.

✍ **تقارير شهود العيان:** تجمع هذه في موقع الحدث من قبلك، إضافة إلى برقيات المراسلين المستقلين، والصحفيين الذين يعملون في المكاتب ويتصلون بالأشخاص الذين ظهروا على شاشات التلفزيون أو تحدثوا عبر الإذاعة. وعلى المراسلين الذين أرسلوا إلى موقع الكارثة أو المستشفيات أن يتأكدوا من حصولهم على المعلومات الدقيقة حول جانب القصة الذي يعملون عليه - التفاصيل، الشواهد، السرد، الأسباب.. الخ. وبدون ذلك ستجد أن عدة مراسلين يركزون جوهريا على الجزء نفسه. ولا تشعر بالانزعاج إن كانت مهمتك جمع المعلومات وإرسالها إلى المكتب على شكل خليط من الأجزاء الصغيرة، فأكثر الأخطاء شيوعا في تغطية الكوارث التي يقوم بها عدة مراسلين هو توقف الجميع عن إرسال التقارير في وقت مبكر من أجل كتابة نسخة منمقة عن القصة.

✍ **السبب:** يعتبر السبب المباشر (الأخطاء الميكانيكية مثلا) والأسباب غير المباشرة أجزاء حيوية من القصة، لكن قد يتطلب الأمر وقتا للحصول على المعلومات الصحيحة حولها. لذلك، حاذر من التسرع في توجيه اللوم. وركز بدلا من ذلك على نقل الصورة الكاملة لما حدث، وتعامل حتى مع النظريات الرسمية باعتبارها تخمينات إلى أن يثبت صدقها. فهنالك تاريخ طويل من التفكير الرسمي بصوت عال - وجامح أحيانا - حول أسباب الكوارث. والصحف التي تورد هذه الأفكار كحقيقة راسخة تبدو فيما بعد على درجة كبيرة من الحمق والسخف. وكل نظرية تتهم الإرهاب أو الانتحار غير مدعمة بالأدلة والبينات ينبغي التعامل معها بحرص وحذر، وتوضيح اسم المصدر، والإشارة إلى أي معلومات لم تثبت بالدليل القاطع.

- **سجل السلامة والأمان لطائرات بوينغ** 737: كم عدد الحوادث التي وقعت لهذا الطراز من الطائرات؟ ما هي الأسباب؟
- **نبذة عن مسيرة شركة الطيران المالكة للطائرة**: التفاصيل الكاملة المتعلقة بالشركة المعنية وتاريخها، إضافة إلى التأثيرات المحتملة للحادث عليها، وعلى أسعار أسهمها .. الخ. وإذا كان مركز الشركة قريبا، يمكن للمراسل زيارته والتحدث إلى الموظفين حول الشركة وسياساتها. على سبيل المثال، ربما لجأت الشركة مؤخرا إلى الاقتصاد في النفقات، وتخفيض مخصصات الصيانة المنتظمة للطائرات لتوفير المال.
- **السيرة المهنية لقائد الطائرة**: تبعا لما لدينا من معلومات، قام القبطان بدور بطولي عندما هبط بالطائرة يدويا وبدون محركين. سوف يرغب الناس بمعرفة شيء عن خلفيته وخبرته.
- **نعي الشخصيات المهمة من بين الضحايا**: قد لا يستحق ذلك مقالة منفصلة، لكن حين يقتل شخص شهير في الكارثة، عليك تفويض مراسل للبحث في سيرة حياته.
- **الضحايا**: تظل مجرد أرقام إلى أن يتم تحديد هوياتها. وعندما تعرف أسماء الضحايا، سترغب في معرفة من هم، وماذا كانوا يعملون.. الخ. لابد من وجود قصة عن شخص لحق بالطائرة المنكوبة في آخر لحظة، أو شيء من هذا القبيل.
- **عملية الإنقاذ**: ما الذي حدث على الأرض عند سقوط الطائرة؟ كيف كانت ردة فعل خدمات الطوارئ؟ من هم أبطال عملية الإنقاذ؟ كيف نفذت العملية؟
- **البطل**: ما هو دوره في عملية الإنقاذ وما هو سبب سفره على الطائرة..؟
- **حوادث سقوط الطائرات التي وقعت مؤخرا حسب ترتيبها الزمني**: قائمة بحوادث الطائرات التي أودت بحياة المسافرين (في بريطانيا مثلا) خلال السنوات العشر الماضية، أو الكوارث الجوية الكبرى في العالم التي وقعت

خلال العامين الماضيين. وكالات الأنباء توفر هذه المعلومات عادة بشكل روتيني.

- **وصف مشهد الكارثة**: وصف تفاصيل المشهد على المهبط أو داخل المطار سوف يشكل مادة ثمينة لمنسق التقرير. ابحث عن التفاصيل، وتجنب المشاهد الانطباعية والمتوقعة سلفا.
- **الصندوق الأسود**: ما هو الصندوق الأسود (الذي يضم تسجيلا لاتصالات الطائرة)؟ كيف يعمل؟ الصندوق الأسود واحد من الأشياء التي يشير إليها الناس دائما لكن لا يعرفون سوى القليل عنها، باستثناء حقيقة أنه جزء مهم من أي تحقيق حول حادث سقوط الطائرة. الصندوق الأسود، مثلا، ليس أسود اللون. يمكن الكتابة عنه في إطار جانبي مستقل، أو كجزء من المقالة حول التحقيق الذي أعقب الحادث.
- **رأي الخبراء**: بالنسبة للعديد من الكوارث (النادرة على وجه الخصوص) سوف تحتاج إلى خبراء يشرحون الأمور التقنية. حوادث الطائرات ليست نادرة، لكن برغم ذلك يمكن إجراء مقابلة مطولة مع خبير متخصص في السلامة الجوية لكتابة مقال حول الموضوع. يمكن الاتصال مثلا بمحقق متقاعد (شارك في التحقيق بحوادث عديدة) للحصول على معلومات ورؤى مثيرة. فإذا عثرت على واحد حاول دعوته إلى المكتب. فعلى أقل تقدير، حين يكون في المكتب تضمن ألا يقدم معلوماته الثمينة لصحيفة أخرى منافسة.
- **المقالة المنسقة**: كل المعلومات الجيدة والمفيدة التي استخلصت من التقارير السابقة (إضافة إلى الاستقصاءات الأخرى، مثل التأثيرات المحتملة على مواعيد الرحلات وأرقام هواتف أقارب الضحايا الذين يعذبهم القلق..) سوف تجمع في المقالة المنسقة. وهذه عبارة عن سرد مطول وشامل لتفاصيل الحادث على الصفحة الأولى. في العادة، يعتبر الأسلوب المباشر البسيط وغير العاطفي أفضل مقاربة: "بدأ كل شيء حين.." مسبوقا

ببضع فقرات كمقدمة. لا تلجأ أبدا إلى المناورة والتعقيد، خصوصا حين لا تكون الأحداث قد اكتملت عند كتابة القصة. اذكر فقط ما هو مؤكد ولا تترك شيئا مرتهنا بالحظ والقدر حين تتكشف مزيد من التفاصيل والحقائق.

لا تسير جميع هذه العناصر بشكل منفصل، لكن العديد منها يكون كذلك. قد يظن بعض المحررين أن مثل هذه التغطية تعتبر مثالية من حيث الحجم والمدى. لكن مع قصة بهذا الحجم تسنح لك فرصة التحليل العميق لحدث يستأثر باهتمام جمهور القراء. محطات التلفزة قد تكون السباقة في بث الخبر والصور، لكنها لا تستطيع أن تقدم تحليلا متعمقا كما تفعل الصحف. فبرنامج إخباري مدته نصف ساعة لن يضم من الكلمات أكثر من الصفحة الأولى للصحيفة العادية في المعدل المتوسط. وبالرغم من أن ذلك لا يمثل الاعتبار الأول، إلا الحكم على الصحف يعتمد على موظفيها ومحرريها وكيفية تغطيتها للأحداث الكبرى. أما أكثر ما يندم عليه معظم المحررين في حياتهم فهي قصة كبرى قللوا من أهميتها.

أعداد الضحايا

المشكلة تكمن في جانبين من جوانب تغطية الكوارث: أعداد الضحايا والاتصال بأقربائهم. ففي الساعات القليلة الأولى، تكون أعداد الضحايا مصدرا للتشوش المتواصل. في الكوارث الطبيعية، مثل الفيضانات، يمكن لحالة الغموض وعدم اليقين أن تستمر أياما، وحتى برغم ذلك يمكن أن تفتقد التقديرات الرسمية الدقة إلى حد بعيد. في زلزال طوكيو عام 1923 مثلا، قفز عدد القتلى الذي أوردته الصحف من 10 آلاف إلى 500 ألف، ثم إلى أكثر من مليون بخلال ثلاثة أيام فقط. أما العدد الحقيقي فبلغ 150 ألفا، وبحلول الوقت الذي أوردت الصحف ذلك، ذكرت أيضا أن بركان جبل فوجي قد انفجر (ولم يحدث ذلك)، وأن جزيرة في خليج ساغامي ابتلعتها موجات المد (وهذا غير صحيح)، وأن رئيس الوزراء الياباني اغتيل على يد أحد الغوغاء المسعورين (الخبر عار عن الصحة أيضا).

التقديرات المبكرة لأعداد الضحايا قد تنخفض أو ترتفع. المشكلة أنك لن تعرف الحقيقة إلا فيما بعد. لكن مع قليل من الحظ، سوف تتوصل السلطات المعنية إلى اتفاق مشترك حول رقم تقريبي موثوق يمكن الاعتماد عليه. وإلا ينبغي عليك أخذ الرقم الأدنى من مصدر موثوق عادة والقول "توفي .. شخص على الأقل حين.."، أو أعلى رقم يبدو معقولا: "يخشى المسؤولون أن يصل عدد الضحايا إلى.. حين..". ليس ثمة طريقة لمعرفة أي الأسلوبين تفضله الصحف عادة، لكن لا ينبغي استخدام الأسلوب الثاني كترخيص للتضليل والإثارة. تأكد من الأرقام التي تقدم لك. هل هي أرقام الجثث التي عثر عليها. أم التقديرات للعدد النهائي للضحايا. وكذلك من أرقام الجرحى: هل تمثل الذين نقلوا إلى المستشفيات؟ أما الجرحى مهما كانت إصاباتهم طفيفة؟

حتى أشد السلطات حذرا وحرصا ترتكب أخطاء فادحة فيما يتعلق بأعداد الضحايا. كارثة قطار بادينغتون في لندن (1999) مثال تقليدي على ذلك، فقد اصطدم قطاران في ساعة الذروة الصباحية وبدا على الفور أن الحادث كبير وخطير. وبخلال بضع ساعات، عرف تسلسل الأحداث الرئيسة، إضافة إلى أعداد الضحايا التي اقتربت من 70. ثم بدأت التقارير التفصيلية المريعة تنتشر وتتحدث عن "كرة نارية" اكتسحت العربة الأولى. ولو وجد أي راكب داخلها، كما قال المسؤولون، لاحترق على الفور. بحلول اليوم التالي على الاصطدام، كانت بعض الصحف تؤكد أن عدد القتلى تجاوز السبعين، وتلك حقيقة ثابتة. ثم ارتفع العدد، بعد المعلومات التي أدلى بها مسؤولو الإطفاء والشرطة، ليبلغ "قرابة 170". لكن عندما أرسلت فرق الإنقاذ للبحث بين الحطام، تبين عدم وجود جثث في العربة الأولى مع أن الحطام متناثر فيها. والحقيقة أن ما فات الجميع - من الشرطة والصحفيين - هو تجشم عناء التحدث مع الناجين من العربة وسؤالهم عن عدد الركاب فيها. وتبين أن العدد لم يتجاوز عشرة (نجوا جميعا)، وذلك خلافا للافتراضات التي اعتمدت على سعة العربة وقدرت العدد بالعشرات. بخلال بضعة أيام، انخفض عدد الضحايا إلى 35.

الاتصال بذوي الضحايا

الاتصال بأقرباء الضحايا عمل يخشاه كل مراسل صحفي. ولابد أن تكون غريب الأطوار فعلا إن لم تشعر بذلك. أما الصعوبة، في ذهن المراسل على الأقل، فترتبط ارتباطا وثيقا بالزمن الذي انقضى منذ تلقت الأسرة النبأ المفجع. ويبدو دائما أن من الأصعب (والأسوأ) أن يطلب منك الاتصال بأقرباء مفجوعين بوفاة زوج أو ابن أو زوجة أو ابنة، أو زيارتهم، بخلال ساعات من الحادث، مقارنة بالحال بعد عدة أيام. في الولايات المتحدة وغيرها من البلدان، حيث تقل سيطرة الشرطة بعد إعلان أسماء القتلى مقارنة بأوروبا، يمكن أن يتحدث المراسل مع عائلة المتوفى دون أن تعرف بالخبر. ولا عجب أن يذهب بعض المراسلين، حين يطلب منهم القيام بهذه المهمة، إلى السينما ثم يرجعوا إلى مكاتبهم ويؤكدوا لرؤسائهم أنهم لم يجدوا من يتحدث إليهم. لقد فعلنا ذلك كلنا.

الاتصال بذوي الضحايا واحد من المجالات العديدة في المهنة التي لا تتطلب أسلوبا حازما وسريعا. فهو يرتبط، من ناحية، بفكرة أن للمواطنين الحق بمعرفة كل تفاصيل الحادث (بما في ذلك التفاصيل الدقيقة لحياة الضحية). وكل ما هو دون ذلك عبارة عن تهرب ومراوغة للمسألة. وإذا أدى ذلك على إزعاج ومضايقة المفجوعين بعزيز، فليكن، كما تؤكد مثل هذه الحجة. من أكثر الحالات التي عرفتها صدمة للمشاعر وتبلدا في الإحساس، تلك التي رويت عن جيم ريتشاردسون، رئيس قسم الأخبار المحلية في صحيفة "لوس انجلوس اكزامنر". فتبعا للسيرة الذاتية للكاتب المتخصص في الرياضة جيم موراي، أمر ريتشاردسون ذات مرة المراسل الصحفي وين سوتون بالاتصال بأم ثكلى.

قال له ريتشاردسون "لا تعلمها بما حدث. قل لها إن ابنتها فازت بمسابقة لملكات الجمال في كامب روبرتس. ثم خذ منها كل المعلومات عن الفتاة". نفذ سوتون التعليمات، وروت الأم بسعادة غامرة تفاصيل

قصة حياة ابنتها. ثم وضع سوتون يده على السماعة، وسأل رئيسه: "والآن، ماذا أفعل؟". نظر ريتشاردسون إليه بمكر وقال بصوت يعبر عن الرضى والسرور: "الآن قل لها الحقيقة".

تنتمي هذه الطريقة، كأسلوب تقني، إلى غرفة الرعب الصحفية. من ناحية أخرى، هنالك الفكرة القائلة إن أي اتصال بالمفجوعين تدخل فظ وتعد لا مسوغ له، ولذلك يجب إلغاؤه. وتؤكد هذه الحجة أن على المراسلين الالتزام بالمعلومات التي يمكن جمعها من المصادر العامة أو من أولئك العارفين والمطلعين على التفاصيل، لا من المقربين الذين تربطهم علاقة حميمة بالضحية (مثل الزملاء أو الجيران).

الموقف الأكثر ذكاء وحرفية، برأيي، هو مفاتحة أفراد الأسرة بطريقة لبقة تراعي مشاعرهم، وتمنحهم الفرصة للكلام. فبرغم كل شيء، من أنت لتحرمهم من رؤية حياة فقيدهم مكتوبة ومنشورة، ربما للمرة الوحيدة، بدلا من أن يكون مجرد اسم على لائحة الضحايا؟ والمقاربة التي تراعي مشاعر الآخرين سوف تلقى الترحيب والقبول إلى حد مفاجئ. فالعديد من المفجوعين بعزيز يرغبون بالشعور بأن فقيدهم عاش حياة تستحق أن تسجل، والتحدث مع وسائل الإعلام طريقة يمكنهم من خلالها الاتصال بالعالم الخارجي ومشاركته حزنهم أيضا. في حالتهم هذه، يعتبر حتى الحديث مع مراسل بمثابة علاج. مراسل "ديلي ميرور"، ديريك لامبرت، كتب في مذكراته يقول:

كلما زرت أبوين مفجوعين، أو أرملة حزينة، ألقى الترحيب الحار. أدخل إلى البيت، فيعرض أمامي "ألبوم" الصور - لأرى طفلا ببنطال قصير، وجنديا على وجهه ابتسامة مكشرة يقف مرتبكا بلباس الخدمة- وتتدفق الذكريات. وبحلول الوقت الذي أصل فيه إلى بوابة الحديقة، تراودني - أنا - الرغبة بالبكاء.

القاعدة الذهبية هي التعاطف مع الآخرين، وهذا موقف محوري في النصيحة النصوح التي يقدمها مركز وسائل الإعلام والضحايا في كلية الصحافة بجامعة ميشيغان. أما المعلومات المفيدة التي يقدمها للمراسلين عند الاتصال بذوي الضحايا فهي:

✍ امنح ذوي الضحايا إحساسا بالسيطرة والتحكم. اطلب منهم أن يبلغوك متى يريدون قول شيء ليس للنشر. أعطهم رقم هاتفك وقل لهم إن بمقدورهم الاتصال لمناقشة القصة.

✍ ناقش قضايا الخصوصية والسرية منذ البداية. اشرح لهم ماذا تريد، ومع من تخطط للحديث، والمدة التي يستغرقها.

✍ استعد لاحتمال أنك تنقل خبرا سيئا - إن لم يكن خبر الوفاة ذاته، ولربما لا يعرفون بعض الجوانب والتفاصيل.

✍ تحدث إليهم بشكل ودي ثم اطلب الإذن بكتابة بعض الملاحظات. اسألهم إن كان بمقدورك استخدام آلة تسجيل.

✍ أظهر إقرارك بمدى الخسارة التي تعرضوا لها. قل لهم مثلا: "أشعر بالأسف الشديد لمصابكم الأليم"، أو "ليس الذنب ذنبكم" أو إذا كانوا من الناجين: "نحمد الله على سلامتكم".

إذا اتبعت النصيحة الأخيرة، إياك أن تقول: "أنا حزين مثلكم تماما". فمن المستبعد جدا أن تكون كذلك. الأساتذة في جامعة ميشيغان سمعوا مرة عن مقابلة أجراها مراسل شاب مع رجل تعرضت ابنته للتو للاغتصاب والقتل. قال المراسل: "أعرف شعورك، أنا حزين مثلك، فقد تذكرت عندما مات كلبي". من المؤكد أن العبارة لا تقال أبدا لأب مصدوم فقد ابنته الوحيدة.

أخيرا، إذا طلب منك الاتصال بواسطة الهاتف، نقدم لك نصيحة مفيدة حول كيفية التعامل مع ردة فعل تعبر عن الغضب أو الضيق. النصيحة تأتي من ادنا بوكانان، المراسلة الجنائية السابقة لصحيفة "ميامي هيرالد" والفائزة

بجائزة بوليتزر. ففي عملها في الصحيفة الذي امتد طيلة ثمانية عشر عاما، قامت بتغطية أكثر من خمسة آلاف جريمة قتل، وكثيرا ما أغلق ذوو الضحايا الهاتف في وجهها ورفضوا التحدث معها. كانت سياستها تتلخص في الانتظار ستين ثانية، ثم الاتصال مجددا. وغالبا ما يغير الشخص المعني رأيه أو يجيب فرد آخر من الأسرة أكثر قبولا ورغبة بالكلام. كانت تقول: "أنا ادنا بوكانان من 'ميامي هيرالد'. لقد انقطع الاتصال"، وتضيف:

> ***من المهم فعلا منحهم الفرصة لتغيير رأيهم، فلربما ندموا فورا لأنهم قطعوا الاتصال، أو قال أحدهم: 'كان عليك أن تتحدث مع المراسلة'. أما إن رفضوا الكلام مجددا فلا أكرر المحاولة مرة ثالثة. لكن في أكثر من نصف الحالات، أحظى بفرصتي في المحاولة الثانية.***

كل المراسلين قساة غلاظ، أليس كذلك؟

أخيرا، ما مدى نجاح المراسلين - برأيك - في دفع تهمة المشاركة في تسبيب الكارثة عن أنفسهم؟ يعتقد الناس أن المراسل الصحفي شخص قاس قدّ قلبه من الصوان. فهو عيّاب، بارد، يخطط بذكاء، ولربما فظ عديم الرحمة أيضا. وهو يستطيع أن ينظر إلى جثة وجها لوجه - ويبتسم. المراسل ينتمي إلى صنف من الناس يشبهون مثلا بن هيكت، مراسل "شيكاغو ديلي نيوز" الذي شارك في تأليف كتاب "الصفحة الأولى".

خلال العقدين الثاني والثالث من القرن الماضي، قام هيكت بتغطية كل الأعمال الإجرامية والدنيئة والقذرة التي ارتكبتها العصابات في هذه المدينة الصاخبة. كان عمله يتركز على ثلاجات الجثث، وغارات الشرطة، وقاعات المحاكم، وزنزانات المحكومين. ومعظم الذين يقابلهم في نهاره هم من القتلة والمنحرفين والمهووسين والمرضى النفسيين. شاهد كل ما في شيكاغو من حثالة، واستطاع دوما أن يحافظ على رباطة جأشه.

إلى أن جاء يوم كان يحضر فيه محاكمة رجل ذبح أفراد أسرته كلها. بدت القضية عادية بالنسبة لهيكت الذي جلس في منصة المراسلين المزدحمة يراقب القاتل، وهو يقف بدون مبالاة بجسده الضخم أمام القاضي كي ينطق بالحكم. حكم القاضي عليه بالإعدام شنقا، وعندما عاد المارد إلى الحياة فجأة صاح "اشنقني، أرجوك!"، وأخرج من سترته ساطورا ضرب به القاضي فاخترق قلبه، وسقط على الأرض وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

خيم الصمت على القاعة وذهل الجميع وتجمدوا، بمن فيهم هيكت، الخبير المحنك الصلب. الجميع: باستثناء مراسل ضئيل من صحيفة منافسة تدعى "انتر - اوشن". وتمكن هيكت من رؤيته وهو يكتب باهتياج، فقد كان المراسل الوحيد من بين ثلاثين الذي امتلك ما يكفي من الجرأة وقوة الأعصاب بحيث لا يشغله ما حدث عن مهمته. كتب على عجل ليملأ عدة صفحات صغيرة، ثم صاح مناديا على الصبي الذي ينقل الرسائل، فقفز هذا لينقل السبق الصحفي إلى الهاتف.

تذكر هيكت فيما بعد قائلا: "لم يملك أحد منا في قاعة المحكمة سرعة البديهة الكافية ليكتب كلمة واحدة، وأصابنا الاعتداء بالشلل. ومع ذلك، امتلك هذا الرجل من "انتر - اوشن" أعصابا فولاذية، ولم يتوقف لحظة عن أداء عمله. تملكني الفضول لأعرف ما كان يكتب". ركض هيكت خلف الصبي وأمسك بذراعه وخطف منه الصفحات الصغيرة. ووجد عليها، بخط مكتوب بيد مرتعشة، الكلمات التالية: "طعن القاضي بسكين، طعن القاضي بسكين، طعن القاضي بسكين.. " .

" حين تسمع خبرا وصفه صحفي بأنه مقلق، تعرف بأنك لا يمكن أن تأخذه على محمل الجد" .

كينيث روبنسون.

12

الأخطاء، والتصحيح، والخداع

"ربما ينبغي على رئيس التحرير تقسيم صحيفته إلى أربعة أقسام؛ أولا، الحقائق؛ ثانيا، الاحتمالات، ثالثا، الإمكانات، رابعا، الأكاذيب".

توماس جيفرسون

"كان يا ما كان.. في سالف العصر والأوان".. كانت الصحف معصومة عن ارتكاب الأخطاء. إن بدت العبارة مقدمة لحكاية خرافية، فلأنها فعلا كذلك. الصحف ارتكبت أخطاء فعلا؛ لكنها لم تعترف بها - أو على الأقل بقيت على عنادها حتى أجبرها المحامون على الاعتراف. لقد ظلت الصحف طيلة عقود من السنين تفضل أن تكون كاذبة جريئة بدلا من باحثة عن الحقيقة.

هذا الادعاء بالعصمة سخيف وعبثي. فالتقارير الكاذبة أنتجت (وتنتج) ملايين التفاصيل الخاطئة، والروايات المزيفة، إضافة إلى عدد لافت من القصص المزورة والتافهة. في الخامس عشر من نيسان/ أبريل 1912، مثلا، كتبت صحيفة "بالتيمور ايفننج صن" عنوانا بالخط العريض: "نجا جميع ركاب تيتانيك". وفي الثالث من تشرين الثاني/ نوفمبر 1948، زعمت صحيفة "شيكاغو ديلي تريبيون" أن "ديوي يهزم ترومان"، وفي أيار/ مايو 1983، أعلنت صحيفة "التايمز" على صدر صفحتها الأولى أن "يوميات هتلر السرية سوف تنتشر". ومثلما عرف معاصرو هذه الأحداث بعد وقت قليل من نشر هذه

القصص، فقد غرق 1500 شخص مع "التيتانيك"، وهزم هاري ترومان ديوي في الانتخابات، وكتب يوميات هتلر السرية - بدلا منه - محتال ألماني يدعى كوني فيشر.

في هذه الأيام، تعترف الصحف الرصينة والمحترمة بأخطائها وتصححها حالما تستطيع. كما تقر بأن مثل هذه القصص نتجت عن بشر خطائين عانوا من ضغوط قوية ولم يتمكنوا من الوصول إلى المصادر جميعا. في الحقيقة يتعذر منع الأخطاء، وهي تقع ضمن واحدة من الفئات الست التالية:

- أخطاء التفاصيل - أسماء، أعمار، عناوين.. الخ
- أخطاء السرد - جزء مزيف من رواية صادقة لولاه.
- الخداع والتلفيق - حيث تكون القصة خيالية وكاذبة برمتها.
- أخطاء السياق - خلفية مزورة أو مفقودة تسبب رواية كاذبة.
- أخطاء الإهمال - رواية مضللة نتيجة فقدان جزء منها.
- أخطاء التفسير - حيث يكون حاصل جمع اثنين مع اثنين خمسة!

والصحف الرصينة، مثل "شيكاغو تريبيون"، تتبع أيضا نظاما لتسجيل ومتابعة الأخطاء، وتحاول تصحيح عملياتها الناجمة عنها. لقد تعلمت مثل هذه الصحف الكثير عن كيفية حدوث الأخطاء ومن يرتكبها. وفي الحقيقة، لا يتفوق أحد في مهنة الصحافة على المراسلين (كمجموعة) في ارتكاب الأخطاء. فتبعا لعملية مسح أجريت في "الغارديان" و"فورت ورث ستار - تلغرام" في تكساس، تبين أن المراسلين تسببوا في نصف الأخطاء التي نشرت (بينما كان محررو الإعداد مسؤولين عن خطأ واحد من بين كل خمسة). يمثل ذلك رؤية مهمة بالنسبة للصحف، وأكثر أهمية بالنسبة للكتاب الأفراد؛ إذ لا شيء يدمر سمعة المراسل الصحفي بصورة أسرع (أو أشمل) من سجله في التسبب بالأخطاء.

على المراسلين المهتمين بعدم ضمهم إلى هذه الفئة أن يدركوا أمرين اثنين. أولا، إن دقة تقاريرهم وصحة رواياتهم مسؤوليتهم هم، ولا يمكن نقلها أو

تحويلها إلى باقي حلقات سلسلة الإنتاج، مثل محرري الأخبار أو الإعداد. ثانيا، ينبغي أن يدربوا أنفسهم على الانتباه لكيفية تسلل الأخطاء إلى عملهم، بحيث يصبح التدقيق في مثل هذه الكمائن المحتملة عادة راسخة فيهم. ولا ينبغي عليهم الاكتفاء بالتعلم من أخطائهم فقط، بل من أخطاء الآخرين أيضا. وعليهم عند قراءة تصحيح في صحيفة أن يفكروا بكيف ولماذا حدث ذلك.

الأخطاء

هنالك ثمانية أسباب رئيسة للأخطاء في القصص والتحقيقات والتقارير الصحفية:

معلومات مزورة من المصدر

لا أوافق على مقولة إن المراسل لا يستطيع فعل الكثير فيما يتعلق بالمعلومات الخاطئة حول الحقائق البسيطة، مثل الأسماء والتواريخ والأعمار. فبمقدورك التأكد والتحقق منها والتدقيق فيها. اسأل نفسك: هل المصدر في موقع يؤهله لمعرفة ما يبلغك به؟ وانتبه للأدلة والمفاتيح التي تشير إلى عدم اليقين ("أعتقد.."، "من المحتمل.."، "هذا ما قيل لي.." ..الخ). هل تبدو المعلومات معقولة وجديرة بالتصديق؟ غالبا ما يكفي تأمل بسيط ليؤكد لك أنها غير معقولة. مصدر الخطأ الآخر هنا هو أخذ المعلومات المقدمة لك (ربما في خضم حالة ما تزال غامضة) وعرضها بوصفها حقيقة من مصدر لم يكشف عن اسمه، بدلا من أن تكون محل اختلاف وجدل بين المصادر. هذا هو سبب الخطأ في التقرير حول "التيتانيك"، فقد حصلت الصحف على توكيدات موثوقة من الشركة المالكة للسفينة ("وايت ستار لاين")، ولم تنسبها إليها حين ذكرت أن الركاب قد نجوا جميعا.

عدم تدوين الملاحظات بشكل واضح

الملاحظات المدونة بطريقة سيئة ومتعجلة - بدءا بالاختزال المخل وانتهاء بالكلمات الطويلة المتصلة الحروف وغير الواضحة - تؤدي غالبا إلى قصص

وتقارير بعيدة عن الدقة. لقد آن الأوان لتكتب ملاحظاتك بخط واضح مقروء. ولا تحاول أن تخمن معنى الكلمات غير الواضحة التي نقلتها عن المصدر - اسأل عنها مرة أخرى. ولن تجد صعوبة في ذلك كما تظن. وتعلم أن تسأل عن تهجئة الأسماء الصحيحة.

عدم التحقق والتثبت من "الحقائق" ومراجعتها مع المصادر

غالبا ما يبلغك مصدر بمعلومة تناقض ما قاله مصدر آخر، تحقق منها، مرتين وثلاثا، إذا كان ذلك ضروريا. الأمر نفسه ينطبق على العمل انطلاقا من الوثائق. فبضع ثوان تقضيها في التحقق من صحة الأرقام والأسماء التي نسختها توفر عليك متاعب ومشكلات لا حصر لها.

الإحجام عن التدقيق في الحقائق أو التطورات "المثيرة"

هنالك شعور من الرضى عن النفس يشكل جزءا من ثقافة الصحافة ويمنع المراسلين من التدقيق بعناية في الأجزاء الشائنة والفظيعة من القصص والأخبار والتقارير، كيلا ينكرها أحد أو يقلل من إثارتها. مثل هذه الحماقة الخطرة تناقض الخبرات والتجارب التي تراكمت عبر الأجيال، وأكدت أن قلة قليلة من القصص تظل على حالها الصريح أو المباشر أو المحدد أو الفظيع، كما بدت للوهلة الأولى. إن لم تكن تتمتع بالقدرة الفطرية على التشكيك (الإيجابي)، فحاول اكتساب شيء منها.

عدم مراجعة القصة بعد كتابتها

كلنا نرتكب أخطاء طباعية حين نعمل بسرعة، كما أننا نفكر بـ"حقائق" لا تدعمها الملاحظات التي قمنا بتدوينها. لكن المراجعة لدقة الحقائق (إضافة إلى تلك التي نجريها على الأسلوب، ولحذف العبارات المسيئة.. إلخ) يمكن أن تمنع العديد من هذه الأخطاء.

تجاهل الشعور بالقلق الذاتي من القصة

كل مراسل متمرس يشعر بالقصة "المثيرة"، التي ستحتل عناوين الأخبار، لكنه يحس ببعض القلق تجاهها. "لا تبدو صادقة تماما.."، "لا تتناسب مع ما أعرفه عن العالم.." الخ. الخطأ يكمن في الاستمرار قدما، والظن بأن الحذر سوف يحرمك من مجد الصفحة الأولى. بدلا من ذلك كله، لا تتجاهل تلك الشكوك. فسوف تثبت صحتها في معظم الحالات. معظم الأخطاء التي ارتكبتها نتجت عن عدم إصغاء الأنا المتفاخرة المتباهية لحكمة الشكوك التي يطلقها الصحفي المتواضع العاقل القابع داخل رأسي.

إغفال الحقائق التي لا تتواءم مع النظرية المتبناة مسبقا (أو المتبناة بتسرع ودون تمحيص)

إن اتخاذ القرار المتعلق بوضع معين قبل معرفة جميع الحقائق (رغم استحالة معرفتها جميعا) واحد من الشراك الخطيرة التي ينبغي على الصحفي الكفاح دائما لتجنبها. فهو خطر ماثل على الدوام يهدد قصص وتحقيقات وتقارير الأحداث الكبرى، نظرا لتعاظم الضغط الذي يدفع لتقديم رواية تشمل كل الحقائق على ما يبدو، وتفسير جاهز للحادث في آن معا. المثال التقليدي على ذلك أعمال الشغب في سجن سترينجوايز في مانشستر (انظر الفصل 11).

التسرع في النشر

هذا هو الخطأ الذي صاحب قضية يوميات هتلر. فالتلهف على حماية حقوق النشر الحصرية (الذي فاقمه الاعتقاد السائد ضمن وكالة "نيوز انترناشيونال" بأن هدف الصحافة الغائي هو الترفيه وليس الحقيقة)، أدى إلى نشر القصة قبل إجراء التدقيق العلمي للوثيقة. هذا الخوف من خسارة السبق الصحفي دفعمردوخ(*) إلى التعجل بإجازة النشر، بالرغم من التوجس القوي

(*) روبرت مردوخ (ولد عام ١٩٣١): ناشر أمريكي (من أصل أسترالي) ومؤسس ورئيس "إمبراطورية" "News International Communications"، كما يملك العديد من الصحف الكبرى في أستراليا وبريطانيا والولايات المتحدة، إضافة إلى عدد من الشركات السينمائية والمحطات التلفزيونية. (م)

الذي عبر عنه كبار الصحفيين في "صنداي تايمز". إن مآزق التعجل في نشر قصة تبدو أكثر صدقا من الأدلة التي تثبت صحتها، تمثل سببا متكررا للأخطاء الفادحة في القصص الكبيرة والصغيرة. العبرة واضحة لا لبس فيها - لا تنشر الخبر إلا بعد التأكد من صدقه وصحته.

(لاحظ عنصر غياب الضعف وقلة التجربة عن هذه اللائحة، لأنهما من الأعذار التبريرية للأخطاء، لا من أسبابها).

أخيرا، بالنسبة للمراسلين الذين يظنون أن أهمية الدقة لا تستحق هذا القدر من التوكيد، نقدم هذه القصة المحزنة التي ظهرت في "سي - فيل ويكلي"، وهي من صحف الإثارة (الصغيرة الحجم) التي توزع في مدينة شارلوت فيل (بولاية فيرجينيا). القصة تدور حول اكتشاف إحدى السيدات التي تتدرب في ناد للصحة البدنية أن المرايا المثبتة في غرفة تبديل الملابس ذات اتجاهين للرؤية. الصحيفة نشرت أيضا صورا ورسوما بيانية، وتطرقت بأسلوب ظني وتخميني (من خلال الاقتباس من أحد الأطباء النفسيين) إلى دوافع الشخص الذي وضع مثل هذه المرايا ليسترق النظر منها. ثبت أن القصة صحيحة في جميع تفاصيلها، لأن صاحب النادي وجد ميتا بعد خمسة أيام في إحدى الحدائق القريبة، ويبدو أنه انتحر. يصعب التفكير بالعواقب بالنسبة للمراسل لو تبين أن القصة غير صحيحة. أما العبرة فهي تذكرة بأن عليك التأكد من قصتك نظرا لأنك لن تعرف التأثيرات التي ستخلفها.

كيف تستجيب للأخطاء؟

الجواب: "بسرعة وصراحة". وهذا ينطبق إلى أقصى درجة على الحالة التي تدرك فيها خطأك قبل أن يكتشفه الآخرون (وهي الحالة الغالبة). تحرك بسرعة - فلربما تستطيع تصحيح الخطأ قبل نشر القصة، أو تصحيحه بين الطبعات (كما في الصحف الكبرى). وحتى إن فات الأوان، فإن الاعتراف العاجل (وإذا كان الخطأ فادحا، الاتصال بالمصدر المعني) سوف يساعد على

التخفيف من شدة العواقب على الصحيفة من الناحية القانونية، وعليك شخصيا. تجربتي تشير إلى أن الصحفيين الذين يعترفون بسرعة بأخطائهم (بشرط ألا تكون فادحة) ويتحملون المسؤولية ينقذون سمعتهم من مزيد من الأضرار مقارنة بأولئك الذين يبقون في الظل منتظرين افتضاحها. هؤلاء هم الذين يطردون من عملهم.

مع وصول الشكاوى من خارج الصحيفة، يجب أولا التأكد من أن الخطأ خطأ بالفعل. فغالبا ما تلجأ المصادر إلى الخداع، خصوصا أولئك الذين سبب لهم انفتاحهم معك مشكلات داخل مؤسساتهم. وكثيرا ما ثبت أن العديد من المزاعم، لا سيما تلك المتعلقة بالخطأ في الاقتباس، ليست سوى محاولات من المصادر للتغطية على ما صرحوا به.

ما إن يتم التثبت من الخطأ بصورة قاطعة، حتى يصبح من الضروري الإسراع بنشر التصحيح، ومن الأفضل في مكان منتظم ومحدد. بعض الصحف، مثل "موبيل ريجستر" في الاباما، تنشر كل التصويبات في الصفحة الأولى. في صحيفة "بلين ديلر" في كليفلند، ينشر التصحيح في أقرب مكان ممكن من الموقع الذي ظهر فيه الخطأ الأصلي ويفهرس على الصفحة الثانية. "اوغستا كرونيكل" تتبع الأسلوب نفسه، وإذا ظهر الخطأ على الصفحة الأولى، ينشر التصحيح على الصفحة نفسها. مثل هذه السياسات والأساليب ليست اعترافا بالضعف، بل هي دليل على الشجاعة والأمانة والاهتمام بإبلاغ القارئ بالحقيقة.

(السرعة فضيلة أخرى في تصحيح الأخطاء، لكن في مناسبات قليلة، لم يمنع أو يعيق الصحف عن هذه الممارسة مرور الزمن. في عام 1920، سخرت "نيويورك تايمز" علنا من البرفسور روبرت غودارد، رائد استكشاف الفضاء، لزعمه بإمكانية تشغيل الصواريخ في الفراغ. وبعد تسعة وأربعين عاما، حين حملت مركبة الفضاء "ابولو11" أول إنسان إلى سطح القمر، نشرت "التايمز" ما يلي: "لقد تأكد الآن بشكل قاطع أن الصواريخ قادرة على العمل في الفراغ. و-

التايمز- تعتذر عن خطئها". لكن الزمن القياسي هو 199 عاما التي مرت بين تاريخ نشر "الابزوفر" اللندنية أن موزارت قد توفي في الخامس من كانون الأول/ ديسمبر 1791، وبين تصحيح الخطأ [توفي الموسيقار الشهير في الثالث من ديسمبر] الذي نشرته في أوائل عام 1991).

الأمانة ليست الدافع الوحيد وراء التصحيح والاعتذار. إذ إن تجنب التعرض للدعاوى القضائية يشكل أيضا سببا قويا للتعجيل بهما. قبل بضع سنين، ظهرت العبارات التالية في إحدى الصحف الأيرلندية: "في عدد "صنداي برس" الصادر بتاريخ 18/ 3/ 1990، ظهرت صورة بروينسياس دي روسا وكتب تحتها "the prospective monster" (حرفيا: المسخ المحتمل). ويجب تصحيح ذلك ليصبح "the prospective minister" (الوزير المحتمل)". على نحو مشابه، نشرت إحدى الصحف الإنكليزية المحلية التصحيح التالي لتقرير من المحكمة: "ورد في التقرير العبارة التالية -أب ينطح ابنه-، والصواب هو: - أب ينطح الشخص الذي هاجم ابنه -".

يمكنك أن تستشعر الإجراءات القانونية المحتملة ضد هذه الصحف وأنت تقرأ هذه التصويبات. ومما لا شك فيه أن رؤساء التحرير الذين أمروا بنشرها كانوا على علم تام بأن سرعة نشر التصويب يمكن أن تساعد في تجنب التعرض لدعوى بالتشهير، أو على الأقل تشكل جزءا من الدفاع اللاحق.

وجد غيلبرت غرانبرغ، محرر صفحة الافتتاحية السابق في صحيفة "دي موين ريجستر"، الذي قام بعملية مسح شملت 164 دعوى قذف وتشهير عام 1987، أن معظم الذين رفعوا مثل هذه الدعاوى لم يكونوا يريدون المال أصلا. بل أرادوا تصويب الأخطاء، ولم يلجؤوا إلى المحاكم إلا بعد أن تجاهلت الصحف مطالبهم.

لكن، على الصحيفة أن تتذكر الخطأ وتصححه بمبادرة منها، قبل أن تضطرها إلى ذلك مذكرة من أحد المحامين. ولا حاجة بها للتذلل، أو إطلاق

الوعود بعدم تكرار الخطأ، أو الاعتذار، أو تقديم تفسير حول ما عانى منه المحرر ومساعدوه تلك الليلة بسبب رداءة الجو مثلا! هنالك بعض المطبوعات، مثل "أمريكان لوير"، تسمي المراسلين والمحررين الذين ارتكبوا الأخطاء. في حين أن غيرها، مثل "سان هوزيه ميركيوري نيوز"، فعلت العكس، حيث حذفت كل كلمات وعبارات اللوم (مثل: ".. بسبب خطأ في التحرير.. الخ). كما أن هناك - في مكان ما - حدودا لما يمكن تصويبه. على سبيل المثال، ذكرت صحيفة "بوسطن غلوب"، في اليوم التالي على نشرها مراجعة لأحد أفلام الرسوم المتحركة الجديدة، أنه "في مراجعتنا للأفلام يوم أمس تبين أن العبارات التي قالها القط سيلفستر قد نسبت خطأ إلى البطة دوفي".

أخيرا يسهل تصويب الأخطاء المتعلقة بالحقائق الواقعية؛ أما ما تعلق بغيرها فهو أقل سهولة. والعديد من الشكاوى الموجهة إلى الصحف تتركز على السياق غير الصحيح أو المفقود، أو على حذف عنصر يغير القصة بمجملها أو الانطباع الذي تتركه. ومن أجل هذه، يمكن للصحف أن تفرد مساحة في صفحة الرسائل، أو (في حالات أقل شيوعا) في أعمدة التعليقات. وللتعامل مع مثل هذه الحالات، تنشر صحيفة "نيويورك تايمز" "ملاحظات المحررين" لكي "تفسر المقالات أو تصحح ما يعتبره المحررون زلات أو أخطاء مهمة في النزاهة، أو التوازن، أو المنظور". وهي تنشر حوالي خمس وعشرين منها كل سنة. إنها وسيلة مفيدة تستحق أن تستنسخ على أوسع نطاق.

أكاذيب وخداع الصحف الكبرى

في عام 1976، ظهر الإعلان الدعائي التالي في صحيفة "فيليج فويس" النيويوركية:

ماخور للكلاب

يعرض تشكيلة مختارة من الإناث الشبقات، من مختلف السلالات (بدءا بكانيش الفرنسية وانتهاء بالهجينة). يتوفر طبيب بيطري

ومساعد. إضافة إلى خدمات الإنسال والتصوير. للكلاب فقط. لا يسمح بدخول الكلاب الشرسة. للحصول على موعد، اتصل على الرقم .2547878

في نفس اليوم أصدرت "الإدارة" نشرة إعلامية، وما إن شاع الخبر حتى تدفقت اتصالات أصحاب الكلاب. وبدأت محطة "ايه بي سي" (ABC) تصوير فيلم وثائقي عن الموقع، في حين انهالت طلبات الصحفيين لزيارته، ثم أخذت القصة منحى آخر. الجمعية الأمريكية لمنع القسوة ضد الحيوانات طالبت بإغلاق الماخور، وكذلك فعل مكتب شؤون الحيوانات، وشرطة الآداب، ومكتب المحافظ، ومختلف الهيئات المهتمة بالشؤون الدينية والأخلاقية. الجدل الخلافي احتدم وانتقل إلى صفحات الجرائد. بل إن المدعي العام الأمريكي أرسل مذكرة استدعاء للمثول أمام المحكمة إلى عنوان المكان بتهمة إدارة ماخور للكلاب بشكل غير قانوني! عند هذه النقطة، ظهر جوي سكاغز، الرجل الذي يقف خلف كل القضية ليعلن أن الأمر كله خدعة!

مثل هذه المحاولات الهادفة لخداع الصحافة ليست نادرة كما يظن الصحفيون. فقد كان للمتعجلين والمتهورين، والفوضويين، والباحثين (والباحثات) عن المال والثراء، والعابثين الهازلين، تاريخ متخم بقصص الاحتيال والخداع والمزاح التي وجدت طريقها للنشر على صفحات المجلات والجرائد الأولى. الوثائق المزورة حققت نجاحا لافتا على وجه الخصوص. يوميات هتلر خدعت صحيفتي "تايمز" و"صنداي تايمز" ومجلة "شتيرن" وغيرها؛ "مذكرات" هوارد هيوز (التي كتبها فعلا كليفورد ايرفنغ) غشت مجلة "لايف" فدفعت 250 ألف دولار ثمنا لها؛ رسائل تشارلز ستيورات بارنيل التي عبرت عن موافقة الزعيم الوطني الأيرلندي على الجرائم السياسية ألحقت المهانة والإذلال بصحيفة "التايمز" حين ثبت أنها مكتوبة بواسطة رجل يدعى بيغوت للحصول على المال؛ رسالة زينوفييف التي أظهرت أن حزب العمال البريطاني عبارة عن

"واجهة" لموسكو صدقتها بكل حماس صحيفة "ديلي ميل" ونشرتها يوم إجراء انتخابات عام 1924. ثم تبين أنها مزورة. كل هذه حالات معروفة وأمثلة مشهورة، لكن الأكاذيب والحيل الأخرى تستحق الدراسة والمراجعة.

الصراصير المقاومة للإشعاع

في أحد الأيام، اتصل الدكتور جوزيف غريغور، عالم الحشرات الشهير، بوكالة "يونايتد برس انترناشيونال" وأقنعها بأنه طور سلالة من الصراصير المقاومة للإشعاع النووي. وأن بالإمكان استخدام الهرمونات المستخلصة منها لمعالجة التهاب المفاصل، وحب الشباب، وفقر الدم، إضافة إلى حماية البشر من الإشعاع. أما الخبر الذي أرسلته الوكالة إلى وسائل الإعلام العالمية فكان: "هرمونات الصراصير عقار سحري معجز". وبالطبع، لم يكن الدكتور غريفور سوى ملفق قصة ماخور الكلاب، جوي سكاغز!!

فرقة موسيقية من أربع فتيات عاريات الصدور

خدع عدد كبير من الصحف الأمريكية عام 1967 بقصة عن جولة قادمة تقوم بها فرقة موسيقية فرنسية مكونة من عازفات عاريات الصدور. أما مصدر هذا الهراء فكان رجلا يدعى آلن ابيل، حيث أرسل نشرات إعلامية تزعم أن العازفات بحاجة للعزف "بدون ثياب" من أجل "ألحان ونغمات نقية تخترق الحواجز". كما استأجر أربع عارضات ألبسهن عباءات بيضاء لالتقاط صور معهن بغرض الدعاية. بعد أن ظهرت القصة، تدفقت الدعوات من جميع أنحاء أمريكا، بل إن إحدى شركات الموسيقى عرضت عقد تسجيل وطبع معزوفات الفرقة!

أول أقوال المسيح

في أيار/ مايو 1991، نشرت صحيفة "فانينشال تايمز" مقالا مطولا حول اكتشاف ما بدا أنه واحد من أوائل النصوص الباقية من أقوال السيد المسيح. ولم تدرك الصحيفة إلا بعد نشر المقال أن اسم المكتشف المزعوم للقِيّة التي لا تقدر بثمن هو باتسون دي. سيلنغ.

جمعية "حشمة" الحيوانات العارية

القصة واحدة من أعقد الخدع الصحفية المعروفة، أما ملفقها فهو آلن ابيل. فقد "اخترع" الجمعية عام 1959، واستأجر ممثلا عاطلا عن العمل اسمه بوك هنري لتمثيل دور المؤسس الوهمي، جي. كليفورد براوت (الابن)، الذي ظهر في برنامج "ان. بي. سي" "توداي شو"، ليطالب بارتداء جميع الحيوانات التي يتجاوز ارتفاعها أربع بوصات ملابس محتشمة! كما استأجر مجموعة من الأشخاص للاحتجاج أمام البيت الأبيض، بل خصص خطا هاتفيا وعامل بدالة لتلقي المكالمات. العديد من الصحف نشرت الخبر. أما القصة الكاذبة ف ahvj أشارت إلى أن الجمعية قد تأسست بمال ورثه براوت عن أبيه. الأمر جذب انتباه مصلحة الضرائب. وطالبت خدمة الإيرادات الداخلية بدفع الضرائب المستحقة عليه. وحين لم تتلق ردا، زار موظفوها مكاتب الجمعية، فوجدوا خزانة للمكانس، وأدركوا أن الأمر خدعة. وتحول بوك هنري لأداء أعمال أخرى، وشارك في مسلسل تلفزيوني، ثم أصبح كاتبا وممثلا ناجحا في العديد من المسلسلات التلفزيونية والأفلام سينمائية.

النقطة المحورية في نجاح كل هذه الخدع والحيل هي الفشل في التحقق والتدقيق، أو تصديق النشرات الإعلامية تبعا لقيمتها الظاهرية، أو الاتصالات القادمة من "مصادر" جديدة موثوقة ومعقولة ظاهريا. إن منع مثل هذه المحاولات الخداعية من الوصول إلى صفحات الجرائد يجب أن يرتبط ارتباطا مباشرا بعدم السماح لرغبتك بنشر اسمك فوق مثل هذه القصص أن تكتسح الحذر البسيط، وطرح الأسئلة، وطرق بعض الأبواب الأخرى. ومن الأسهل خداع المراسلين الذين لا يغادرون مكاتبهم.

الأموال التي دفعت لمثل هذه القصص من قبل بعض الصحف الشهيرة والواسعة الانتشار (تنفق صحيفة "صن" ملايين الجنيهات كل سنة على شكل

أجور للمصادر والمراسلين المستقلين) كبيرة وباهظة إلى درجة أن هناك بعض الأشخاص المحترفين الذين يكسبون رزقهم من الاحتيال على الصحف وخداعها. أشهرهم ربما روكي ريان، رجل المخاطر (في الأفلام السينمائية)، الذي انتحل أسماء مستعارة عديدة، منها ميجور ترافيس، بيتر بيرنستاين، ديفيد اوبنهايمر، روكو سالفاتوري، وغيرها. استطاع ريان أن يبيع صحيفة "بيبول" (صحيفة واسعة الانتشار تصدر يوم الأحد من كل أسبوع) قصة حول حفلات الجنس والمخدرات المعربدة التي تقيمها بعثات تسلق جبال الهيملايا. كما باع إلى وسائل إعلام أخرى قصة تقول إن غورباتشوف استقال قبل سنتين من استقالته العلنية (مما أدى إلى خسارة ملايين الدولارات على أسواق صرف العملات الأجنبية)، إضافة إلى أخرى تؤكد أن السكرتير الخاص لهتلر، مارتن بورمان، حي يرزق ويعيش في كيبوتز داخل إسرائيل. وتبين طبعا أن جميع هذه القصص كانت كاذبة.

جنى روكي ريان 18 ألف دولار من تلفيق قصة تؤكد أن لديه نسخة مسجلة لحديث هاتفي دار بين تشارلز والأميرة ديانا، ثم أغرى الصحف بشرائها. وأوعز لممثلة يعرفها أن تتصل بصحيفة "بيبول" لتقول إن صديقا لها في المخابرات البريطانية يريد التحدث حول العائلة المالكة. وأعطت الصحيفة رقم هاتف لشقة في حي لندني راق، وحين اتصلت الصحيفة، رد على الهاتف صديق آخر قال إنه يعمل لحساب المخابرات. وأضاف بأن دائرته تتنصت على هاتف الأمير تشارلز. وإنه على استعداد لبيع نسخة عن المحادثة الهاتفية مقابل 7500 دولار. اشترت الصحيفة النسخة، كما فعلت صحف أخرى. أما السبب وراء سقوطها في الفخ فهو أن المحتالين والنصابين كانوا يقدمون لها قصة ترغب هي بتصديقها - الخدعة ذاتها التي ظلوا يمارسونها على مر القرون.

"الصحافة تقيم توازنات مؤقتة وتعطي الفوضى نظاما ضمنيا. وهما خطوتان بالاتجاه المعاكس للواقع الحقيقي".

توماس غريفث

13

مبادئ الأخلاق

"الموهوب الذي لا يهتم بالمال يصعب ترويضه"

اليستر كوك، هيئة الإذاعة البريطانية

بالنسبة لمن هو خارج المهنة، تعتبر الصحافة ومبادئ الأخلاق خلطة متنافرة ومتناقضة. وحتى عند وضع المفهومين في جملة واحدة هنالك مخاطرة بدفع القارئ إلى الضحك والسخرية.

وبالنسبة للصحفيين العاملين في صحف الإثارة الشعبية ("التابلويد"، التي تصدر بنصف الحجم العادي) تعتبر مبادئ الأخلاق عموما غير ذات صلة. فالمحررون، المعرضون لضغط المنافسة الشديدة على اجتذاب القراء، يطالبون الصحفيين والمراسلين بتجاوز حدود المبادئ الأخلاقية؛ والمنافسة بين هؤلاء تشجع بعضهم على الموافقة. أما إلقاء محاضرات عليهم حول المبادئ الأخلاقية فأمر لا جدوى منه، كمطالبة البحارة بالتبتل عند وصولهم إلى الميناء بعد قضاء ستة أشهر في عرض البحر.

أما بالنسبة للصحفيين العاملين في الصحف الرصينة، حيث هناك إجماع كامل حول الأخلاقيات المهنية الأساسية، فتعتبر المبادئ الأخلاقية بمثابة قواعد للسلوك المبدئي يجب أن يلتزموا بها جميعا، أو على الأقل أن يشعروا بالذنب عند الخروج عليها. ومن النادر - بل من المستحيل - أن يطلب منهم ذلك.

لكن الظروف الشخصية تفرز تجارب وخبرات تجعل من الصعب تمييز وإدراك مختلف المبادئ الأخلاقية المستخدمة باعتبارها شيئا واحدا، وينطبق ذلك على الجانب الأخلاقي أكثر من جميع جوانب المهنة الأخرى. أما السبب فهو أن هذه المبادئ، كما تمارس فعلا، مشروطة بالثواب والعقاب في أي صحيفة، أكثر من اشتراطها بالأخلاق. على سبيل المثال، تقدر قيمة الصحفي، وأجره، وترقيته في صحف الإثارة الواسعة الانتشار في بريطانيا (أو الوكالات التي تخدمها)، تبعا لعدد القصص المثيرة، وربما الاقتحامية والمغيرة، التي كتبها. ولا تطرح أسئلة عديدة حول كيفية الحصول عليها أو درجة المبالغة فيها. وفي الحقيقة، فإن المسؤولين في أقسام الأخبار، أو كبار المحررين، غالبا ما يحددون لمراسليهم الخط الذي يريدونه، بغض عن أي تحفظات يبديها هؤلاء. ولا مكان للرجل المثالي هنا. على الطرف النقيض من ذلك، يحكم على المراسل - في الصحيفة الأمريكية التي تحتكر الأخبار والمعلومات، وتشارك مصادرها وقراءها المدينة نفسها - ويكافئ تبعا لمعيار مختلف، حيث تلعب المبادئ الأخلاقية دورا أكبر بكثير في حياته.

العامل الرئيس الذي يحدد - في نهاية المطاف - ماهية المبادئ الأخلاقية الممارسة فعلا هو المنافسة. في حالات الاحتكار، تعلم الصحف بأنه لا يوجد منافس يسرق منها السبق الصحفي، وليس لدى القارئ من بديل يلجأ إليه - باستثناء مقاطعة الصحف كلها. إن غياب المنافسة يمنح الصحفيين "استرخاء" أخلاقيا مترفا يجعله قادرا على المطالبة معايير أكثر مثالية للأخلاقيات المهنية. أما في السوق التي تشتد فيها المنافسة وتسودها ثقافة الجسارة والإقدام، فإن المانع الوحيد أمام ما ستفعله الصحيفة للحصول على القصة، أو نشرها حالما تحصل عليها، فهو احتمال إزعاج ومضايقة القراء، خصوصا إلى حد امتناعهم عن شرائها. عند ذلك فقط تصدر التعليمات إلى الصحفيين والمراسلين، ووكالات الأنباء الصغيرة التي تزودهم بالمعلومات، بأن الأوان قد حان للتوقف (ولربما بشكل مؤقت وحسب) عن سرقة الصور من المحزونين

والمفجوعين بفقد أعزائهم، واقتحام المستشفيات التي تعالج فيها الشخصيات الشهيرة، ونشر صور أطفال الأسرة المالكة في لحظات حميمة، وإدانة جمعية أو مجتمع محلي بتهمة ممارسة العنف دون بينة كافية.. الخ. في صحف الإثارة الصغيرة الحجم (التابلويد) على وجه الخصوص، لا تأتي نوبات التمسك الدورية بالمبادئ الأخلاقية إلا من أصحاب الصحف الذين يعرفون تماما أن بمقدور القراء، أو هم على وشك، شراء صحيفة أخرى. أو أن الحكومة توشك على مقاضاة الصحيفة.

لكن للصحفيين سلطتهم أيضا. فهم ليسوا مجرد كائنات مجبرة وخاضعة للصحف التي يعملون فيها؛ بل يملكون القدرة على الاختيار. ومثلما يستطيع القارئ التوقف عن شراء الصحيفة، يمكن للصحفي تغيير صحيفته. بمقدوره أن يقرر بأن هناك أمورا لن يفعلها، ويصمم على ترك العمل في هذه الصحيفة - إما سرا، بعد العثور على وظيفة في صحيفة أخرى، أو علنا، في فورة "أخلاقية فاضلة" من السخط والنقمة. ولو زاد عدد من يلجأ إلى هذا الأسلوب منا، وتمكنا من توضيح السبب وراء ذلك، لأصبحت الصحافة أفضل حالا.

هذا العنصر من الخيار الأخلاقي، الفاصل والمميز بين السلوك الذي تنتظره منا الصحف العاملة تحت ضغط العوامل التجارية، وبين السلوك النابع من خيارنا، يفسر السبب الذي يجعل للمبادئ الأخلاقية غرضا يوميا - أو بالأخرى، غرضين اثنين. أولا، إيجاد نوع من البوصلة الأخلاقية، تشير إلى مدى انحرافنا عن المسار المطلوب والمرغوب. على قدر علمي، يمكن العثور على الشمال المغناطيسي لمهنتنا في عبارات وجمل العقد غير المكتوب الذي يجب أن يوقع بين الصحيفة وقرائها:

- كل قصة في الصحيفة هي نتيجة قرارات متحررة من الضغوط السياسية والتجارية وغير التجارية.
- لا تنشر أي قصة بدافع المحاباة أو طمعا بالمال.

- كل القصص والأخبار مكتوبة ومحررة على أساس الاستقصاء الحر، ومنتقاة ومختارة للنشر تبعا لأهميتها بذاتها، بغض النظر عما إذا كانت واقعية أو متخيلة.

ثانياً، توفر المبادئ الأخلاقية دليلا هاديا عمليا لإنتاج صحافة آمنة وسليمة وجديرة بالتصديق. التعامل النزيه والابتعاد عن صراع المصالح، يمثلان بصدق أفضل الطرق وأكثرها أمانا لأداء العمل الصحفي. وهما كفيلان، على المستوى الأساسي، بتجنيب الصحفي دعاوى المحاكم ومساعدته على النوم الهانئ في الليل. وبرغم المخاطرة بالتسبب بصدمة للمراسلين الأكثر فظاظة وابتذالا، تمثل المبادئ الأخلاقية أكثر الطرق أدبا ولياقة لأداء العمل الصحفي، حيث تزودنا بالمواقف، تجاه القراء (والمصادر)، التي تعتمد على شيء من الحساسية ومراعاة مشاعر الآخرين الإنسانية، بدلا من مجرد الحسابات التجارية الماكرة.

من هذا المنظور، لا تعتبر المبادئ الأخلاقية مجرد إضافة اختيارية، بل هي جزء لا يتجزأ من جوانب العمل الصحفي كافة. لذلك يتعامل معها هذا الكتاب كما تمارس فعلا - في التعامل مع المصادر، وطرح الأسئلة، والكتابة.. الخ - وليس كعنصر نظري منفصل ومنعزل عن الفعل الإجرائي الحقيقي. لكن هناك بعض المبادئ العامة التي جرى تجميعها معا في هذا الفصل.

دلائل إرشادية عامة

على الصحفيين خدمة صحيفتهم وقرائهم فقط

إن أردت أن تكون بوقا دعائيا، اترك الصحافة واعمل في العلاقات العامة، أو السياسة. أما الصحفي فلا يدين بولائه لا لحزب سياسي، ولا مصدر، ولا مصلحة تجارية، ولا مصلحة غير تجارية، ولا قضية محددة، مهما كانت تستحق الولاء والإخلاص. من الصعب الوصول إلى صحافة متوازنة حتى

بدون صراع المصالح هذا. صحيفة "واشنطن بوست" تبنت مثلا مبدأ يؤكد على منع صحفييها من الانخراط في أي نشاط سياسي، وهذا يشمل المشاركة في المظاهرات. ولذلك، حين اكتشفت أن عددا من مراسليها قد شاركوا في مظاهرة تؤيد الحق بالإجهاض، منعتهم من تغطية أي حدث يتصل بقضايا الإجهاض.

الأخطار الناجمة عن السماح بالتحمس "التبشيري" لقضية معينة بتلويث التقارير الصحفية بعدواه، واضحة لا لبس فيها. ومن أشهر النماذج على ذلك، والتر ديورانتي، مراسل "نيويورك تايمز" في موسكو في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي. فقد كان مبهورا بأيديولوجية الاتحاد السوفييتي الجديد لدرجة أن تقاريره كانت مجرد دعاية فجة في أغلب الأحيان. ففي ذروة المجاعة التي أصابت أوكرانيا (واتهم الغرب ستالين بالتخطيط لها لتحطيم المقاومة المحلية للسيطرة السوفييتية)، كتب ديورانتي مثلا عن "أسواق القرى المتخمة بالبيض، والفواكه، والدواجن، والخضار، والحليب، والزبدة"، التي تباع بأسعار أرخص من موسكو. وأضاف: "بمقدور كل شخص أن يرى بأن هذه ليست مجاعة بل وفرة"؛ ومنحته لجنة بوليتزر الجائزة، لعدم وجود منافس أفضل. في الحقيقة، توفي ملايين الناس، وعرف ديورانتي ذلك حق المعرفة، فقد كان يبلغ زملاءه سرا أن عدد الضحايا يقارب عشرة ملايين باعتقاده. أما مالكوم مغريدج، مراسل صحيفة "مانشستر غارديان" في موسكو آنذاك، فقد دعاه "أكبر كذاب عرفته من بين جميع الصحفيين".

ينبغي على كل قصة أن تكون بحثا صادقا ونزيها عن الحقيقة

كل قصة يجب أن تكون محاولة منفتحة وواسعة الأفق لاكتشاف ما حدث فعلا، مترافقة باستعداد ورغبة بنشر تلك الحقيقة مهما كانت جارحة ومناقضة للمعتقدات التي نؤمن بها نحن أو صحيفتنا. لذلك، يجب على الصحفيين رفض قبول العمل الذي يسعى لتدعيم وجهة نظر معينة ضد البينة والدليل، أو كتابة تقارير تستهدف تعزيز نظرية متبناة بشكل مسبق.

لربما تظن أن ذلك أمر بدهي لا يحتاج حتى لأن نذكره. لكنك تستطيع كل يوم قراءة تقارير تشوه وتحرف الحقائق لتواءم أطروحة معينة. ومن أسوأ الأمثلة التي ما زالت عالقة في الذاكرة ما فعلته صحيفة "صن" أكثر الصحف البريطانية اليومية انتشارا ومبيعا. فقد اقتنع رئيس تحريرها آنذاك، لأسباب لا يعرفها إلا هو، بأن الإيدز مرض لا يصيب سوى مدمني المخدرات والمثليين فقط. وفي عدة مناسبات جرى التلاعب بالإحصائيات الحكومية عن سابق إصرار وتصميم لدعم وجهة النظر هذه. أما المناسبة الفاضحة فكانت حين نشرت الصحيفة تحقيقا بعنوان "مسؤول حكومي: ممارسة الجنس الطبيعي يقيك من الإيدز"، ورد فيه، من بين الأشياء السخيفة الأخرى، أن فرص الإصابة بالإيدز من ممارسة الجنس الطبيعي [مع الجنس الآخر] "معدومة من الناحية الإحصائية. وكل ما عدا ذلك دعاية للشواذ والمثليين". في نهاية المطاف، دفعت الاحتجاجات العنيفة الصحيفة إلى الاعتذار – لكنها نشرته في أسفل الصفحة 28!

هذه الحالة، وهي ليست معزولة أو نادرة، مثلت تقريرا صحفيا خدع القراء، ولربما عرضهم للخطر. ولذلك، فإن النظريات المتبناة مسبقا لا مكان لها في مهنة الصحافة. وعلى الصحف خوض المعركة ضد العقول المغلقة، وليس استخدامها أو توظيفها.

ينبغي مقاومة كل الدوافع التي تغري بالنشر

هذا لا يشمل المال والهدايا فقط، بل الوعود بالحصول على المزايا أو الترقيات. وهو يعني على نحو خاص أمرين اثنين. أولا، الدعاية الخفية، حيث يحصل الصحفيون أو صحفهم على المال مقابل نشر كتابات تروج لشركات أو أشخاص، وتظهر في المقالات والافتتاحيات على شكل قصص عادية. في السنوات الأخيرة، أصبحت هذه الممارسة واسعة الانتشار في بلدان مثل روسيا. صحيح أن بمقدورنا تفهم إغراء كتابة دعايات خفية في أماكن تنخفض

فيها أجور الصحفيين، لكن ذلك لا يجعل منها صحافة. بل هي دعاية، علاقات عامة، تقريظ مبالغ فيه، خداع وغش وتدليس مضر (أو سمه ما شئت) تحت قناع الصحافة. فهو ينقض، أولا، العقد الأساسي مع القراء، حيث لا تنشر القصص والتقارير والتحقيقات، التي تدعي أنها مقالات عادية، إلا بدافع المال. ثانيا، يدمر مثل هذا الخداع الثقة التي يجب أن توجد بين القراء والصحف. ثالثا، تدفع الممارسة المحررين إلى التشكيك بأمانة صحيفتهم ونزاهة مراسليهم، والاشتباه بتلقيهم رشاوى للكتابة حول شركة معينة، بينما يجب أن تكون تقاريرهم وتحقيقاتهم وقصصهم أمينة ونزيهة. رابعا، سوف يستخدم المحررون والناشرون، مثل أصحاب الفنادق الذين يدفعون للندل مرتبات متدينة بسبب "البقشيش" الذي يتقاضونه، الدعاية الخفية كذريعة تبريرية لعدم دفع أجور مناسبة للصحفيين. خامسا، الممارسة ترسخ الظن بأن الصحفيين الذين يلجؤون إليها على استعداد "لتأجير" أقلامهم وعقولهم مقابل المال. ما الذي سيكتبون عنه مقابل المال في المرة القادمة؟ تحقيقات تحابي العصابات والمجرمين؟ استبعاد التقارير التي تفضح الأفعال المسيئة والأخطاء؟ كل ذلك لا يبعد إلا بمقدار خطوة عن جمع المعلومات بهدف بيعها والتهديد بما قد تسببه من خراب ودمار وقمع. بكلمة أخرى: الابتزاز.

(كيلا يظنن أحد أن هذه خطة بارعة ومبتكرة لجمع المال، نورد المثال التالي عن ناشر أمريكي يدعى روبرت هاريسون كان "سباقا" في هذا المجال من خلال مجلة "كونفيدنشال" التي صدرت في خمسينات القرن الماضي. المجلة تخصصت في فضائح هوليود، ومن خلال دفع مبالغ مالية كبيرة للحصول على المعلومات والأسرار، حصل هو ومحققوه على كثير من التفاصيل الحميمة لحياة النجوم الخاصة. كانت كل قصة تنشرها معدة ومدروسة بعناية، ولم يهتم موظفو هاريسون بالأساليب والوسائل في سبيل الغايات. فقد اعتادوا استئجار العاهرات للإيقاع بالضحايا، وتسجيل وتصوير اللقاءات والاعترافات. زادت مبيعات "كونفيدنشال" لتبلغ في نهاية المطاف أربعة ملايين نسخة. لكن

سرعان ما ثبت أن إغراء بيع الصور الفوتوغرافية السلبية (النيجاتيف)، وأشرطة التسجيل، وغيرها من الأدلة إلى النجوم الأثرياء، بالغ القوة. وحدث المحتوم: انتحرت إحدى الموظفات في المجلة، وأطلق رئيس التحرير الرصاص على نفسه وعلى زوجته في سيارة أجرة في نيويورك، وباع هاريسون المجلة، وضاع الاثنان في غياهب النسيان).

الدعاية الخفية (التي يجب أن تدعى باسمها الحقيقي "دعاية"، وتعامل عند نشرها تبعا لذلك) نادرة جدا في البلدان المتقدمة. أما الممارسة الأكثر شيوعا فهي قبول الصحفيين بما يدعونه "الخدمة المجانية"، أي جولات مجانية وترفيهية من شركات تنظيم الرحلات والعطلات، ووجبات مجانية من المطاعم، أو تذاكر مجانية من المسارح، تقدم كلها للصحفيين الذين يكتبون عنها. الخطورة هنا تكمن في شعور الصحفي بأنه ملزم بكتابة مقال إيجابي. لكنه في الحقيقة ليس مضطرا لذلك، ويمكن تقليص الخطر إلى حد الأدنى، والمحافظة على الثقة مع القارئ من خلال الإشارة بوضوح، في مكان ما من المقالة أو في الهامش، إلى أن تذكرة/ رحلة/ وجبة قد قدمت مجانا للصحيفة.

يجب على الصحفيين عدم السماح للدعاية بممارسة تأثير، مباشر أو غير مباشر، في مضمون وتوجه الصحيفة

ليس من الأمور غير العادية، خصوصا بالنسبة للصحف الأصغر حجما والأقل ربحا، أو المحلية، أن يحاول المعلنون استخدام ثقلهم التجاري للتنمر عليها وترهيبها. لكن ينبغي مقاومة هذا الضغط دائما وأبدا. وهو يأتي عادة من قسم الإعلانات في الصحيفة الذي يبلغ رئيس التحرير بأن من المفيد أن يحظى هذا العميل المهم بـ"تغطية جيدة" لنشاطه. قبيل بضع سنين، نشرت صحيفة "ريفرسايد برس - انتربرايز" (التي تصدر في كاليفورنيا) إحدى عشرة مقالة واثنتين وعشرين صورة فوتوغرافية لمتجر جديد متعدد الأقسام اسمه "نورد ستروم" في مدة ستة أيام، خلال وبعد افتتاحه مباشرة. وظهرت

هذه الأعمدة (التي بلغت مساحتها الإجمالية 400 بوصة) في الأسبوع ذاته الذي نشرت فيه إعلانات للمتجر في عشرين صفحة كاملة. هل هي مصادفة؟ يستبعد ذلك.

في حالات أقل شيوعا، تعمل مجموعات من المعلنين بطريقة منسقة ومتناغمة لمحاولة إجبار الصحيفة على تغيير تغطيتها للأحداث. وحين استلمت منصب رئيس تحرير إحدى الصحف البريطانية المحلية، كان من أول الأشياء التي قمت بها إيقاف التقارير "الآلية" حول دعاوى السرقات من المتاجر لأنها منتشرة ومكررة إلى درجة السأم. وبخلال أسبوع، أبلغ جميع أصحاب المتاجر في المدينة الناشر بأنهم سيسحبون إعلاناتهم (وكانت ضخمة) إذا لم تستأنف الصحيفة نشر لتقارير عن سرقات ولصوص المتاجر. وقالوا إن التغطية شكلت رادعا لمن يفكر بالسرقة. من حسن الحظ أن الناشر دعم رأيي. ولم ينفذ المعلنون تهديدهم.

إن خطر الاستسلام لضغوط المعلنين، أفرادا وجماعات، يتمثل في إضعاف قدرتك على اختيار مضمون مقالاتك وتحقيقاتك بشكل حر. ولسوف تجد أيضا أن ما يمنح لمعلن سوف يطالب به كثيرون غيره. وما إن تذعن مرة، حتى يستحيل عليك التحرر من الضغوط.

لا تستخدم موقعك للتهديد أو للحصول على المزايا

يتمتع الصحافي بالقوة والنفوذ. ولا يجب أبدا إساءة استخدامهما، لا في مسار ما يكتبه، ولا في مجرى حياته اليومية. إن اللجوء في النزاعات الشخصية مع الآخرين إلى أسلوب التهديد بفضح أسرارهم أو نقلها إلى مسؤولين نافذين تعرفهم، لن يكون سوى تنمر وترهيب، ومن النوع الخطر أيضا. فكيف تستطيع كتابة تحقيق أو قصة في المستقبل عن شخص (أو مؤسسة) تعرض لتهديدك بهذه الطريقة؟ كيف يمكنك أن تكتب حول المسؤول الذي استخدمته في تهديدك؟ لسوف تظل مدينا له. لا تستخدم أوراق

صحيفتك (التي طبع اسمها عليها) لكتابة رسالة تطالب فيها بمعاملة تفضيلية، أو بتعويض عن إهمال مزعوم أو خدمة سيئة. فهذا يعني ضمنا للمتلقي أن صحيفتك توفر نوعا من الحماية الخاصة وغير الشريفة لموظفيها.

لا تقدم الوعود بتهميش وكتمان القصص من أجل الصداقة أو الحظوة

يحدث أحيانا أن يطلب منك أحدهم أن "تنسى" قصة ما، أو جزءا منها، مقابل مكسب أو حظوة، أو حتى المال. من الواضح أن قبول مثل هذه العروض خطأ فادح، تماما ككتابة قصة للحصول على هذه المزايا. حين يشمل الأمر أصدقاء لك، قد يكون التعبير عن الرفض أكثر صعوبة، لكن يجب أن يكون على القدر نفسه من السرعة والحسم. ولا تختلف الحال مع الزملاء، مثلما تبين القصتان التاليتان.

الأولى تأتي من اوريغون في الولايات المتحدة، حيث ذكرت إحدى محطات التلفزيون المحلية في تقرير لها قبل بضع سنين أن مدير موظفي ممثل الولاية الجمهوري في مجلس الشيوخ الذي بقي يشغل المنصب مدة طويلة، عمل مدة خمسة وعشرين عاما كمدير لمصرف انهار وكلف إنقاذه دافعي الضرائب الأمريكيين مائة مليون دولار. وكانت هنالك دلائل تشير إلى أن منصب الرجل في المصرف ربما أثر في موقف عضو مجلس الشيوخ حول خروج المصرف على الأنظمة والقواعد وعملية الإنقاذ اللاحقة. القصة نقلتها وكالة اسوشييتد برس وغدت حديث الناس في الولاية، لكن الصحيفة الرئيسة فيها، "اوريغونيان"، اختارت تجاهلها. كما أغفلت المزاعم التي ظهرت بعد أسبوع وأشارت إلى أن رحلات مدير الموظفين الرسمية، على نفقة دافع الضرائب، قد شملت 52 رحلة إلى نيويورك، حيث أصدر كتيبا إرشاديا سنويا حول المدينة كسب منه أكثر من مليون دولار.

تردد الصحيفة في نشر القصة ربما كانت له علاقة بحقيقة أن المدير يكتب عمودا أسبوعيا لها. وفي نهاية المطاف نشرت أجزاء من القصة بعد أن فضحتها صحيفة "واشنطن بوست" على المستوى الوطني.

لنقارن كل ذلك مع صحيفة تدعى "ديلي ايتم" تصدر في سودبري (بولاية بنسلفانيا). فمن بين التحقيقات والتقارير اليومية التي تنشرها من ملفات الشرطة (في عدد واحد)، هناك رواية لم تخضع لأي رقابة حول تهم وجهت لأحد مواطني البلدة بسبب قيادة السيارة بسرعة خطرة تحت تأثير الكحول. وشملت الرواية اسم الرجل، وعمره، وعنوانه، ومهنته - رئيس تحرير "ديلي ايتم". فأي صحيفة ستنال ثقة القارئ: "ديلي ايتم" أم "اوريغونيان"؟

لا تلفق أو تحسن المعلومات

تلفيق المعلومات عملية خطرة كما هو واضح. كذلك هو التحريف البسيط والتعديل الطفيف للوقائع، أو تنميق الحقائق، أو تناسي بعض التفاصيل المعينة التي لا تناسب موضوع وهدف القصة. في هذه الحالة سيكون تقريرك عبارة عن غش وخداع. وهذا ينطبق - بالقوة نفسها - على المصورين، وعلى "فبركة" الصور، حيث تعرض حدثا أو حالة تحاكي الواقع المزعوم.

وعرف أيضا عن بعض مصوري الأخبار في أوروبا الغربية أنهم يحملون في سياراتهم بعض "المؤثرات الدعائية" لإقحامها في الصور. وأشهرها حذاء طفل أو لعبة على شكل دب، فإذا ذهبوا لتغطية الكوارث، مثل اصطدام قطار أو تحطم طائرة، دسوا هذه "المؤثرات" بين الحطام لكي تبدو الصورة "مثيرة وشجية". أصبحت هذه الأساليب مبتذلة الآن، علاوة على أن هناك خطرا على الدوام يتمثل في أن قائمة المسافرين، حين تكشف في النهاية، لا تضم أي طفل! الأكاذيب المتعمدة التي تزيف الواقع، أو على الأقل تلك التي اكتشفت منها، أصبحت نادرة جدا. ولربما يكون أشهر مثال حديث على ذلك قصة جانيت كوك في صحيفة "واشنطن بوست" التي فازت بها بجائزة بوليتزر. القصة كانت بعنوان "عالم جيمي"، وتدور حول صبي في الثامنة مدمن على الهيروئين. لكن جيمي لم يكن له وجود، فالقصة ملفقة من البداية إلى النهاية. وحين افتضح زيفها، رأت "واشنطن بوست"، بحكمة متأخرة، أن هناك العديد

من الإشارات التحذيرية. فقد راودت الشكوك بالقصة بعض العاملين في الصحيفة مثلا، لكنهم إما فضلوا الصمت، أو اعتقدوا أن القصة "مثيرة إلى حد يوجب عدم التحقق من صحتها". هذا الموقف "المهلك" صحفيا تلقى التشجيع من تحذيرات كوك من أن حياتها (وحياة جيمي) ستتعرضان للخطر لو جرى التحقق من صدق القصة. ولم يفكر أحد بالتدقيق في أوراقها الثبوتية. فقد زعمت أنها خريجة "فاسر"، وتحمل شهادة الماجستير من "توليدو"، ودرست في "السوربون"، وكانت عازفة بيانو بارعة وتتحدث أربع لغات. ولم يشتبه المحررون بأن شابة في الخامسة والعشرين لا يمكن أن تتمتع بكل هذه الخبرات والمؤهلات. ومن المفارقة أن من بين هؤلاء المدراء، بوب ودوارد بطل "ووترغيت".

ينبغي أن لا تحقق مكسبا شخصيا من المعلومات التي حصلت عليها

يعتبر استخدام المعلومات لتحقيق مكسب تجاري قبل نشر القصة إغراء يواجهه على الأرجح المراسلون المتخصصون في التجارة والأعمال. قبل بضع سنين، شارك مراسل لصحيفة "وول ستريت جورنال"، يدعى فوستر وينانز، في كتابة عمود اعتمادا على معلومات مستقاة من مصادر تتاجر بالأسهم. وقرر بيع المعلومات إلى أحد السماسرة من أصدقائه.

تلقى مبلغ 31000 دولار لتسريب مضمون العمود لعدد من السماسرة، الأمر الذي مكنهم من شراء وبيع أسهم في بعض الشركات قبل أن تذاع هذه المعلومات، وتؤثر بالتالي على سعرها. وكسب الوسطاء حوالي 690 ألف دولار من المعلومات المتسربة. في نهاية الأمر، ألقي القبض على وينانز والسماسرة وأدينوا في المحكمة بانتهاك قانون تبادل الأسهم والسندات من خلال استغلال المعلومات السرية لمصلحتهم الخاصة. حكم على وينانز بالسجن ثمانية عشر شهرا، ووضعه تحت المراقبة مدة خمس سنوات، وبالعمل في الخدمة الاجتماعية 400 ساعة، وبغرامة مالية قدرهما 500 دولار، ولذلك فإن العديد

من الصحف الغربية تفرض الآن على الصحفيين والمراسلين العاملين في الشؤون المالية إعلان استثماراتهم وتعاملاتهم المالية.

المناطق الرمادية

القضايا الآنفة واضحة المعالم لا لبس فيها. لكن العديد من المسائل الأخرى في كتابة التقارير الصحفية تعتبر أكثر تعقيدا. ومن الصعب صياغة وتطبيق قواعد وأنظمة عاجلة وصارمة في هذا المجال. لنأخذ على سبيل المثال الأسماء المزيفة لكتاب المقالات. هنا، يصبح الخطأ صريحا إذا استخدم بشكل روتيني لإعطاء الانطباع بأن عدد المحررين يتجاوز الحقيقة بأضعاف مضاعفة، لكن الممارسة تصبح أقل ضررا بكثير حين يستخدمها المحررون الرياضيون مثلا لإخفاء هوية مراسلين يعملون في صحيفتين (صباحية ومسائية) لتغطية الأحداث لأخرى تصدر يوم الأحد. ونظرا للزعم بأن القصة كتبت من قبل صحفي لا وجود له، اعتبر أسماء الكتاب المزيفة خداعا وغشا. والممارسة غير آمنة على وجه الخصوص حين يتحدى أحدهم صدق القصة، أو تصل إلى المحاكم. فمن يتقدم للدفاع عنها في المحكمة؟ ممثل ينتحل اسم المراسل الوهمي؟!!

الخصوصية

جرت محاولات عديدة للتشبث الصارم والتزمت بالخصوصية، لكن لا يمكن لأي منها تجاوز أكثر الأمثلة والنماذج بساطة. فنحن نتفق جميعا على أنه إذا تصرف رئيس الدولة بطيش وعبث و"غازل" موظفة شابة في مكتبه، فإن كتابة قصة حول ذلك سيكون أمرا مشروعا. وحين يطلب منا شخص التصويت له في الانتخابات (ويطالب بضرائبنا لدفع راتبه)، فإن من حقنا أن نعرف شيئا عنه، عن حياته وكيف تؤثر في أدائه لواجباته. من ناحية أخرى، لن تقبل سوى قلة قليلة من الناس كتابة قصة عن موظف وموظفة تجمعهما علاقة عاطفية. فالحياة "الجنسية" للمواطنين العاديين، مهما كانت مثيرة ومغرية، لا تعتبر

هدفا مشروعا للقصص والتحقيقات الصحفية، إلا في حالة مخالفة القانون. لكن يكمن بين هذين الحدين المتطرفين، بكل ما يفصلهما من حالات أقل وضوحا وتحديدا، مسافة واسعة نجادل فيها حول الخصوصية.

الدليل التقليدي والمنطقي، هو أن يكون المستهدف شخصية عامة شهيرة، وانتهاك خصوصيته مبررا قانونيا على أساس المصلحة العامة، لا مجرد دغدغة فضول الجمهور. فإذا بالغ مرشح لشغل منصب عام في الحديث العلني عن الأخلاق وفضائل الحياة الأسرية، وكان بمقدورك إثبات حقيقة أن له العديد من العشيقات، فإن من الصواب نشر القصة. ازدواجية معاييره هنا تتصل اتصالا بينا بالحياة العامة.

هنالك مشكلتان اثنتان في هذا المبدأ التقليدي. أولا، إذا اعتقدت الصحيفة أن القصة ممتعة ومسلية، أو ماجنة وداعرة بما يكفي، فإن من الممكن تسويغ أي ذريعة بحجة "المصلحة العامة". ثانيا، تنزع التبريرات لأن تطبق بطريقة الموالاة والتحزب: حيث تدافع الصحف عن خصوصية الذين تؤيدهم وتنتهك خصوصية من تسعى لتدميرهم.

يكمن جزء من الجواب في أكثر الصفات والسمات بعدا عن الصحافة تقليديا: الحساسية. إذ ينبغي أن يكون لدى الصحفيين أسباب وجيهة لانتهاك خصوصية شخص معين، وأن يدركوا عواقب وتبعات الكتابة حول حياته الخاصة. قبل بضع سنين، أقام شرطي بريطاني علاقة غرامية غير مشروعة. علمت زوجته بالأمر واستحثته على قطع العلاقة مع عشيقته. لكن العاشقة الغيورة أبلغت الأمر إلى إحدى الصحف، فنشرت روايتها تحت عنوان عريض: "الحياة الغرامية لمحقق". ونتيجة لذلك، تعرض طفل الزوجين إلى مضايقات في مدرسته، واستقال الزوج من عمله، واضطرت العائلة للرحيل. لربما يعتقد بعض الناس أن المحقق نال العقوبة العادلة على ذنبه. لكنني لا أرى ذلك، ولا أحب تبرير نشر ذلك التقرير.

مخالفة القانون

ثمة حالة أقل شيوعا تظهر حين يتورط الصحفي في تصرفات مسيئة في سبيل التحقيق في قضية ما. في الحقيقة، ينبغي عليه تجنب ذلك، فمخالفة القانون عند السعي وراء قصة خطأ وخطر في آن معا. وهي تجرد التقرير أو التحقيق من أي مشروعية أخلاقية كان سيتمتع بها لولاها.

في بعض الأحيان، يتوصل المراسلون الذين يحققون في قضايا تتعلق بتجارة المخدرات، أو الجريمة، أو الدعارة، إلى معلومات يجب إبلاغها إلى الشرطة مباشرة. أعتقد أن عليك أن تفعل ذلك. وإلا فأنت تضعف مشروعية مهمتك، ولربما تعرض حياة مواطنين أبرياء للخطر. الشرطة وحدها - وليس أنت - هي المخولة للحكم في هذا الأمر (تنطبق هذه الحالة المتعلقة بسلامة المواطنين على الأوضاع التي يتهم فيها الصحفيون بالوقوف موقف المتفرج في الكوارث أو الحروب دون أن يفعلوا شيئا لمساعدة أولئك المعرضين للخطر. القاعدة التي اتبعها هي: إذا استطعت ممارسة أي تأثير في نتيجة الوضع، عليك اتباع دوافعك الغريزية ومد يد العون للآخرين).

"لا تقبل تذكرة مجانية من مدير مسرح، ولا هدية مجانية من غرفة التجارة، ولا معروفا من سياسي".

هـ. ال. مينكين

14

الكتابة للصحف

"أهم موهبة بالنسبة للكاتب امتلاكه كاشف ضمني للهراء مقاوم للصدمات".

ارنست هيمنغواي

الكتابة الصحفية ليست أدبا، فهي تختلف عن كتابة رواية أو قصة قصيرة. ومع ذلك، لا تصل إلى درجة الاختلاف التي قد يظنها بعضهم أو يرغبها. إذ تجمع كل أنواع الكتابة الجيدة بعض العوامل المشتركة: الوضوح، سهولة القراءة، استخدام اللغة الحية "الطازجة"، الحث والتحفيز والإمتاع. هذه العوامل تنطبق على القصة الصحفية الجيدة مثلما تنطبق على الرواية الأدبية الجيدة. وذلك بغض النظر عن اللغة المستخدمة.

والآن إلى الخبر السيئ. تعلم الكتابة عمل صعب وموحش. كلنا نعرف أشخاصا يقولون إنهم يريدون الكتابة. لكن ما يريدونه غالبا هو التباهي بأنهم كتاب. أما ما يرغبون عنه فهو الجلوس على كراسيهم إلى أن يملؤوا صفحة ورق أو شاشة كمبيوتر. هذا ما ينبغي عليك فعله، مرات عديدة. والطريقة التي تحسن وتطور بها ما تملكه من موهبة هي أن تكتب مئات ومئات من القصص والمقالات وترتكب أخطاء. تترك الأمور المهمة لتضيف تلك التي لا تتصل بموضوعك، تكتب نصف مقالة، ثم تدرك أنك أخطأت وعليك أن تبدأ مجددا،

تجد الأسلوب سمجا، أو مغاليا في التفاخر والتميق، أو جامدا وعسيرا، وتكتشف أن عملك مشوش ومربك أو مبتذل ومكرر، فتقرأ فقرات كاملة على قدر من السخف بحيث تشعر بالإحراج.

الآن، الخبر السار. بعد مدة، ونتيجة متابعة الصحف الجيدة، والاستماع، والقراءة، ودراسة المقالات والتحقيقات الجيدة والسيئة، تصبح ناقدا صارما لذاتك، وتبدأ برؤية السبيل. ما زالت هناك فترات تتطلب فيها وقتا طويلا لكتابة موضوع. لكن على وجه العموم، كلما زاد حجم ما تكتبه، زاد أسلوبك سلاسة ورشاقة. الكتابة مثل العضلة، تقوى بتمرينها وتدريبها كل يوم؛ لسوف يتقلص الوقت الذي تهدره في البدايات الفاشلة أو الخاطئة، وفي طرق السبل المسدودة، وكتابة قصص بإيقاع لا يناسب الحجم الذي يجب أن تأخذه، وستقتصد في الطاقة التي تصرفها على محاولة التفكير بعبارة منمقة معقدة في موضع من الأفضل أن تستعمل فيه جملة بسيطة.

وتجد ذلك الشيء المهم الذي لا يمكن بدونه أن تدعو نفسك كاتبا - صوتك. لسوف تتوقف عن تجريب أسلوب المبالغة والإطناب والإسهاب، المغالي في الفصحى أو العامية. وبدلا من ذلك ستتبنى أسلوبا طبيعيا معتدلا يناسبك، أسلوبا متسقا له إيقاع منتظم يميزك وتعابير عليها بصمتك، وإذا ما تلي جهارا - وهذا اختبار حاسم الأهمية - سيبدو نسخة (مرتبة قليلا) من كلامك. سوف يكون أسلوبك الخاص المميز. ليس متكلفا، ولا متصنعا، ولا مستعارا. بالطبع سوف يدين بشيء ما للكتاب الذين تعجب بهم، ولخلفيتك وتاريخك، وتعليمك، وقراءاتك ومطالعاتك.. الخ. لكنه سيكون أسلوبك أنت - كلماتك ومصطلحاتك، أنماطك لطول الجملة وإيقاعك داخلها. سيكون مثل توقيعك، لكنه مقروء بوضوح أكبر.

التخطيط

أهم مراحل الكتابة تلك التي تحدث داخل رأسك، أي تلك الممتدة بين اكتمال بحث ودراسة الموضوع وكتابة أول كلمة على الورق. عليك أن تفكر

بمادتك وتقرر ماهيتها وما الذي تريد أن تفعله بها. الإنشاء لا ينحصر فقط في ترتيب الكلمات، بل يمتد ليشمل ترتيب وتنظيم الأفكار. وليس من المهم مدى براعتك في استحضار العبارات الساحرة أو الجمل الملونة أو الملاحظات الذكية؛ فإن لم تتشكل لديك فكرة واضحة عما تريد قوله فسيظهر ذلك ولن يخفى على أحد.

يسهل تطبيق كل ما ذكرنا على بعض الأحداث الكارثية، أو القصص الإخبارية القصيرة والمباشرة، لكن الصحافة ليست كلها كذلك. إذ يمكن للقصص الإخبارية أن تكون معقدة، وتفتقد القوة التي ترغبها، أو طويلة تغطي العديد من الجوانب والملامح المختلفة، أو تكلف بكتابتها دون أن تتأكد من قدرة موضوعها على إثارة اهتمام القارئ. عندها، عليك أن تفكر بعمق بموضوع القصة، الذي لا يتضح بشكل فوري في بعض الأحيان. فمقالة حول رجل يجمع/ ويحتفظ (في شقته السكنية مثلا) بنوع غريب من الضفادع تعتبر موضوعا سطحيا من وجهة نظر علم البرمائيات، ولن تثير اهتمام معظم الناس بصورة آلية. لكنها تظل قصة تتناول الغرابة والشذوذ وكيف تستحوذ هواية على حياة بعض الناس (وبيوتهم). وهذا موضوع أشد إثارة من الضفادع.

الأمر الآخر الذي يجب عليك استنباطه وتفصيله هو معالجة القصة. هل تمثل خبرا يتناول موضوعا جديا أو حدثا رسميا؟ أم موضوعا خفيفا، يثير اهتمامات الناس غير الجدية؟ هل يجب رواية فصولها حسب الترتيب الزمني أم من خلال تغطية كل جانب على حده؟ جميع هذه الطرق المختلفة للتعامل مع القصة الإخبارية (وهناك المزيد منها) تؤثر في البناء والتركيب، في الإطار الرئيس الذي يجب أن تعرفه قبل أن تبدأ. في حالة القصص الإخبارية الخفيفة والبسيطة، يمكنك - ذهنيا - أن تخطط بسرعة لما تريد قوله والنظام الذي ستسير عليه. لكن مع المقالات الأكثر طولا وتعقيدا أنت بحاجة إلى خطة مكتوبة. لا تتردد أبدا في رسم خطة على الورق. فهذا ليس علامة على جهالة

غرير مبتدئ، بل دليلا على مسعى للكتابة بشكل صحيح. ولا ينبغي أن تكون مبالغة في التفاصيل - مجرد الدعامات الأساسية للقصة المنظمة، مع بعض الملاحظات حول طريقة وصلها معا.

سوف نفرد للبناء والتركيب فصلا كاملا (16)، وكذلك للمقدمة (15)، الفقرة الأولى البالغة الأهمية. والفصلان سيناقشان كيفية الاستحواذ على انتباه القارئ على الفور والاحتفاظ به طيلة المقال أو التقرير أو القصة – وهما (الاستحواذ والاحتفاظ) من المقومات الجوهرية للكتابة الجيدة. وهنالك، برأيي، ستة أخرى: الوضوح، اللغة الحية (الطازجة)، الأمانة، الدقة، المواءمة، الفعالية – وهي مواضيع هذا الفصل.

الوضوح

ينبغي أن تكون كل قصة واضحة في فكرتها، وتنظيمها، ولغتها. فإن افتقدت هذه السمات فهي بحاجة لإعادة تفكير أو إعادة كتابة. لست أنا فقط من يقول ذلك، الروائي الفرنسي ستاندال كتب ذات مرة: "أرى قاعدة واحدة وحسب: أن تكون واضحا. فإن لم أكن واضحا فإن عالمي بأكمله سوف يتصدع وينهار". أما الكاتب البريطاني هـ. جي. ويلز فقد عبر عن الأمر بطريقة أقل درامية: "أكتب بأسلوب مباشر، تماما كما أمشي، لأنه أقصر الطرق للوصول إلى الهدف". ولا ينطبق هذا على مجال أكثر من الكتابة في الصحف. إذ يقرؤها الناس غالبا في أماكن صاخبة تشتت الذهن، وفي ظروف تجعل وقتهم ضيقا وتضطرهم للحصول على الأخبار بأسهل الطرق، وإن كانت أدنى مستوى. هنالك نقاط محددة ينبغي التنبه لها.

وضح أفكارك حتى قبل أن تكتب كلمة واحدة

من أجل تفسير أمر للآخرين يجب أن تفهمه تماما أولا. وإلى أن تبلغ هذه المرحلة لا تكتب شيئا. والنصيحة المفيدة لمن يجد الفكرة مشوشة في ذهنه أن يبلغها لزميل أو صديق. ومن المرجح أن ينطق جوهر القصة (ونمط ترتيبها الأصيل) عفويا وبشكل لاإرادي.

احرص على ضم كل مرحلة في السرد، وكل حادث في سلسلة الأحداث، وكل خطوة من خطوات الحجة

إن القفز من النقطة (آ) إلى النقطة (ج) يترك القارئ لكي يستنبط وحده أن ب تقع بينهما. وهذا أمر مقلق ومربك وأحيانا مضلل، خصوصا في الحالات التي تكون فيها (ب) في غير محلها. لا تترك فجوات في التسلسل المنطقي. فلربما تفهم أنساق تفكيرك، لكن القارئ لن يعرفها حتى تشرحها له.

لا تفترض أن القارئ يملك معرفة خاصة أو مسبقة

حين تقضي وقتا طويلا في التنقيب في مجال متخصص أو تقني، يسهل عليك تناسي حقيقة أن معلومات القارئ لا تزيد عن معلوماتك قبل أن تبدأ بحثك. لا تنس تلك الحقيقة. وبالنسبة للقصص التي تنشر على أيام عديدة، أو أسابيع أو شهور، لا تفترض أن القراء يمتلكون ذاكرة فوتوغرافية حول ما حدث من قبل، أو أنهم كتبوا ملاحظات وافية عندما قرؤوا الحلقات السابقة. من المؤكد أنهم لم يدونوا شيئا. تبنى عوضا عن ذلك الافتراض القائل إن القراء سيحتاجون إلى من يعيد تذكيرهم ويوجز لهم، إلا إذا أصبحت المعلومات جزءا من المعرفة العامة.

اشرح كل العبارات الاصطلاحية

القاعدة المعيارية هنا هي تجنب استعمال كل العبارات الاصطلاحية، علمية كانت أو تقنية أو بيروقراطية أو غيرها. وأعتقد أن هذه القاعدة خاطئة. فبعض العبارات الاصطلاحية قد تكون مفيدة. حيث تدخل القارئ إلى عالم كان مغلقا دونه، ويضيف إلى معارفه اللغة التي يستخدمها الاختصاصيون، ولا سيما في مجال مصطلحات البيروقراطيين، ويظهر الجمل والعبارات السخيفة (غالبا) التي يلفقها المسؤولون، ويكشف بالتالي ذهنيتهم. لهذه الأسباب كلها، ومن أجل محبي التورية، لا ينبغي حظر اللغة الاصطلاحية. لكن ما يجب إدانته هو الفشل في تفسير مداليل العبارات الاصطلاحية باللغة العادية اليومية.

هذا لا يعني المبالغة في استخدام اللغة الاصطلاحية، حتى بعد شرحها وتفسيرها. ويمكن للصحفيين، لا سيما المراسلين المتخصصين، الانزلاق بسهولة إلى اللغة الاصطلاحية لأنهم يرغبون باستعراض معارفهم والظهور بمظهر الخبراء المطلعين من أهل المهنة. على أية حال، استخدمها في حفلة إن اعتقدت أنها ستؤثر في الحاضرين، لكن ليس في صحيفتك بالتأكيد. إن محاولة الظهور بمظهر المطلع الخبير، أو الكتابة لأهل مهنة معينة أو مجال محدد هي ممارسة نخبوية أو تجهيلية، وكلتاهما من السمات غير المرغوبة في الصحف.

ثم هنالك المصطلحات التجارية والسياسية، التي تعتبر هذه الأيام أشدها ضررا على الإطلاق. فهي واسعة الانتشار، ويصعب أحيانا اكتشافها، والصحفيون عرضة على وجه خاص لتكرارها وترديدها بطريقة ببغائية. فالمتحدثون بب الشركات الكبرى يقولون إن "عملياتهم" (الشركة) تعاني "من صعوبات مؤقتة في التدفق النقدي" (نفاد المال) بسبب "مشكلات تتعلق بوضع السوق" (امتناع الناس عن شراء منتجاتها)، ولذلك سوف تلجأ إلى "ترشيد قوتها العاملة" (طرد العمال). المسؤولون الحكوميون يتحدثون عن "مرافق إصلاحية"، حين يريدون الإشارة إلى السجون، وعن "عدم التوازن بين العرض والطلب فيما يتعلق بالوحدات العائلية" وهم يعنون أن هناك أزمة سكن.

العبارات الملطفة شكل من الغش اللغوي شائع على وجه الخصوص في الأماكن التي ينتشر فيها المسؤولون عن العلاقات العامة. فهم يستغلون النزعة الطبيعية لدى السياسيين ورجال الأعمال نحو محاولة إخفاء الحقيقة (إن لم نقل الكذب) عند التعرض للضغوط.

تأكد من جميع الجمل التي تستخدمها واضحة تماما

لا تكتب جملا مربكة ومشوشة تجبر القارئ على العودة إلى البداية لقراءة مقالتك مرة أخرى. بدلا من ذلك، أعد أنت كتابتها. هذا يختلف، بالطبع، عن الأسلوب المتعمد في كتابة الجمل التي تقود القارئ إلى توقع شيء ليجد شيئا آخر. فالمفاجأة مهمة لإبقاء الكتابة نابضة بالحياة.

تجنب الكتابة المخادعة واللغة المخادعة

كل كتابة ذكية تبعا لمعيار كاتبها الذاتي تعتبر سيئة بالتأكيد، دونما حاجة إلى برهان تقريبا. فالهدف من الكتابة نقل المعنى الذي تريده إلى الآخرين، لا الاحتفاظ به لنفسك. ولذلك، إن وجدت نفسك تكتب جملة استعراضية تفخر بها على وجه الخصوص، فقم بشطبها؛ وإن اضطرت أن تشرح - شفاهة - فقرة لأحدهم، قم بتغييرها؛ وإن شعرت بإغراء استخدام كلمات وألفاظ تظهر تبحرك في العلم وسعة اطلاعك، قاومها.

كلمة أخيرة حول الوضوح - البساطة

يطالب الصحفيون عادة بالتمسك بهذه الفضيلة حين يكتبون للصحف الجماهيرية على وجه الخصوص. وتلك نصيحة جيدة، لكن إلى حد معين؛ وهذا الحد هو الفاصل بين البساطة والسذاجة. بعض الصحف، لا سيما في بريطانيا واستراليا، تقلل من مستوى معارف ومعلومات قرائها، مما يؤدي إلى استخدامها مفردات مقيدة ولغة مدبجة.

الدفاع الذي تستخدمه عن هذا الأسلوب يعتمد على التوكيد بأنها تعرف قراءها - وهو توكيد مشكوك فيه. فلو كانت تعرف قراءها فعلا لأدركت أن مستوى زبائنها في الكلام والتفكير يتجاوز مستواها بعدة مرات. فإن شكك أحد بهذه الحقيقة، عليه أن يعقد مقارنة مع اللغة والمفردات الأكثر تعقيدا والمستخدمة في التلفزيون حيث تمكن القراء من التكيف والتعامل معها بنجاح كل يوم. حين تعني البساطة الاستيلاد اللغوي ضمن إطار محصور ومقيد، فقد آن الأوان للسماح بقليل من الدماء الجديدة.

اللغة الحية (الطازجة)

الهدف الكلي للمقالات في الصحف هو تقديم شيء للقراء لم يكن لديهم قبلا - معلومات، رؤى، مشاهدات، أفكار. ولذلك فإن من الخسارة الفادحة أن

نتقل هذه الجدة والطرافة بلغة مستهلكة ومبتذلة بليت من كثرة الاستعمال. وحتى حين تعبر عن أحدث الأفكار والموضوعات سيشعر القراء أنها مألوفة وعتيقة. النقاط التي يجب الانتباه لها هي:

اعتبر كل قصة إخبارية شيئا جديدا ومتفردا

لا تسقط في شرك الكتابة المعيارية الخاضعة للصيغة السائدة، حيث تقول لنفسك: "ها هي قصة حوارية"، ثم تكرر النمط المعياري المبتذل. بالطبع، لابد من وجود حد لأنواع القصص المتوفرة، لكن ذلك لا يعني أن تجعل كل القصص التي تحمل شبها بالأخرى تخضع لصيغة جاهزة. البروفسور جون كاري، يكتب في مقدمته لـ"كتاب فيبر المرجعي حول الريبورتاج": "التراكم الهائل للغة المعيارية وخطوط القصة المبتذلة، يكمن في الانتظار والاستعداد للقفز من الأصابع إلى الصفحة المطبوعة". ويؤكد إن على المراسلين رؤية قصتهم وروايتها كأنما يفعلون ذلك للمرة الأولى. وبهذا المعنى، حاذر على وجه الخصوص من القصة التي تبدو وكأنها كتبت آليا. فإن شعرت بهذا الخطر، توقف، وفكر، واكتبها بنفسك.

تجنب كل "الكليشيهات" المبتذلة

هنا، وكاستثناء، يستوي القول والفعل في السهولة. "الكليشيهات" عبارة عن كلمات وجمل مألوفة، بل مبتذلة، ولذلك فإن تمييزها لا يمثل أي مشكلة. والقاعدة المفيدة تشير إلى أن كل ما تشتبه به باعتباره "كليشيه" يكون كذلك دون ريب ولابد من حذفه. بعضها يستعمل في جميع المجالات عموما، بعضها الآخر يبدو وكأنه مقتصر حصرا على الصحف (سوف نتطرق إلى هذه النقطة في موضع لاحق من هذا الفصل). لكنها مهما كانت، فهي تعابير عتيقة وبالية إلى حد أنها لم تعد تحدث أي تأثير.

"كليشيهات" التشبيهات البيانية تمثل خطرا خاصا لأن استخدامها الآلي يعني أنها غالبا ما تقحم في المكان الخطأ. على سبيل المثال، يعتبر وصف

موقع الاصطدام بأنه "يشبه ساحة المعركة" خاطئ وغير أصيل في آن معا، كما يعرف من شهد المكانين تماما. لكن بغض النظر عن كون "الكليشيه" (التي تخرج من ذهنك وتدخل القصة دون أن تدرك) تشبيها بيانيا، أو استعارة مجازية، أو عبارة شائعة، أو كلمة مفردة، فإن من المتوجب حذفها واستبدالها بتعبير "طازج" ينبض بالحياة.

تجنب الكلمات الآلية كلها

وهذه في العادة صفات يربطها بعض المراسلين بصورة غريزية مع بعض الأسماء. فكل الصفقات يجب أن تكون "ضخمة" وكل الجرائم "وحشية"، والمخاوف "منتشرة"، والمعارك "محتدمة".. لقد غدت الصفات مثل الطفيليات التي تعتاش على مضيفيها، لتمتص منذ أمد بعيد أي تأثير كانت تتركه. هنالك أيضا العبارات التي يبدو أنها تستعمل آليا في ظروف معينة (من قبل الصحف المحلية على وجه الخصوص). في الجرائد الإنكليزية مثلا، يقوم المحققون في الكوارث دوما "بالتنقيب وسط الحطام ووجوههم عابسة" (كأنما المفروض أن يعلوها الابتسام)، وأعمال الشغب في الدول الأخرى واجهها "رجال الشرطة المسلحون بالهراوات"، في حين انطلقت "مظاهرة قذف المشاركون فيها [الشرطة] بالحجارة". ليست هذه مجرد تعابير آلية، بل "كليشيهات" تستخدم مرارا وتكرارا بحيث لا يمكن أن تكون دقيقة في جميع الحالات.

انتبه للتورية والجناس

الحظر الشامل والصريح على استخدامهما لن يكون مبالغا في القسوة والتزمت - فلن تجد إلا مرة واحدة كل بضع سنين (ثلاث سنوات مثلا) صحفيا في مكان ما من العالم يبتكر شيئا جديدا في هذا السياق. بينما تستخدم ملايين العبارات الشائعة والمبتذلة. التورية في العادة تأخذ شكلين اثنين: الأول حين يفكر الكاتب بكل كلمة يحتمل ارتباطها بموضوعه ولا يفوت فرصة لملء قصته بها؛ والثاني حين تبدو القصة، وتكون عادة قصة خفيفة في صحيفة

شعبية، وكأنها مجرد تلاعب بالألفاظ. بالنسبة للعارفين، تمثل هذه التوريات كشفا مجانيا لا يخطئ عن حقيقة أن الكاتب يفتقد الخيال المبدع وأن القصة لا تستحق المساحة التي أفردت لها.

لا توجد قواعد صارمة ومطلقة في الكتابة، باستثناء واحدة: لا تكتب عن الواضح المعروف. فإذا ذهبت إلى لاس فيغاس لا تكتب عن آلات القمار؛ وإن كنت في لندن، حاول ألا تنهي المقالة بالإشارة إلى ساعة بيغ بن أو الضباب والمطر؛ وإن كنت تكتب من باريس دع المشاهدات والحديث عن الأزياء إلى شخص غيرك. كل ذلك ينطبق على التورية، فلن تودع السجن إذا كتبت تحقيقا خفيفا عن القطط مثلا، يتجنب اللعب على ألفاظ مثل المخالب، أو السبع أرواح..

وعلى العكس من الخرافة التي يروجها الصحفيون الذين تمثل التوريات أسهمهم الوحيدة في التجارة، فهي ليست صعبة أو عسيرة. فلو كانت كذلك لا نخفض عددها في الصحف. أما القاعدة العامة المفيدة في هذا المجال فهي السماح لغيرك بالحصول على مجد ابتكار تورية (كل ثلاث سنين) تستحق أن يكررها الآخرون، والخروج من المنافسة بعدم استخدامها.

ابذل جهدك لابتكار تشبيهات، وابتكارات، وعبارات جديدة

كلما وجدت نفسك تكتب بطريقة شبه آلية عبارة، أو تشبيها، أو استعارة، توقف وفكر. فكر بشكل متعمق بالطبيعة الحقيقية لما تحاول نقله وابحث عن عبارة تناسبه تماما، لا مجرد أقرب خيار له (دون تعديل). الكتاب المتمرسون يملكون جميع أنواع الوسائل التي تمكنهم من قلب العبارات المألوفة أو تعديلها لإعطائها حياة جديدة بطريقة متروية وذكية. لكنهم يبذلون طاقة ذهنية كبيرة أيضا في محاولة وصف شيء أو نقل طبيعته بدقة، وهذا يعني الجهد الدؤوب لابتكار عبارة جديدة مخصصة له.

كما يكافحون ويجادلون المحررين دفاعا عن الحق باستخدام لغة نابضة بالحياة. في بعض الأحيان يكون ذلك ضروريا حين تعمل في صحيفة تسعى

لتقييد كتابها بالأصفاد الأدبية. هيئة التحرير في "نيويورك تايمز" مثلا اشتهرت باللغة الميتة التي تفرضها على نشر كتابها. فكرْ مثلا بتجارب مولي ايفنز في أواخر السبعينات. فقد كتبت ذات مرة عن رجل إنه "بَطِن كأحد مباني المعهد السيمشسوني"(*)، لكن المحرر غير العبارة إلى "رجل منتفخ البطن" - وهي صحيحة لكن تفتقد الحياة. وفي مناسبة أخرى كتبت عن شخص "يزعق ككمان بدولارين"، ظهرت في الصحيفة "..كآلة موسيقية رخيصة". المحررون الذين يفعلون هذه الأشياء باللغة الزاهية النابضة بالحياة ينبغي أن يتحولوا للعمل في المتاحف.

حاذر من الكلمات أو العبارات الدارجة

للغة طرازها الدارج ("موضة")، مثل الثياب وتسريحة الشعر. لكن الكلمات أو العبارات الجديدة الدارجة تصبح بسرعة مزعجة عند قراءتها. لذل، أسدِ لكتاباتك معروفا: كن مبتكرا رائدا لا مقلدا تابعا. استخدم كلماتك وعباراتك وصوتك أنت، ودع الآخرين يحاكون ويقلدون وينسخون "الموضة" العابرة. ومثلما يقول كتاب قواعد استخدام اللغة وعلامات الترقيم.. الذي تصدره صحيفة "ديلي تلغراف" اللندنية: "إن أغراك استعمال كلمة لأن جميع الكتاب الذائعين يستعملونها، عليك أن تغير الكلمة، أو مادة قراءاتك، أو مهنتك". أو كما هدد برنارد كيلغور ذات مرة موظفيه بأنه سيطرد كل من يستخدم كلمات "على الموضة" على صفحات "فايننشال تايمز".

الأمانة

هنالك جوانب من العمل الصحفي تضعف غالبا طلب الحقيقة. الافتقار إلى الوقت الكافي لجمع وترتيب تقرير شامل وكامل عن الحدث، وعدم القدرة

(*) مجموعة من المباني تضم أكثر من عشرة متاحف ومراكز بحوث ومرافق نشر في واشنطن (نسبة للبريطاني جيمس سميثسون [1829 -1765] الذي تبرع لتمويل تأسيسها في القرن التاسع عشر). (م)

على الوصول إلى المصادر والمعلومات كلها، والحاجة إلى كتابة قصة خلال مدة قصيرة - كل هذه العوامل يمكن أن تمنعنا من تقديم رواية على القدر الذي نرغبه من الاكتمال (أو الدقة). ولا بأس في ذلك طالما أدركنا هذه الحدود المقيدة ورفضنا الزعم بأننا نقدم الرواية النهائية لما حدث في كل قصة نكتبها. لكن من الأفضل أن نبذل أقصى جهد ممكن لمغالبة هذه الحدود والمعوقات والصعوبات.

إلا أن الصحفيين، عندما يكتبون ويحررون القصص الإخبارية غالبا، يزيدون الهوة الفاصلة بين القصة والحقيقة. فالكتاب يعرفون ما يفضله المحررون ويعتبرونه قصة إخبارية قوية ومثيرة، وعند كتابة مثل هذه القصص يهملون بعض التفاصيل ويستخدمون غالبا لغة تبالغ/ أو "تضيف إثارة" إلى القصة لتتجاوز قيمتها الحقيقية. فإن لم يفعلوا ذلك، لا سيما في الصحف الشعبية، سيتولى المهمة المحررون. ليس من السهل تجنب هذه العملية، غير المقصودة أحيانا، والمتعمدة في أحيان أخرى، وسنعرض فيما يلي بعض النقاط المهمة:

لا تكتب سوى ما تعلم أنه صحيح

قد يبدو ذلك واضحا ولا يحتاج إلى تذكير، لكن ليس كذلك. فكثير من المراسلين يقولون عندما يواجهون من يتحدى صدق جزء من القصة: "لابد أن يكون صحيحا" . إن افتراضات ظنية كهذه قد تصلح لحديث عابر مع زميل في مقهى، لكن ليس للصحف.

يجب أن تكون جميع القصص الإخبارية جهدا واعيا متوازنا وأمينا للتفاصيل وروح الموضوع

المسألة الأساسية في هذا النسق المطول لا تتعلق فقط بالتأكد من أنك أضفت وجهتي النظر (في العادة هناك أكثر من اثنتين) إلى القصة ونقلت الشواهد والاقتباسات بشكل دقيق، بل تتصل أيضا بالتأكد من أن ما أضفته يعكس بدقة الصورة الكاملة كما تعرفها. يمكنك مثلا قضاء وقت طويل في

مقابلة شخص مسالم هادئ الطبع، إلا عند الإجابة عن أحد الأسئلة. عليك بالطبع أن تذكر سرعة الغضب هذه، لكن حتى لو نقلتها لقرائك بدقة كاملة، فإن القصة بكاملها لن تكون صادقة إلا إذا أشرت إلى أن مزاجه العام هادئ ومسالم. وأي شيء آخر سيكون بمثابة انتقائية متحيزة بغرض غير شريف.

لا تبالغ بغرض الإثارة

هنا، يستخدم الصحفيون كلمات تنقل معنى أشد قوة وتأثيرا دون أن يحوي الموضوع أو المادة ما يبرر ذلك. معظم الكلمات تستخدم بشكل آلي لتناسب ما يظن الكاتب أنها تقاليد صحفية مطلوبة، وبالتالي فهي من "الكليشيهات" المبتذلة. لكن بغض النظر عن كون القصد واعيا ومتعمدا أم لا، فإن ذلك يؤدي إلى "احتراق الطبخة". فكلمات مثل "مثير" و"صادم"، و"دراماتيكي"، و"مقلق"، تستعمل لوصف أشياء تكون عادة على درجة أقل بكثير من "الإثارة" و"الصدم" و"الدرامية" و"الإزعاج". ومثلما أشار أحد المعلقين ذات مرة: "حين تسمع عن حدث يصفه صحفي بأنه مقلق، تعرف أنك لن تأخذ الأمر على محمل الجد".

هنالك جانبان آخران لهذه العادة السيئة. أولا، كل هذه الكلمات تتضمن حكم قيمة، لا محل له في القصة الإخبارية المباشرة والصادقة. والمبالغة بغرض الإثارة أسوأ أنواع التعليقات المقحمة - التي تتسلل تحت قناع الوصف الموضوعي المشروع، دون أن تعلن عن نفسها، بل تتستر بتطابق مزعوم. ثانيا، دع الحقائق تتحدث عن نفسها. فإن كانت القصة الإخبارية مثيرة أو صادمة أو مقلقة، أو غير ذلك، اشرح للقارئ عنها واترك له الحكم. فالصحافة الجيدة لا تشمل ثقة القارئ بالصحيفة فقط، بل ثقة الصحيفة بالقارئ أيضا.

المشكلة الأخيرة في هذا النوع من اللغة المبالغة التي تحبس الأنفاس هي انقطاع العلاقة باللغة التي يستعملها الإنسان العادي في الواقع المعاش. ففي كل البلدان تقريبا، ارتقت "لغة الجرائد" هذه، وتطورت بواسطة العديد من

الصحف. في بريطانيا مثلا، هنالك عالم يوصف فيه أي خلاف بين رجلين بأنه "مواجهة"، وحيث تطلق فيه تعابير مثل "في خضم مشاهد استثنائية" (لوصف كل ما هو غير عادي مألوف)، و"نجمة المسلسلات التلفزيونية" (على كل ممثلة أدت دورا هامشيا)، والطفل "المعجزة" (على كل من لا يولد تحت الظروف العادية الروتينية)، الذي "نقل على جناح السرعة" إلى المستشفى ليعالجه الأطباء "الأبطال". كتابة التقارير والقصص والتحقيقات بلغة الجرائد (بكل ما تتصف به من إثارة ومبالغة وابتذال) خداع وغش، أو على أقل تقدير تبعدها مسافة كبيرة عن الحقيقة الواقعية، ولأن لغتها بليت من كثرة الاستعمال، لن تحدث تأثيرا في القراء في نهاية المطاف. إنها لغة متحجرة كالمستحاثات، تستخدم ضمن مجموعة من الطقوس الشعائرية. شكل فقد الحياة. استبدلها بلغة طازجة، وصادقة، ونابضة بالحياة.

حاذر من استخدام لغة العناوين المبسطة التي لا تعرف سوى الحدود القصوى

هنالك فرق كبير بين الكتابة التي تعيد الحياة إلى قضية أو موضوع، وتلك التي تمنح المادة حياة مزيفة. المثال الصارخ على ذلك استخدام الكلمات التي لا تحتمل المعنى الرمادي: فإما أسود أو أبيض. أفضل توضيح لهذه الممارسة هو وصل جذورها بالصحف الأوروبية الشعبية. فخلال السنوات الخمسين الماضية تقريبا، أصبحت العناوين الرئيسة في مثل هذه الصحف أكبر حجما على نحو مطرد. أما النتيجة التي لا يمكن تجنبها فهي أن الكلمات المستخدمة فيها غدت أقصر. وظهرت مشكلة صعبة مع هذه الكلمات القصيرة: ففي كل حالة تقريبا عجزت عن نقل أطياف المعاني وتنوعها مقارنة بالكلمات الطويلة. فهي تميل إلى نقل الحدود المتطرفة للمعاني: الأسود والأبيض وليس ألوان الواقع الحقيقي المتدرجة بينهما.

لذلك فإن كانت آرائي وآراؤك مختلفة حول موضوع معين وناقشناه، يمكننا القول إننا "لم نتفق". وإذا كانت آراؤنا تحظى بما يكفي من الاهتمام والإثارة

بالنسبة لصحيفة شعبية بريطانية وأرادت أن تكتب عن نقاشنا، فكيف ستشير إلى الخبر في عنوانها الرئيسي؟ "لم يتفق الرجلان" عبارة طويلة لا تناسب المقام، وكذلك كلمة "مجادلة" (بسبب المساحة المخصصة للعنوان). وهكذا يتحول عدم اتفاقنا إلى "شجار" أو "نزاع"، وهما يختلفان اختلافا بينا عن "النقاش"(*). فضرورات الطباعة والتصميم حرفت ما دار في اللقاء بيني وبينك.

في العديد من الصحف البريطانية تحول "الاستياء" (annoyance) (أو عدم الارتياح) إلى غضب (fury) (خارج عن حدود السيطرة)، والترتيبات (arrangements) (اتفاق غير رسمي مثلا) إلى "صفقة" (deal) (اتفاق رسمي، مع تليمحات محددة، وربما متعددة المعاني، إلى الجانب المالي، أو حتى إلى التشكيك بالأمانة والنزاهة أو الاشتباه بمخالفة القانون)، والحظ السيئ (bad luck) إلى "لعنة" (curse)، وانتقد (to criticize) إلى "صفع" (to slam)، وعدم الحضور (failure to attend) إلى "جفاء" (snub)، والنزاع المحلي/الداخلي(internal dispute) إلى "حرب أهلية" (civil war) ..الخ. هذه الأمثلة كلها (وهناك العديد غيرها يمكن الاختيار منها) تظل أقصر، وأكثر تطرفا، وأشد قسوة من الواقع الذي تصفه. وكأنما القصة الإخبارية التي تكتب بواسطتها تترجم إلى لغة أخرى لشخص يجتاحه غضب عارم لكن يعاني من ذخيرة محدودة من المفردات.

لربما انحصرت هذه المفردات غير الدقيقة في العناوين لولا أمر واحد: لغة عنوان القصة الإخبارية اليوم هي لغة نصها غدا. إذ يسيطر على ثقافة الصحف المحررون ورؤساؤهم من خلال لغة العناوين التي يوافقون عليها. يقرأ المراسلون الكلمات المستخدمة في العناوين التي توضع لقصصهم الإخبارية فيتبنونها لأنهم يرغبون بأن يعتبروا متناغمين مع ثقافة الصحيفة (ومحرريهم)، أو كتابا "لامعين متميزين بأسلوبهم النابض بالحياة". ويرى مراسلو صحف

(*) لفظة "debate" بالإنكليزية (مناظرة/نقاش/سجال) تضم عددا أكبر من الحروف مقارنة بلفظتي "raw" (شجار) و"feud"(نزاع). (م)

المقاطعات والأقاليم مثل هذه اللغة في الصحف الوطنية الكبرى فيحاكونها، بشكل سيئ في أغلب الحالات. وحتى بعض الصحف "الهرمة" التي تفتقد الدينامية، قد تسعى لجعل صورتها أكثر شبابا، أو مظهرها أكثر جاذبية، فتتبنى العناوين الضخمة، وبالتالي تحاكي بعض (إن لم نقل أسوأ) هذه المبالغات. وهكذا، أصيب تيار الصحافة برمته (بدرجات متفاوتة) بالتلوث، فإذا لم تتعرض صحف بلدك بعد لغزو ألفاظ لغة الجرائد السائدة التي لا تعرف سوى اللونين الأسود والأبيض، انتبه لها وحاول مقاومتها.

الدقة

يجب على الصحافة أن تكون العدو اللدود للأساليب التي تفتقد الدقة. فالقصص الإخبارية ينبغي أن تكتب للإجابة عن الأسئلة التي تدور في أذهان القراء وليس لإثارتها. أما الأسئلة التي يتوجب على المراسل محاولة الإجابة عنها، وبدقة، فهي:

- ماذا؟ (ماذا حدث؟)
- من؟ (من الفاعل وعلى من وقع الفعل: العمر، المظهر، المنصب/ الموقع، المؤهلات، وأي معلومات تتعلق بالخلفية)
- أين؟ (أين مكان الحدث؟)
- متى؟ (متى حدث: الساعة/ اليوم/ الشهر؟)
- كيف؟ (كيف حدث؟ ما هي التفسيرات؟)
- لماذا؟ (لماذا حدث؟)

النقاط المهمة الأخرى التي ينبغي الانتباه لها هي:

في الحالات كلها، ابتعد عن المجرد واستخدم المحدد

الكتابة غير المحددة غير مرغوبة. والتقارير الصحفية التي تتحدث عن "مؤسسات رسمية" دون تسميتها لا تفيد. استخدم كلمات محددة، سم الأشياء

بأسمائها، اكتب قوائم ووضح البنود. عليك أن تتوخى الحذر حين تدخل هذه التفاصيل إلى قصتك، لكن يجب أن تشملها. ولا تطلق على مبنى صفة "مرتفع" وحسب. كم يبلغ ارتفاعه؟ حدده بالأمتار، وحاول أن تقدم فكرة تفصيلية عنه.

استخدم الكميات المعلومة لا المجهولة

كثيرا ما يستخدم الكتاب كلمات مثل "فعلا" و"حقا" و"إلى حد كبير" و"جدا" للتعبير عن قيمة أو مقياس. تمسك بالدقة واستخدم القيم المعروفة.

انتبه عند استخدام العبارات التي تشير إلى عبارات الحد الأقصى والتفضيل

أصاب أحد كبار محرري التصحيح والإعداد الأمريكيين حين أشار إلى عدم رغبة المراسلين بذكر الأرقام الصريحة، وهي عادة تثير الغضب حقا. كأن يكتب أحدهم: "يستطيع العامل في الخدمة الاجتماعية في المعدل المتوسط التعامل مع عدد يصل إلى مائة حالة أو أكثر في الشهر". إذ يمكن للعدد الذي "يصل إلى" أن يكون أي رقم بين 0–100 ، وكلمة التفضيل "أكثر" أن تعني أي رقم بين 100 واللانهاية! مثل هذه الجمل لا تقول شيئا. على أية حال يمكنك تعديلها قليلا ("ليس من الأمور غير العادية أن يتعامل العاملون في الخدمة الاجتماعية مع مائة حالة في الشهر")، لكن حتى برغم محدودية معلوماتك فإن 100 حالة في الشهر قد تكون أمرا نادرا جدا. الحل الوحيد هنا هو أن يطلب المراسل مزيدا من المعلومات والمعطيات الدقيقة والمحددة.

لا تستخدم الصفات المبهمة

هنالك بعض العبارات الشائعة الاستخدام التي لا تنقل سوى أفكار مبهمة. "السيارة السريعة" مثال على ذلك. فهل هي من طراز "بورش" أم سيارة شرطة مستعملة، أم هي "فيراري"؟ يريد القراء أمثلة واقعية ومتعينة تحدد السلعة التي ينفقون نقودهم عليها، ومن المفضل أن يعرفوا الاسم التجاري والسعر. و"الرفاهية"؟ ماذا تعني؟ الجواب: إنها تختلف باختلاف الناس. يجب أن يكون

المعنى واحدا بالنسبة لجميع القراء. وهذا ينطبق أيضا على أوصاف الناس. "بدت ممشوقة القد وجذابة". ماذا يعني ذلك؟ لكن إذا قلت "شقراء طولها 180 سم" يصبح الوصف واضحا ومحددا للجميع. كذلك فإن عبارة "مثقفة وذكية" لا تعني شيئا، باستثناء كونها مؤشرا عاما على أن الفتاة لا تعاني من إعاقة عقلية! لكن إذا قلت إنها تحمل شهادة في العلوم السياسية، فإننا نعرف شيئا عنها.

تجنب اللغة "الملطفة"

تلك هي لغة الأشخاص الذين يتسترون على الواقع ويخفون الحقيقة. فهم يتحدثون مثلا عن رجل "رحل" حين يعنون بأنه توفي، ويشيرون إلى العلاقة الجنسية باعتبارها "علاقة حميمة". إنكلترا الفيكتورية شكلت مصدرا غنيا لمثل هذه العبارات (الإنكليزية) الملطفة ("في حالة الطبيعة" تعني العري، "أصغر غرفة في المنزل" تعني دورة المياه، "في وضع مثير للاهتمام" تعني الحمل). وحتى في أيامنا هذه، يبتكر الناس كلمات أو عبارات لوصف الأشياء والحالات التي لا تريحهم، مثل الموت أو الجنس أو عواطفهم الوجدانية الخاصة.

على الصحفيين عدم استخدام هذه الألفاظ والتعابير "الملطفة"، إلا في حالة السخرية. لكن ذلك لا يعني أن نذكر بوضوح صارخ كل تفاصيل العلاقة الجنسية أو الجرائم. فمعظم الصحف تتوجه لعموم القراء، الذين يضمون شرائح اجتماعية واسعة من مختلف الأذواق والمشارب والحساسيات. لذلك لا تكتب لا لأولئك الذين يُصدمون بسرعة، الملتزمين والمتمسكين بالأعراف الاجتماعية، ولا للمتعطشين لأخبار سفك الدماء.

حين تكتب عن حالات الموت العنيف، نتيجة الجرائم أو الحروب أو الحوادث، استخدم حكمك المنطقي حول المدى الذي تبلغه في عرض التفاصيل دون أن يشعر القارئ بالغثيان. الدقة لا يجب أن تعني بالضرورة التشفي أو تحقيق النجاح على حساب مصائب الآخرين، بل وصف الأشياء بتفاصيل كافية وذات صلة، مع احترام ومراعاة المشاعر. وينبغي أن يكون لديك سبب وجيه

لتقديم التفاصيل. في بعض الحالات، مثل حوادث تحطم الطائرات، لن يفاجئ القراء إذا عرفوا أن شدة الاصطدام أو الانفجار قد أدت إلى تشويه الجثث أو تقطيع أوصالها. عليك فقط أن توضح ما هو ضروري.

في الحالات الأخرى، مثل العمليات الحربية أو الإرهابية، يحتاج الناس لمعرفة فظاعات ما حدث. ويمكنك القيام بذلك بصورة أكثر فاعلية إذا استخدمت لغة محسوبة وحيادية ومتزنة. ها هو روبرت فيسك، حين كان مراسلا لصحيفة "التايمز" اللندنية، يصف مشاهداته حين ذهب لتغطية المذبحة التي تعرض لها الفلسطينيون في مخيمي صبرا وشاتيلا (أيلول/سبتمبر 1982):

> *ما وجدناه داخل المخيمين في الساعة العاشرة من صبيحة اليوم التالي لم يكن استثنائيا بحيث يصعب وصفه أو تصديقه، رغم أن من الأسهل ربما روايته من جديد في قصة أو من خلال النثر البارد لتقرير طبي.*
>
> *لكن ينبغي ذكر التفاصيل لأن الحقائق - في لبنان بالذات -ستتغير خلال الأسابيع القادمة وذلك مع تبادل الميليشيات والجيوش والحكومات الاتهامات واللوم على الفظائع المهولة التي ارتكبت بحق الفلسطينيين المدنيين.*
>
> *.. في زقاق على يميننا، وعلى مسافة تقل عن خمسين ياردة من المدخل، رقدت كومة من الجثث.*
>
> *هنالك أكثر من عشر منها، شبان قيدت أيديهم وأرجلهم اختلطوا مع بعضهم بعضا في تبريح الموت. كلهم قتلوا من مسافة قريبة برصاصة في الوجنة اليمنى أو اليسرى، اخترقت اللحم حتى الأذن ودخلت الدماغ. بعضهم يحمل ندوبا قرمزية على الطرف الأيسر من العنق. أحدهم خُصي. أعينهم مفتوحة والذباب بدأ يتجمع حولهم. أصغرهم كان في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة.*
>
> *على الجانب الآخر من الطريق، وعلى درب مليء بالحجارة، وجدنا جثث خمس نساء وعدد من الأطفال. النساء كن في منتصف العمر،*

الجثث المغطاة تكدست فوق كومة من الحجارة. إحداهن تمددت على ظهرها، وقد تمزق ثوبها، وبرز رأس فتاة صغيرة من خلفها. الفتاة كانت ترتدي سروالا قصيرة، ولاح شعرها الأسود المجعد، بينما عبس وجهها وحدقت عيناها إلينا. كانت ميتة.

تقرير روبرت فيسك امتد إحدى عشر فقرة أخرى. لم يضف إلى أي منها أي تعليق، أو عبارة عاطفية. ومن المؤكد أن ذلك لم يكن نتيجة غياب مشاعره الوجدانية، لكنه يعرف أن تأثير القصة - وصدقها - سيضيعان حالما يدع هذه المشاعر تصيبها بعدواها.

الجنس

ظلت الصحف في شتى أرجاء العالم وطيلة سنين عديدة تستخدم لغة الأديرة والرهبنة لوصف كل ما له علاقة بالجنس. وعلى القارئ أن يحزر، بدلا من أن يعرف، الموصوف. فعبارات مثل "علاقة حميمة" و"اقتراح بذئ"، لا تفتقد الدقة فقط، بل غالبا ما تترك انطباعا لدى القارئ بأن ما حدث أسوأ بكثير من الواقع (إحدى أسخف الكلمات التي ظهرت في إحدى الصحف البريطانية هي "التدخل"، حيث عنونت: "فتاة تتعرض للطعن 65 مرة، لكن لم يتدخل بها القاتل".

ولكن استبدال مثل هذه اللغة الخجولة بأخرى أكثر وضوحا ليس ترخيصا لاستخدام اللغة الإباحية. إذ ينبغي تقديم التفاصيل للشرح والتفسير لا للإثارة وتهييج الغرائز. لسوف تجد أيضا أن اضطرارك لوصف الأحداث بطريقة مقبولة لأوسع شريحة من قرائك سينتج بصورة متكررة كتابة أصيلة ومحفزة. بن هيكت، المراسل الأمريكي في عشرينات القرن الماضي، كتب السطر الأخير لقصة في صحيفة "شيكاغو ديلي نيوز" حول كاهن كرر ممارس الجنس مع فتاة في قبو كنيسته - إلى أن تعثر ذات يوم بمدفأة تعمل على الغاز، فمات وهو في وحل الخطيئة: "انشغل بالحب فلم يشم سوى رائحة الفردوس، ولفظ أنفاسه الأخيرة، حيث تخلى عنها بينما ظل متشبثا بإحدى رعايا أبرشيته!".

الملاءمة

هي مواءمة أسلوب ونبرة وإيقاع وتطور القصة مع موضوعها. بالطبع، تتطلب الموضوعات جميعا تعاملا خاصا، لكن بعضها يحتاج معالجة أكثر حساسية من سواها. معظمها واضح جلي. شؤون الحياة والموت مثلا ينبغي التعامل معها بجدية (إلا إذا كنت تكتب عمودا وتخصصت في الذوق الرديء!). نقدم فيما يلي بعض الإرشادات التوجيهية للحالات المباشرة والواضحة:

القصص الإخبارية التي تدور حول الأحداث الدينامية والمشوقة يجب أن تكتب بإيقاع واقعي سريع

ينبغي أن تكون اللغة مكثفة، والبناء مختصر، والأفعال مباشرة تدل على الحركة، والجمل وجيزة، والصفات نادرة. لا يوجد سوى قلة قليلة من الأمثلة التي تتفوق في هذا السياق على وصف سيرغيي كورناكوف لحالة الاهتياج المسعور في سان بطرسبورغ، خلال الساعات التي أعقبت إعلان ألمانيا الحرب على روسيا في شهر آب/ أغسطس 1914. فهو نموذج يحتذى لأسلوب نقل الأحداث بسرعة تماثل تطوراتها المتلاحقة على أرض الواقع:

> ***حين وصلت ساحة سانت ايزاك وجدتها مكتظة بالناس. لابد أن الساعة قاربت التاسعة، إذ لم يحل الظلام بعد - الشفق المثير المثبط لليالي الشمالية أضاء المكان.***
>
> ***الواجهة الحجرية الرمادية لمبنى السفارة الألمانية الضخم قابلت المبنى الحجري الأحمر لكاتدرائية سانت ايزاك. حشود الجماهير المتدافعة كانت بانتظار حدث ما. كنت أرقب ضابط بحرية شابا تدفعه بعنف مجموعة من الوطنيين المتحمسين، عندما دفعني صوت طرق الفؤوس على المعدن إلى النظر إلى سطح مبنى السفارة، التي زينت بتماثيل ضخمة لمحاربين ألمان يمسكون بأعنة خيول تجر عربة. هنالك سارية تسند نسرا برونزيا مفرود الجناحين.***
>
> ***رأيت عدة رجال يضربون أقدام المحاربين الألمان - أثارت أولى الضربات في الغوغاء اهتياجا مسعورا؛ تماثيل الأبطال كانت جوفاء!***

"إنها فارغة! فأل حسن! خديعة ألمانية أخرى! حطموها! لا، دعوا الأحصنة واقفة!".

تعاظمت سرعة الفؤوس فترنح أحد المحاربين، ومال إلى الأمام، ثم هوى على الرصيف من ارتفاع مائة قدم. أطلقت الحشود زعقات مدوية، أفزعت سربا من الغربان عن قبة الكاتدرائية المذهبة. حان دور النسر؛ سقط الطائر من عل، وسرعان ما غرقت بقاياه المتناثرة في نهر مويكا القريب. لكن من الواضح أن تدمير الرموز لم يكن كافيا. فقد حطمت عصابة تشكلت على عجل بابا جانبيا يفضي إلى السفارة.

رأيت أضواء مصابيح ومشاعل تتحرك داخل المبنى، ثم تصعد بخفة إلى الطوابق العليا. انفتحت نافذة وبصقت لوحة ضخمة للقيصر على الحشد في الأسفل. وحين وصلت الأرض المرصوفة بالحجارة، بقي منها ما يكفي لإشعال حريق ضخم. تبعها "بيانو" جليل من خشب الورد، لينفجر كالقنبلة؛ وتردد صدى أنين الأوتار المقطوعة في الجو ثانية أو نحوها ثم تلاشى؛ كان العديد من الناس يحاولون أن يطغى صراخهم على هواجس رعبهم من المستقبل.

ليس ثمة كلمة واحدة غير ضرورية في هذا الوصف. فكل تفصيل مثبت بإحكام مع أقل عدد ممكن من الصفات. ومثل الكتابات الممتازة كلها، يتحدى النص التحرير والتعديل.

إذا كانت الأحداث في القصة كئيبة ومريعة، قاوم إغراء الإسهاب والتنميق

إغراء الإسهاب يتعاظم حين تكون مادتك غريبة واستثنائية. دع الأحداث ذاتها تمارس التأثير. ولا تحاول إضافة "الدراما" من خلال تشخيص الأحداث بأي طريقة كانت. إياك مثلا أن تقول أن القصة "عاطفية" أو "تثير القلق" أو "مرعبة". قدم القصة بدون مثل هذه الملاحظات ودع الحكم للقارئ.

إذا كانت القصة تدور حول عواطف وجدانية قوية، حاول التقليل من شأنها لا أن تضخمها

هذا لا يعني أن تغفل أي تفصيل، بل عليك أن تتجنب اللغة التي تتلهف على إحداث التأثير. فقصة تقطع نياط القلوب مثلا لا تؤثر إلا إذا كتبت بلغة بعيدة عن التكلف والتهويل والمبالغة.

احترس من الدعابة

لا ينبغي أن توجد محرمات تقيد الدعابة في السينما والمسرح والكتب. فلا مانع من أن يكون الموت والجنس والسرطان والجوع أهدافا مقبولة للنقد والهجوم. لكن الدعابة عند الكتابة حول هذه المواضيع العامة أمر يختلف عن محاولة السخرية من بلوى شخص معين في صحيفة اليوم التالي. إن التعامل بدون جدية مع قصة حول إصابة أو اكتئاب أو انزعاج لا يعتبر فكرة مناسبة، بل يدل على تبلد الإحساس وعدم احترام مشاعر الآخرين، كما أنه أسلوب عبثي ولا معنى له. وإذا تضمنت القصة عنصرا هزليا حقيقيا فلسوف يجده القراء ويضحكون بسببه على أية حال، لاسيما إذا رويته بوضوح وبأسلوب مباشر.

قد يتفق معظم الصحفيين على أن الكتابة الفكاهية الساخرة بالغة الصعوبة. لكن هذه الصعوبة لا تمنعهم من المحاولة. وفي الحقيقة فإن جزءا كبيرا من الكتابات الصحفية تعتبر فكاهية في المقصد، لا في الأثر، بحيث يقترب فشل الكتب الدراسية التي تعلم الصحافة في التعامل مع هذه المسألة من حد الإهمال الجنائي. فمجرد كلمتي "فكر مرتين" ستمثلان نصيحة ثمينة. لكن الأفضل أن تؤكد هذه الكتب إحدى الحقائق الأساسية للكتابة الساخرة، لأن ذلك سيوقف على - أقل تقدير في مرحلة كتابة المسودة - العديد من الجهود المضنية والمزعجة التي طبع نتاجها على صفحات الجرائد. وهذه الحقيقة هي: روح الفكاهة في الكتابة الصحفية الساخرة موهبة من الله لم يمنحها إلا لقلة قليلة منا.

الكتابة الفكاهية مثل الغناء المتناغم الذي لا ينشز، فإن تمكنت منه، لست بحاجة للتعلم؛ وإن كنت لا تستطيع، لن يساعدك التعليم مهما كان. والكوميديا المتنافرة، مثل الغناء النشاز، تعذب من يجربها وتحرجه. أو هكذا يجب أن تكون. لكن إن امتلكت الموهبة، سيكون الأمر سهلا نسبيا. ولسوف تميز أذنك بشكل غريزي الإيقاع الضروري للكتابة الفكاهية والكلمات الساخرة بحد ذاتها

تقريبا. ولن تحتاج لمن يعلمك بأن الدعابة تكون أكثر سخرية وهزلا حين لا يتبدى على وجه من يقدمها أي تأثير. ولسوف تبصر عينك الاحتمالات الهزلية الكامنة في عمق الحالات التي لا يرى الآخرون سوى سطحها، وسيترع عقلك بكل الإشارات المرجعية الثقافية والاجتماعية والتاريخية التي تكون الدعابة.

إذا كانت في ذهنك فكرة هزلية جيدة لمقالة مناسبة، اعمل عليها. ينبغي أن تكون مكتوبة بإحكام، وتفاجئ القارئ (لهذا لا تعتبر التورية فكاهة)، فذروة الدعابة تكمن عند نهاية الجملة الأخيرة. لا في الجملة ما قبل الأخيرة. وإذا أضفت إلى مقالة إطارا هيكليا ساخرا (أو معالجة هزلية) فيجب أن يكون قويا بما يكفي لحمل المقالة حتى النهاية. أما أسلم وأفضل الأساليب فهي أن تدع الفكاهة تتدفق بشكل طبيعي من قلب الأحداث ومن العبثية المتأصلة في الموضوع، بدلا من "دعابات" تقحمها من الخارج.

إذا راودتك الشكوك حول دعابة معينة أو جملة فكاهية مزعومة، اشطبهما. أما إذا تلاشت الشكوك كلها فتخيل أنك تقف على خشبة مسرح وتلقي مقالتك أمام جمهور من خمسمائة شخص. لا تنشر المقالة إلا إذا تأكدت من قدرتها على إثارة الضحك. وتذكر أن إضافة إشارة تعجب عند نهاية الجملة لن تحولها إلى جملة فكاهية ساخرة! بل ستجعل القارئ يعتقد بأنك هاو غرير!

الفعالية

اعتادت الصحف البريطانية والأمريكية، منذ القرن الماضي وحتى وقت قريب، أن تدفع للصحفيين أجورهم حسب عدد الأسطر. نظام الأجور هذا ولد جيلا من الصحفيين الذين اهتموا بالكم على حساب النوع. وهذا أنتج بدوره أسلوبا يعتمد على الإسهاب والتطويل كان من أهم سماته قدرة متبنيه وممثليه على استعمال أربع أو خمس كلمات في المقام الذي يمكن أن تكفي المعنى كلمة واحدة. ونتيجة لذلك، قدمت لغتهم المفخمة والمغالية (كرة القدم مثلا عرفت

باسم "الكرة الجلدية المراوغة") إسهاما دائما (وإن لم يكن مقصودا) في الفكاهة البريطانية. وكانت لغة الكتابة تفتقد الكفاءة والفعالية والدلالة إلى حد مشهود يمكن أن يثير الإعجاب!

لحسن الحظ، تقدم الأسلوب الصحفي (ونظام الأجور في معظم الحالات) إلى الأمام قليلا. الأجر حسب عدد الكلمات اعتبر منذ وقت طويل طريقة لرشوة الصحفيين لكي يكتبوا بأسلوب رديء. لكن بقي على قيد الحياة ما يكفي من ذرية الكتاب الذين كانوا يقبضون أجرهم تبعا لعدد الأسطر، لكي يقدموا بعض الملاحظات حول الكتابة التي تتميز بكفاءتها وفعاليتها ومردودها.

اجعل لكل عبارة وجملة دورا ومعنى في العمل

إما أن تنقل العبارات والجمل معلومات جديدة أو تساعد في تقدم الحدث وتطوره في القصة. فإن وجدت أي جزء منها لا يؤدي واحدة من هاتين المهميتين، اشطبه.

تجنب التراكيب اللغوية المسرفة

لكل لغة عبارات تستعمل في الكلام تعطي المتكلم وقتا لصياغة الفكرة التالية. في اللغة الإنكليزية، تشمل الأمثلة في هذا السياق: "من الحقائق المعروفة أن .. "؛ "في الواقع، ليس ثمة مجال للشك في حقيقة أن.. "؛ "يمكن أيضا ملاحظة أن.. ". تجنب مثل هذه العبارات، وتفادى أيضا التراكيب اللغوية الكسولة التي تبطئ تتابع فقرات وفصول القصة. فلغة الصحافة، لا سيما في التقارير الصحفية الحديثة، يجب أن تكون سريعة الإيقاع. ولا يمكن أن تتصف بهذه السمة إذا ركبت الجمل بالصيغة السابقة. "إن العامل الجوهري المطلوب في معظم الكتابات الصحفية - مقالات، رياضة، سيرة شخصية، وخصوصا التقرير الإخباري - هو سرعة الإيقاع التي تتكشف عبرها فصول القصة وتتطور أحداثها".

اكتب بدون أن تنظر إلى ملاحظاتك

لسوف تكتب بسرعة أكبر وفعالية أفضل إن توقفت عن مراجعة ملاحظاتك المدونة كل خمس ثوان! بل لا ينبغي عليك البدء بالكتابة قبل أن تتوضح القصة تماما في ذهنك، وإذا كتبت بدون مراجعة الملاحظات فستتناول العناصر الجوهرية فقط. أما التفاصيل، وتهجئة الأسماء، والأرقام، فيمكنك التحقق منها فيما بعد. ومن المؤكد - تقريبا - أنك ستضيف فكرة أو اثنتين نتيجة لذلك، لكن الهيكل الأساسي (المسودة الرئيسة) سيكتب بشكل أكثر فعالية وكفاءة إذا استخدمت أفكارك بدلا من نسخ عدد كبير من الملاحظات من دفترك.

لا تتردد أبدا في البحث عن الملاحظات المعروفة والسخيفة وحذفها

حتى أكثر الكتاب تمرسا وخبرة يجدون أنفسهم يكررون ملاحظات وتعليقات معروفة ومبتذلة. وهذه تكون غالبا جمل وصل تربط بين الفقرات التي كافحت لكتابتها، وفي محاولتك المتلهفة على وصلها لتشكل كلا واحدا، تجد نفسك تكتب مجرد هراء. قبل بضعة أسابيع فقط حذفت من قصة إخبارية كنت أكتبها عبارة "وبالطبع، فإن حياة راقصة البالية لا تنحصر فقط في سماع تصفيق الإعجاب.. ". فبالله عليك، من يظن أنها كذلك؟!! غالبا ما تجد أنك لست بحاجة إلى جمل الوصل هذه. وبمقدور معظم القراء تفهم التغير الطفيف في الاتجاه إذا ترافق مع تغير الفقرة.

لا تستخدم صيغة المبني للمجهول

الناس يقولون ويعلنون أشياء، ومن الأفضل كتابتها بشكل مباشر. ولذلك فإن عبارة: "سوف يفتتح مطار هيثرو مدرجا جديدا عام.. " تظل أفضل من عبارة: "تأكد لنا من مصدر مطلع أن مدرجا جديدا سوف يفتتح في مطار هيثرو عام.. ". بعض الأفعال مثل سأل، وأعطى، وطلب، غالبا ما تستخدم

بصيغة المبني للمجهول، مثل: "الطلب أتى حين سئل يلتسين.." (من الأفضل القول "طلب يلتسين"..). الفعل المبني للمعلوم ليس أكثر كفاءة في التعبير فقط، بل هو أكثر فعالية أيضا.

استخدم الدوائر السوداء الصغيرة (•) والقوائم لتعداد النقاط المهمة في القصة

قد لا يكون هذا الأسلوب مناسبا، لكنه يفيد حين يكون لديك لائحة طويلة بالنقاط المهمة. فبدلا من كتابة عدة فقرات مطولة مثلا لوصف التأثيرات الناجمة عن تخفيض الإنفاق الحكومي على قطاع النقل، يمكنك تعدادها على شكل بنود. لكن انتبه لتلك الحالة التي تجد نفسك فيها مضطرا لذكر معظم النقاط مجددا من أجل بعض التفاصيل. أضف التفاصيل إلى بنود القائمة.

تجنب المقيدات النحوية الخالية من المعنى

في اللغة الإنكليزية، تعد عبارات مثل "خطر جدي"، "شائعات غير مؤكدة"، و"تحذير لا مبرر له"، لغوا فارغا تماما، إذا فكرت فيها لحظة. فما هو الخطر "غير الجدي"؟ وإذا كانت الشائعات مؤكدة فلن تكون شائعات، بل حقائق، معروف مصدرها. بمقدورنا حذف النصف الآخر من كل هذه العبارات الآلية، إلى جانب المقيدات النحوية الأخرى، مثل "فريد إلى حد ما"، فإما أن يكون الشيء فريدا، أي وحيدا في نوعه، أو لا، وفي هذه الحالة لن يعود فريدا.

تجنب الحشو

الحشو هو تكرار الكلمات التي تفيد المعنى ذاته.

لا تستخدم الاقتباسات لإعادة ذكر النقاط الواردة في الكلام المنقول

وهذه عادة شائعة في الكتابة تؤدي إلى الإسهاب والتطويل، مثل: "أنكرت الوزارة هذه المزاعم، وقال ناطق باسمها -نحن نرفض هذه المزاعم-" اكتب إحدى العبارتين، ويفضل الأولى.

تعلم الكلمات التي يمكن استعمالها بدلا من العبارات الطويلة

على سبيل المثال: "الموضوع الذي أشير إليه" يعادل اسم الإشارة "هذا".

أخيراً، من التمارين المفيدة أن تراجع بعض مقالاتك المنشورة مؤخرا، ثم تستخدم القلم الأحمر لتخفيض عدد الكلمات المستخدمة، دون حذف أي من الحقائق الجوهرية. لسوف تفاجئ بمدى الإسهاب والتطويل في أسلوبك. لهذا السبب، فإن من التجارب المفيدة جدا للكاتب الصحفي العمل فترة كمحرر إعداد وتدقيق، ولا شيء يعادل كتابة قصة إخبارية معقدة من 250 كلمة في تعليمك الأسلوب الكفء والفعال والبليغ في الكتابة.

التنقيح

يجب أن يكون الكاتب أقسى وأعنف نقاد أعماله. من المهم أن تراجع ما كتبت، بحثا عن الأخطاء والعيوب، وتنقحها وتصححها إن لم تشعر بالرضى. في العادة، وبحلول الوقت الذي تقع فيه قصتك تحت بصر شخص آخر، يكون الأوان قد فات - إما لإدخال تحسينات عليها، أو لإنقاذ سمعتك. بعض الكتاب يفضلون كتابة نسخة عن القصة برمتها قبل إخضاعها للتنقيح - وقد يكون جذريا. بعضهم الآخر، ربما أولئك الذي يعلمون بشكل أكثر وضوحا ما يريدون، يفضلون تنقيحها فقرة فقرة. الأسلوب لا يهم، المهم أن يكون التنقيح شاملا، لا مجرد بحث سطحي عن الأخطاء الإملائية.

جورج اورويل، مؤلف "مزرعة الحيوانات" و "1984"، الذي اشتهرت كتاباته بالوضوح، يعتقد بأن هناك أربعة أسئلة ينبغي على كل كاتب طرحها عند كتابة أي جملة. يبدو ذلك عبثا مضنيا، وسيكون كذلك فعلا إن لم تصبح هذه الأسئلة آلية تطرح في اللاوعي بعد مدة. الأسئلة هي:

- ما الذي أحاول قوله؟
- ما هي الكلمات التي تعبر عنه؟

- ما هي الصورة (الذهنية) أو الأسلوب التعبيري الذي يجعلها أكثر وضوحا؟
- هل الصورة مبتكرة و"طازجة" بما يكفي لتحدث أثرا؟

ثم يضيف، من خلال الأفكار اللاحقة المهمة، سؤالين آخرين:

- هل أستطيع التعبير بأسلوب أكثر بساطة؟
- هل كتبت فكرة بشعة يمكن تجنبها؟

هؤلاء الذين يكتبون بانتظام سرعان ما يتعلمون طرح هذه الأسئلة حول كتاباتهم دون أن يبذلوا مجهودا واعيا يفوق ذلك الذي يتطلبه تحريك أعينهم فوق صفحة كتاب. لكن، أقترح سؤالين آخرين من الشائع طرحهما حول المسودة:

- هل هناك أية تفاصيل لم يتم شرحها، هل تم تفسير كل شيء بالشكل الصحيح؟
- هل يتدفق الأسلوب بسلاسة؟

إذا وجدت كل شيء على ما يرام، اترك مقالتك على حالها، وقاوم إغراء إضافة بعض العبارات الزاهية، كأنما أنت طاه يلقي المزيد من الزبيب في قالب "الكاتو". أما إذا لم تعجبك، فلربما تحتاج إلى أكثر من مجرد لمسة خفيفة لتصحيحها. علامات الترقيم، مثلا، ليست أسرع الطرق لإعادة الحياة إلى جمل وعبارات تحتضر. أعد الكتابة، والتركيب، والبناء، إلى أن ترضى عن عملك.

بعد ذلك، اختصر ما كتبت. هل هناك كلمات، أو عبارات، أو جمل تبطئ سرعة الإيقاع وتقطع سلاسة الأسلوب؟ نادرا ما قرأت مقالة لا يمكن تحسينها باختصارها. الاختصار، مثل شد "البراغي والعزقات" في قطعة أثاث. إن تركتها على حالها، ستصبح مهلهلة ومختلة ومزعزعة. انتبه على وجه الخصوص لما يبدو جيدا ومحكما ومعبرا عندما تكتبه. ومثلما قال صمويل جونسون ذات مرة: "أعد قراءة ما كتبت، وحين تجد فقرة تظن أنها ممتازة، اشطبها". فمثل هذه الفقرات لا تكون فعلا كما حسبتها في البداية.

متعة الكتابة

يمكن للصحفيين الذين يفتقدون الخبرة والتجربة أن يتعرضوا أحيانا لطغيان المشكلات الناتجة عن باعث كتابة ما هو واضح ومثير ويرغب الناس بقراءته. كما أن الكتاب الأكثر تجربة وتمرسا لا يتمتعون بمناعة تقي من هذا الشعور المحبط أيضا، وحين تسمعهم يتحدثون عن معاناة آلام الكتابة ستظن أنك لن تجد شخصا عاقلا يرغب بالكتابة إلا تحت تهديد المسدس! الصحفي الأمريكي الكبير المتخصص بالشؤون الرياضية، ريد سميث، قال ذات مرة: "الكتابة ليست صعبة. كل ما عليك أن تجلس أمام الآلة الكاتبة وتفتح وريدا من أوردتك". ورد صحفي أمريكي آخر (غور فيدال)، بالجواب الحاسم، حين كتب يقول: "عندما أسمع عن انقطاع الإلهام، عن هذا الكاتب أو ذاك، أقول: سحقا! توقف عن الكتابة".

من المؤكد أن الكتابة تتطلب جهدا وعرقا في بعض الأحيان. وهناك بالطبع قصص تبدو مربكة ومشوشة ومختلطة إلى أن تقضي ساعات عديدة تصارعها لتأخذ شكلا مقبولا، وهنالك أوقات تعاني فيها من ألم مبرح حين يقترب الموعد المضروب ولم تكمل سوى نصف مقالتك، ولم تترتب أفكار النصف الآخر. لكن متعة اقتناص حدث وتثبيته على الورق بالكلمات، كلماتك أنت، متعة هائلة. كذلك الإثارة التي تترع كيانك حين تبدأ كتابة مقالة وليس لديك سوى خلطة منوعة من المعلومات المتباينة، لتجد نمطا ناظما لها، وأفكارا جديدة حولها مع كتابتها.

> ***"عليك أن تكتب، وتمزق أو تحرق الكثير من المادة التي جمعتها قبل أن تشعر بالرضى. ولربما تبدأ الآن وتنجز ما هو ضروري. لأنني أؤمن بأن الكمية في نهاية المطاف سوف تؤدي إلى النوعية".***

راي برادبري.

15

المقدمات التمهيدية

"امسك بخناق القارئ دوما في الفقرة الأولى، وادخل إبهامك في قصبته الهوائية في الثانية، واحشره في الزاوية حتى السطر الأخير"

بول اونيل، كاتب أمريكي

المقدمة هي أهم فقرة في القصة. ويمكنها أن تجعل القارئ راغبا في متابعتها حتى النهاية، أو توقفه عن القراءة ليبحث عن مقالة أخرى. ولن يتردد في فعل ذلك. فالصحف تُستهلك غالبا بسرعة، من قراء ليس لديهم سوى وقت محدود لمطالعتها، في أماكن وظروف ليست مصممة للاسترخاء والتفكر - قطارات، سيارات تتوقف عند الإشارات الضوئية، مكاتب، شوارع.. الخ. ومن المرجح أن فشل الفقرة الأولى في إثارة انتباه القارئ سوف يؤدي إلى عدم متابعته الفقرة الثانية.

وهذا التقدم لا تقرره دوما نوعية المقدمة. فهناك عوامل أخرى تلعب دورا: العنوان المثير يلهم القارئ أحيانا لتجاوز المقدمة، والاهتمام الشديد بالموضوع قد يجبره على الاستمرار في القراءة في حالة نجاح القصة في إثارة فضوله. كما يتأثر القراء أيضا بحجم الصحيفة (تلك التي تضم 96 صفحة تعرض

بدائل من المقالات تفوق تلك التي تضم 12 صفحة). ولا يمكنك، كصحفي، التأثير في هذه العوامل أو امتلاك معرفة مسبقة بها (لا تقل إنك تعرف حجم الصحيفة. بالطبع تعرفه، لكن القارئ قد يشتري عدة صحف أخرى). أما الطريقة الوحيدة التي تستطيع بها حث القارئ على تجاوز المقدمة فهي تحسينها.

كيف تكتب مقدمة مثيرة

مهما كان نوع المقدمة التي تكتبها لأي نمط من القصص، هنالك بعض النقاط المهمة التي ينبغي أن تتذكرها:

يجب أن تكون المقدمة مباشرة، وغير مشوشة، وغير مبهمة

ينبغي أن يكون هناك سؤال واحد في ذهن القارئ حين يقرأ مقدمة لمقال: "هل أرغب في قراءة هذه القصة؟". يرجح أن يكون الجواب "لا" إذا أثرتَ أسئلة أخرى نتيجة الغموض والتعقيد. من المهم أيضا إزالة أية عناصر مشوشة غير مرغوب فيها، مثل تفصيل لا ضرورة له، أو عناوين دقيقة، أو مصادر مثبتة، يمكن تأجيلها إلى الفقرة التالية أو ما بعدها.

يجب أن تكون المقدمة مستقلة بذاتها

باستثناء بعض أنواع المقالات، يجب أن لا تعتمد المقدمة في معناها على الفقرات اللاحقة، فيما عدا التفسير والعرض. ولا أن تضم أي حقائق، أو أشخاص، أو أحداث، أو مؤسسات، أو أماكن غير محددة إلا في حالة الضرورة القصوى.

لا تبدأ القصة بالجمل المساعدة

على سبيل المثال، "بالرغم من ارتفاع عدد الجرائم.."، أو "مع أن الجرائم تزداد بشكل يومي تقريبا..". هذا الأسلوب بطيء، يؤخر النقطة الرئيسة، ويثير الأسئلة في أذهان القراء. البدايات بالجمل المساعدة تمارس هذا التأثير السلبي في كل مكان، ولذلك لا يجب استعمالها كثيرا حتى في الجزء الرئيس من النص.

لا تبدأ القصة بأعداد رقمية

اكتب الرقم (كتابة)، وإذا كان طويلا، حاول العثور على طريقة أخرى لبدء القصة. لا تقحم كلمة "حوالي"، مثل: "توفي حوالي 47 شخصا يوم أمس حين.."، لأن ذلك يجعل المعلومات الدقيقة تبدو كتخمينات جامحة.

لا تبدأ القصة بالأسماء الرسمية للمؤسسات والهيئات

البدء بالأسماء "البيروقراطية" الطويلة أسلوب سيئ لبداية القصة، إلا إذا كان لديك سبب استثنائي أو كانت القصة ساخرة. فإذا بدأت بـ"وحدة مكافحة التلوث في وزارة الزراعة والثروة السمكية أعلنت يوم أمس.."، لن يتابع القراء قصتك وتفوتهم فرصة معرفة أن كل السمك الذي تم اصطياده (في نهر كذا) ملوث ولا ينبغي أكله. ابدأ بدلا من ذلك إما باختصار للاسم، مثل "خبراء التلوث في الحكومة"، أو أخبر قراءك بما حدث، ثم انسب الخبر إلى مصدره فيما بعد (والخيار الثاني أفضل).

لا تبدأ بالاقتباسات إلا عند الضرورة

بدء القصة بالشاهد المقتبس يحير ويربك القراء، لأنهم لن يعلموا المصدر حتى تخبرهم. هنالك قلة قليلة من الحالات المعزولة يكون فيها الاقتباس طريقة جيدة للبدء، لكن ينبغي فيها تحديد المصدر على الفور.

تجنب المقدمات التي تبدأ بـ"تبين أن" أو "ظهر أن .. " أو "اتضح أن .."...

المقدمة السيئة الشائعة في الصحف الناطقة بالإنكليزية في نظري هي تلك التي تبدأ بـ"تبين الليلة الماضية أن .. ". فهي تستجدي على الفور التساؤل: من أو ما هو الذي تبين؟ كما أن "ظهر" كلمة سخيفة لوصف شيء أعلن، أو كشف، أو قيل، أو نشر. والقصة الوحيدة التي تبرر استخدام مقدمة تبدأ بـ"ظهر الليلة الماضية.." هي تلك التي تكشف عن الظهور المفاجئ لوحش بحيرة "لوك نيس" من غيهب الأعماق!

لا تنشغل بهاجس طول المقدمة

تتبنى بعض الصحف قواعد ناظمة للحد الأقصى لطول المقدمة. فإن كانت صحيفتك كذلك، لن تملك خيارا سوى اتباعها. وإلا، لا تقلقك إذا خرق طول المقدمة بعض "الحدود" الوهمية. لم أقرأ أبدا رسالة من قارئ يشتكي فيها من طول مقدمة. وطالما استطاعت المقدمة إثارة انتباه القارئ، فهي تؤدي مهمتها.

في العادة، حين تتناول الكتب التعليمية موضوع المقدمة، يعدد المؤلفون مختلف أنواع القصة الصحفية (الأخبار المباشرة، الاهتمامات البشرية.. الخ)، ويعرضون المقدمات المستخدمة في كل منها. لكن هذه الطريقة خاطئة وسخيفة وغير مفيدة. فهي تعطي انطباعا بأن الكتابة أمر يتعلق باكتساب التقنيات الأسلوبية فقط، وأن بالإمكان تزويد الصحفي بحقيبة من الأدوات (ووسائل الخداع) بحيث يفتحها ويخرج منها ما يناسب الحالة والظرف: "ها هي قصة حول الاهتمامات البشرية، وها هي مقدمتها الجاهزة!!". كما أن هذه الطريقة تنتج الكتابة القائمة على الصيغة المعيارية المحددة التي تعتبر داء يصيب الكتاب. ولذلك، من الأفضل أن نعرض مقاربات مختلفة لكتابة المقدمة، وأن نترك للكاتب تحديد كيفية تطبيقها.

مقاربة الأخبار الجدية

اعتادت الصحف في الماضي نشر قصص الأخبار الجدية والخطيرة تحت عناوين تضم العديد من الأسطر. وهذه تعرض جميع النقاط الرئيسة للقصة، وتضم أحيانا عددا من الكلمات تعادل ما يضمه العنوان والفقرة الأولى في صحف اليوم. لنعاين التقرير التالي من صحيفة "فيلادلفيا انكوايرر" (الاثنين 1865/4/17) الذي يضم أخبار اغتيال الرئيس لنكولن يوم الجمعة السابق:

المأساة الكبرى!

الأمة تشيع رئيسها الجليل

الفرح تحول إلى حزن!

شهيد الحرية العظيم

جريمة اغتيال الرئيس

التفاصيل الكاملة لحادثة الاغتيال

رواية الشهود البارزين

مشهد الغرفة التي قضى فيها لنكولن

رحيل وطني نبيل

نجاة القاتل الجبان

السيد سيوارد ما زال على قيد الحياة

حالته الصحية جيدة

تنصيب أندرو جاكسون رئيسا!

خطاب التنصيب

آراء حول الرئيس الجديد

الرئيس الجديد يحتفظ بالإدارة القديمة!

إعلان رسمي من الوزير ستانتون

تقاريرنا الإخبارية الخاصة!

لا عجب أن ندرك أنه ليس ثمة حاجة لكتابة ما ندعوه اليوم مقدمة أخبار جدية. هنالك عدد كبير من الكلمات في العناوين المذكورة آنفا، يتجاوز ما يحتويه العنوان والفقرتان التاليتان في القصة الإخبارية لصحف اليوم.

بعد حوالي مائة سنة تقريبا، وفي أصيل الثالث والعشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر 1963، اغتيل الرئيس كنيدي. نقدم فيما يلي العناوين والمقدمات التي ظهرت في عدد اليوم التالي من "دالاس نيوز مورنينغ":

اغتيال كنيدي في أحد شوارع دالاس

جونسون يتسلم الرئاسة

اتهام شيوعي بالجريمة

أطلق قناص النار على الرئيس جون اف. كنيدي وقتله في أحد شوارع دالاس يوم الجمعة. وقبل منتصف الليل بقليل وجهت تهمة القتل إلى رجل مناصر للشيوعية في الرابعة والعشرين من العمر، حاول سابقا الهرب إلى روسيا.

عدد كلمات العنوان الرئيسي والمقدمة هنا لم يتجاوز كثيرا نصف عدد كلمات العناوين وحدها في قصة لنكولن. وإذا تركنا جانبا مسألة الإشارات المحملة بالدلالات إلى "مناصر للشيوعية"؛ تصبح المقدمة مماثلة في الشكل والمضمون لتلك التي تمهد للقصص الإخبارية الجدية في أمريكا وبريطانيا ومعظم بلدان العالم الأخرى اليوم.

بدأت المقدمات التي تعتمد على ترتيب الأحداث حسب تسلسلها الزمني أو التطور البطيء لها بالاختفاء من الصحف في بدايات هذا القرن. العناوين الرئيسة أصبحت أكبر في حجم الخط، لكن أصغر بكثير من حيث عدد الكلمات، وبالتالي توجب على المقدمة أن تؤدي المهمة التي أدتها العناوين فيما مضى. وقصر طول القصة مع انتشار التعليم، ولذلك توجب أن تكتب بأسلوب سريع وجازم، وغدت الصحف أكبر حجما مما زاد حدة المنافسة على جذب انتباه القارئ داخل الصحيفة ذاتها. كل هذه الضغوط داخل صناعة الصحافة سرّعت عملية ارتقاء وتطور مقدمة الأخبار الجدية.

العوامل الضاغطة من خارج المهنة مارست تأثيرها أيضا. فشمولية قوة الإعلانات، بلغتها السريعة السهلة ورسائلها البسيطة، تركت تأثيرا هائلا على الثقافة الشعبية في مختلف أرجاء العالم. والتغيرات الاجتماعية التي حدثت، مثل تملك شرائح واسعة من المواطنين للسيارات، وانتشار محطات الإذاعة والتلفزيون، والتأثير العام الأعظم نفوذا، كانت تعني في دلالاتها تقلص الوقت المتاح للناس لقراءة الصحف. فقد أراد القراء (وحصلوا على) الأخبار والمعلومات بشكل مباشر.

كل ما قلناه عن مقدمة الأخبار الجدية يتعلق بالنظرية، لكن ماذا عن الممارسة؟ نحن نتناول هنا نقل الأخبار فور وقوع الحدث في المقام الأول. أما القصص الإخبارية المكتوبة حول موضوع تال للحدث بعدة أيام فلربما تحتاج مقاربة مختلفة، بل تحتاجها بالتأكيد إذا تناولته أثناء ذلك الإذاعة والتلفزيون.

يتمثل هدف المقدمات كلها في الاستحواذ على القراء وإثارة اهتمامهم إلى حد الرغبة القوية بمتابعة القراءة. الأمر الذي يعني، بالنسبة لمقدمات الأخبار الجدية، أن أهم جانب (أو جوانب) في القصة من حيث قيمة الخبر، يجب أن يتوضع في البداية. وهذا يصدق على وجه الخصوص على الصحيفة التي تتبنى أسلوبا غامضا وملغزا في كتابة العناوين الرئيسة، حيث لا تقدم سوى القليل من المعلومات التفصيلية حول القصة الإخبارية اللاحقة. وفي هذه الحالة تتضاعف الأسباب الموجبة للدخول في الموضوع بأسرع ما يمكن. وهو أمر ليس صعبا في القصص الإخبارية الخطيرة والواضحة المعالم. فإذا قتل 345 شخصا في حادث تحطم طائرة، لا يوجد مجال للشك حول مقدمة الخبر الجدي: "قتل ما لا يقل عن 345 شخصا حين سقطت طائرة بوينغ 747 تابعة لشركة -غلوبال ايرلاينز- فوق منطقة سكنية في ضواحي مدينة سين الليلة الماضية". لكن العديد من القصص ليست مباشرة وواضحة إلى هذه الدرجة. إذ إن لها عدة زوايا (جوانب) لا يمكن أن نجمعها كلها ضمن المقدمة دون أن نجعلها مربكة ومشوشة. وعليك أن تقرر أيها الأهم من ناحية قيمة الخبر.

كل ذلك يجعل الأمر يبدو سهلا، لكنه ليس كذلك في الواقع. فالعديد من الصحفيين المحنكين والمتمرسين أمضوا ساعات طويلة في كتابة المقدمات، ثم رفضها، ثم كتابتها مجددا. والقضية المتعلقة بأفضل زاوية أو جانب لكتابة المقدمة تعتبر على الأرجح أكثر أجزاء العمل المسببة للجدل في غرف الأخبار في شتى أرجاء العالم. ومن المؤكد أنه لا يوجد ببساطة رأي صائب وآخر خاطئ، بل جملة من الآراء المتعارضة والمتناقضة.

إذن، إن تعددت الآراء في ذهنك حول كتابة مقدمة القصة الإخبارية، فهل يمكنك الحصول على أي عون في هذا المجال؟ لحسن الحظ، يمكنك ذلك. والعون هنا يأخذ شكل نصيحة أسداها لي قبل سنوات عديدة بيتر كاريغان، وأظنها أفضل وأنفع نصيحة قدمت لي في حياتي. أما عنوانها فهو "العبرة المستخلصة من حكاية الصديق الواقف على التل":

تخيل أن كل معلومات القصة قد تجمعت في ذهنك وأنت تسير في الريف. وفجأة، تبصر على قمة تلة قريبة صديقا تعرف أنه متلهف على معرفة قصتك. تجري صعدا باتجاهه، ترتقي وترتقي، وحين تصل إليه لاهثا مقطع الأنفاس وقد هدك الإعياء، لا تنطق إلا بجملة واحدة قبل أن تنهار. ما هذه الكلمات الأولى التي نطقتها بدون تفكير؟ إنها مقدمتك.

هنالك تنويعات على هذه النصيحة، كأن تتخيل أنك ترسل برقية حول القصة، ولأنك تعلم أن لكل كلمة ثمنها، عليك أن تحدد بشكل صارم عدد الكلمات: ست، أو حتى أربع. وهذا يدفعك إلى التفكير بالكلمة (أو الكلمات) الأساسية فيها. ويمكنك بعد ذلك بناء القصة حولها. جيفري موراي، مراسل وكالة "رويتر" المحنك، يروي حكاية توضح ذلك بشكل مثالي: الحكاية تدور حول مراسل الوكالة في الهند الذي كان يغطي ما يفعله المهاتما غاندي في إحدى المناسبات عام 1947. وهي تتعارض مع النسخة الموجودة في الأرشيف الرسمي لتاريخ الوكالة، لكن ذلك لا يحرمها من قيمتها "العلاجية" لكتاب المقدمات المصابين بالارتباك والتشوش.

كان مراسل "رويتر" يحضر صلاة جماعية يشارك فيها الزعيم الهندي، حين قفز رجل فجأة وأطلق عليه النار. أصيب غاندي بجراح خطيرة لكن لم يمت على الفور. وهرع المراسل إلى أقرب مركز بريد لإرسال برقية إلى لندن، لكن لم يجد في جيبه ما يكفي من النقود إلا لإرسال أربع كلمات فقط. فما هي؟ "المهاتما غاندي أصيب هنا"؟ - يمكن الافتراض على الأرجح بأن المكتب

يعرف اسم الزعيم الكامل، ومكانه، ومكان المراسل. إذن، كلمتا "المهاتما" و"هنا" لا ضرورة لهما. وكانت برقيته هي: "أصيب غاندي ويخشى الأسوأ" - وهكذا نقل بأربع كلمات محاولة الاغتيال، واسم الضحية، والنتيجة المرجحة. كما نبه المكتب للاستعداد لنشر النعي - وهو أمر حيوي بالنسبة للوكالة ولعملائها كلهم.

(لكن حذار: فالإيجاز يمكن أن يولد الغموض. فقد تلقى مكتب وكالة "رويتر" في لندن رسالة من نيويورك في أيلول/ سبتمبر 1901، تقول: "Mckinley shot Buffalo" (حرفيا: "مكينلي أصاب جاموسا"). فرفضها محرر شاب قائلا: "يا لهؤلاء اليانكي. يظنون على ما يبدو أننا مهتمون برحلة صيد يقوم بها رئيسهم". لكن رئيس التحرير المسؤول أنقذ الموقف وأدرك أن كلمة "Bufflao" لا تشير هنا إلى الحيوان (جاموس) بل إلى المدينة المعروفة في ولاية نيويورك. وهكذا كانت الوكالة أول من نشر خبر اغتيال الرئيس الأمريكي في العالم).

مقاربات أخرى

في معظم الحالات التي تُنقل فيها أخبار (فور وقوع الحدث) تهم الرأي العام، تعتبر مقدمة الأخبار الجدية أفضل خيار. لكن هناك بالطبع العديد من الطرق والأساليب الأخرى لبدء القصة. ويمكن تطبيق بعضها على القصص الإخبارية في الوضع المناسب. فبدايات المقالات الصحفية (التي تعالج موضوعا معينا بالتفصيل) تكون عموما أكثر تحررا في الصيغة، وبالنسبة لهذه على وجه الخصوص، فإن المعايير الوحيدة هي نجاحها في تقديم المطلوب، وفي كونها مبتكرة وطازجة. وهو أمر يصدق بالقدر نفسه على مقدمات المقالات التحليلية، والوصفية، والتعليقات، وتلك التي تتناول الشخصيات.

يجب على كل كاتب أن يجعل المقدمات موضوعا للدراسة طيلة الحياة. وأن يقرأ كل ما يقع عليه من مقدمات في الصحف والمجلات. وحالما تبدأ دراسة المقدمات ستدرك بسرعة أن الأنواع الرئيسة التي لا تتجاوز أربعة أو خمسة كما حسبت ستتضاعف لتبلغ العشرات. الأنواع التالية تمثل بعضا من تلك المستخدمة

في القصص الإخبارية والمقالات. بعضها يثير قضية اعتبار المقدمة مؤلفة من عدة فقرات لا واحدة (سنتناول هذه القضية بالتفصيل في الفصل القادم).

المقدمة السردية

المقدمة هنا تتعامل مع القصة بطريقة تعتمد على التسلسل الزمني. وهي شائعة الاستخدام في المقالات المخصصة لمعالجة موضوع معين بالتفصيل، وأحيانا في القصص الإخبارية التي يكون فيها السؤال "كيف حدث"، أكثر إثارة أو أهمية من "ماذا حدث؟". أما استعمال (والتعسف اللاحق في استعمال) البداية المرتبة زمنيا في المقالات الإخبارية من قبل صحيفة "صنداي تايمز" اللندنية فقد ولد المذهب الجاف الشائع الآن لكتابة المقدمات. على سبيل المثال:

في الساعة 12.47 بعد الظهر، غادر رجلان يرتديان بزتين زرقاوين متماثلتين، ويحمل كل منهما حقيبة "سمسونايت"، السفارة "الفلانية" من الباب الخلفي.

أوقف الاثنان سيارة أجرة، وطلبا من السائق الذهاب إلى محطة فكتوريا، بعد أن جلسا في المقعد الخلفي المصنوع من الجلد الأسود. خلال الدقائق الخمس والعشرين التي تطلبها الوصول إلى المحطة في ذروة الازدحام وقت الغداء، لم يترك أي منهما حقيبته - البريئة المظهر - ثانية واحدة.

في محطة فكتوريا، أخرج الرجل الأطول قامة ورقة نقدية جديدة من فئة خمسة جنيهات وأعطاها للسائق، وهو أب لثلاثة أطفال يبلغ من العمر 47 عاما، اسمه هنري وينغفيلد. ولم يعرف سوى القيل عن وجهة الرجلين النهائية..

وهكذا، قد تستمر القصة على هذا المنوال على امتداد بضع فقرات. لهذه المقاربة الروائية الأسلوب فوائدها، لولا محذور واحد: فإثارة فضول القارئ (وتعذيبه) على هذا النحو تعني أنك حين تصل أخيرا إلى النقطة الرئيسية، ينبغي أن تكون قوية ومؤثرة ومثيرة. فإذا كان الرجلان، في مثالنا السابق،

جاسوسين ينقلان أسرار الدولة، أو كانا يستهدفان تفجير سفارة معادية، فإن المقدمة المطولة لها ما يبررها. لكن هذا المبرر ينتفي تماما إذا تبين في النهاية أنهما عائدان إلى المنزل بعد أن حصلا على إجازة مدة نصف يوم، وأنهما من هواة جمع الطوابع مثلا.

الحكاية

المقدمة هنا تروي حكاية مستقلة بذاتها لتوضيح جانب من موضوع القصة، وتستخدم عادة في المقالات الإخبارية المطولة إما للتعريف باللاعبين الرئيسيين، أو إظهار علاقاتهم، أو نقل صورة موجزة مجهولة من تسلسل الأحداث المعروفة لولاها في القصة. ومن المهم هنا التأكد من أن الحكاية فريدة وذات مغزى.

تأخير الحدث الرئيس

تتألف المقدمة هنا من عدة فقرات (وأحيانا العديد من الفقرات) حيث تؤخر الفكرة الرئيسة، مثل "لب الدعابة أو النكتة"، إلى النهاية. وغالبا ما يستخدم هذا الأسلوب في القصص الإخبارية الخفيفة والمقالات التي تتناول موضوعات غير جدية، حيث توصف الأحداث اليومية في بضع فقرات، يليها التمهيد إلى جوهر القصة في فقرة تبدأ حتما بـ"والآن.."، أو "وعندئذ..".

في أغلب الأحوال، ينتج هذا الأسلوب الشائع والمبتذل، مقدمات فيها الكثير من السخف والتفاهة، من نوع ".. لكن لم يكن ليخطر بباله أن الحادث سيقع بعد.."، مثل: "كانت الرحلة مثالية. فالجو صاف، والشراب لذيذ، والطعام شهي. لكن الركاب لم يعرفوا حين ربطوا أحزمتهم استعدادا للهبوط أن الطائرة ستحترق بعد دقيقتين، وتهوي إلى الأرض بخلال ثوان معدودات، وأنه لن ينجو منهم سوى اثنين".

مقدمة الجملة الواحدة

يعاكس هذا النوع تماما النوع السابق. فالقصة بأكملها تلخص هنا بجملة معبرة واحدة، تكون بليغة، ومحفزة، ومثيرة، وقوية حين تنجح، لكن كارثية حين تفشل: فهي تحتاج إلى خبرة، وموهبة حقيقية، وحكم صائب حصيف. أما أنسب استعمال لها فهو في القصص الإخبارية المهمة، المفاجئة إلى حد ما، والتي ستتناولها وسائل الإعلام كافة. من أفضل الأمثلة في هذا المجال، وفاة هتلر في أيار/ مايو 1945. تخيل أنها قصتك. ما الذي ستكتبه حول هذا الخبر (الذي بثته محطات الإذاعة)، ولا يكون معروفا وواضحا ويفتقد الإثارة؟ إنها مهمة صعبة. لكن صحيفة "نيوز كرونيكل" البريطانية بدأت القصة بجملة واضحة صارخة: "مات أكثر رجل مكروه في العالم". هنالك أيضا المقدمة التي كتبها جاك لندن (مؤلف كتاب "الناب الأبيض") لمجلة "كوليرز ويكلي" في نيسان/ أبريل 1906. فقد كلف بتغطية زلزال سان فرنسيسكو والحريق الهائل الذي شب في إثره، ودمر معظم مباني المدينة، وشرد 225 ألفا من سكانها. بدأ لندن تقريره بجملة من أربع كلمات: "San Francisco is Gone" ("سان فرنسيسكو زالت من الوجود").

مقدمة الخلاصة

تعمل هذه المقدمة على مسح المجال الذي سيأخذ الكاتب القارئ إليه، واستخدام أفضل ما فيه لتكثيف العناصر الرئيسة في سلسلة معقدة من الأحداث. على سبيل المثال، القصة التي تدور حول الغش في المراهنات (ومنها سباق الخيل) يمكن أن تبدأ على النحو التالي: "كان جو مارتن مقامرا متلهفا على الفوز في سباق الخيل إلى حد أنه ابتكر مضمارا وهميا، وعقد -اجتماعا- فيه، وأقنع أصدقاءه بالرهان على النتائج الوهمية، وكاد ينجح ويفلت بفعلته من العقاب".

يستخدم هذا النوع من المقدمات أيضا حين تكمن إثارة القصة في عدد من تطورات الأحداث، لا في النقطة الرئيسة. وبالرغم من أن مقدمة

الخلاصة مفيدة جدا، إلا أن الخطر يتمثل في أنها تفتقد الشمولية إلى حد أنها ترجئ تحديد أهم جوانب القصة إلى الفقرة التالية. ولربما تكون أفضل طريقة لتجنب ذلك هي التفكير فيها باعتبارها تشابه مقطع الفيلم السينمائي الذي يعرض مسبقا ويسلط على ما فيه من أحداث. وتصبح مفيدة وقيمة على نحو خاص في القصص التي تتناول سلسلة واسعة من المواضيع أو الأشخاص، أو في تلك التي تتناول السير الحياتية. على سبيل المثال: "لم يكن فاروق ملكا فقط، بل كان سائقا متهورا، ونصابا، وزير نساء، وشرها، ولصا، ثم أصبح الآن خليعا بدينا يعيش في المنفى. إنه في الحقيقة ملك لم يبلغ سن الرشد أبدا".

مقدمة العبارة الغريبة

في هذا النوع من المقدمات يفتتح الكاتب قصته بعبارة غريبة أو مذهلة في محاولة لإثارة فضول القراء ودفعهم لقراءتها. أحد المراسلين الحربيين بدأ تقريره بجملة: "حلقت ذقني هذا الصباح بنبيذ أحمر معتق.." قبل أن يتابع ليقول إن الوحدة التي يرافقها استولت للتو على واحد من أهم كروم العنب من الألمان.

المقدمة الصادمة

هنا، يأخذ الكاتب بعضا من المعلومات من القصة (الأصل والنتيجة، على الأرجح) ويجمعها معا بحيث تنتج مفاجأة صادمة. التحفظ في التعبير أمر جوهري في هذا النوع من المقدمات. المثال التالي يبدو فيه أحد الصحفيين الأمريكيين وكأنه يكتب عن حادث روتيني عادي: "أشعل بيلي راي لفافة، بينما كانت قدماه تغوصان في بركة من البترول. لربما كتبت له النجاة".

مقدمة المشهد المعد

في هذا النوع، يرسم الكاتب بالكلمات صورة لمشهد غير عادي، أو مهم لفهم الموضوع. وهو يستخدم على نطاق واسع في المقالات الطويلة حول

الأحداث والأخبار الخفيفة أو المقالات الوصفية. مقدمة المشهد المعد يجب أن تكون مكتوبة بأسلوب رشيق، وأن يفسر مغزاها ومدلولها بسرعة، كما في المثال التالي:

تخيل المشهد. الوقت شتاء، وداخل الشقة الباردة يجلس رجل عجوز لا تستر جسمه سوى عباءة خفيفة. كان منكبا على الطاولة يفحص شيئا بالمجهر. بينما تراقص لهب الشمعة قرب مرفقه. فجأة، اعتدل في جلسته، وابتسم، ثم أخرج ورقة نقدية من جيبه ووضعها على لهب الشمعة وأشعل بها سيجارا.

لابد أن تجد نفسك مضطرا لمتابعة القراءة لتعرف ما الذي يفحصه، ولماذا لا يحتاج إلى تدفئة، ولماذا لا يرتدي ثيابا سميكة، ولماذا أشعل السيجار بورقة النقود. لكن القصة تخبرنا بأنه مزور عملة يمر بأوقات صعبة. البراعة هنا هي كتابة شيء يتلهف القارئ على معرفة ما حدث بعده.

مقدمة السؤال

الافتتاحية خطيرة هنا، لأن القراء يميلون إلى إعطاء جواب فوري. لذلك من الأفضل عدم طرح الأسئلة المباشرة السهلة الإجابة، أو تلك التي تستدعي إجابات مفاجئة، لأن ذلك سيكون بمثابة مؤشر لا يخطئ على أن المعلومات الواردة في الجواب من الأفضل عرضها في المقدمة. وغالبا ما يستخدم هذا النوع (بشكل غير حكيم) في المقالات الخفيفة حول أساليب الحياة، مثل: "كم مرة غسلت يديك اليوم؟"، لكن من الأفضل استخدامه في المقالات التي يكون فيها للسؤال إجابة (أو إجابات) معقدة لا يمكن لأي قارئ معرفتها، وبالتالي تؤجلها حتى نهاية المقالة. وحتى في هذه الحالة، يجب عدم التمادي في استخدام هذا النوع من المقدمات. أما تطبيقه على القصص الإخبارية (التي يفترض أن تقدم الأجوبة، لا أن تطرح الأسئلة) فسوف يكون عبثيا وسخيفا.

مقدمة الدعابة

هذا النوع هو أكثر المقدمات شيوعا وانتشارا، لكن مثلما أشرنا في الفصل السابق، لا يبلغ الفكاهة كل من حاولها. وبالرغم من ذلك، تعتبر مقدمة

الدعابة فعالة جدا حين تكون ناجحة لأن القراء يشعرون بأنهم في صحبة كاتب مسل ولسوف يقرؤون كتاباته دوما أملا بمزيد من الفكاهة والسخرية.

يمكن للبداية أن تقتصر على سطر واحد، مثلما كتب اورورك في مجلة "رولنغ ستون" الأمريكية: "لربما يزيد عدد جولات البحث عن الحقائق في نيكاراغوا اليوم على الحقائق ذاتها".

أو يمكن أن يتجمع عدد من الجمل التي تؤدي إلى "لب الدعابة"، مثلما كتب اورورك أيضا:

> ***أمضيت أنا وصديقتي دوروثي عطلة نهاية الأسبوع في مدينة هيرتيج في الولايات المتحدة، في المنتجع ومدينة الملاهي اللذين أنشأهما المبشران - التلفزيونيان- جيمي وتامي باركر لبعث الديانة المسيحية. أتينا أنا ودوروثي لنسخر من الفكرة - لكن رجعنا مؤمنين، بعبادة الشياطين لسوء الحظ.***

المقدمة الفلسفية

وتتألف من عبارة عريضة وشاملة تتضمن حكمة أو قولا مأثورا، يفترض أن تبدو عميقة الغور، لكنها نادرا ما تكون كذلك. حاذر من أن الفكرة التي تدركها حول الوضع الإنساني، وتأتي إليك قبل قليل من الموعد المحدد للنشر، يستبعد أن تبدو على ذلك القدر من الغنى في المعنى والمدلول في اليوم التالي.

هنالك تنويع على هذه المقدمة تجسده تلك الحيلة المستخدمة في المقالات الجامعية القديمة، حيث تقدم العبارة في المقدمة لغرض وحيد هو نقضها ودحضها في الفقرات اللاحقة. المشكلة في هذه المقاربة تكمن في أنها تأتي عرضا، كحيلة يستخدمها الكاتب بدلا من أن تكون بداية إبداعية تنبثق بشكل طبيعي من المادة.

المقدمة التاريخية

هنا، تبدأ القصة بعبارة حول تاريخ الموضوع، مثل: "في عام 1948، قررت حكومة.. تشديد الإجراءات على الحدود، ومنذ ذلك الحين، أوقفت العمل

بالتقليد الذي اتبعته طويلا في استقبال الأجانب بدون تأشيرات دخول مسبقة". مع هذا النوع من المقدمات، إما أن تكون الحقيقة التاريخية بحد ذاتها مثيرة بما يكفي للاستئثار بانتباه القارئ، أو أن تكون الانعطافة (التي تظهر عادة في الفقرة التالية مبتدئة بـ "لكن..") قوية ولافتة. وإلا يمكن أن تبدو مملة وفارغة. ومن الأفضل على الدوام تقريبا إعادة صياغتها انطلاقا من المعلومات المتضمنة في الفقرة الثانية من المقدمة.

المقدمة الزائفة

أخيرا، هنالك مقدمة لا تنتمي إلى أي نوع على الإطلاق، لكنها خطأ شائع وواسع الانتشار. "المقدمة الزائفة" هي تلك التي يفتتح فيها الكاتب مقالته ظانا أنها ستثير انتباه القراء، لكن في الحقيقة يمكن الاستغناء عنها كلية. وهي شائعة الاستخدام في المقالات التي تتناول موضوعا محددا أو القصص الإخبارية الخفيفة، وتتخذ عادة شكلين اثنين: أولا، الدعابة الفاشلة، مثل المقدمة التالية لقصة إخبارية تتناول سيارة رياضية جديدة: "أيتها الفتيات! ابتعدن عن حلبة المنافسة، لقد ظهرت فاتنة جديدة ستحتل مكانكن في أحلام الشبان!". ثانيا، سرد القصة الذي يبدأ في مرحلة مبكرة، مثل القصة التالية حول عطلة كارثية لزوجين: كان ايان واوليف متلهفين حقا على قضاء أسبوعين من المرح على شواطئ تايلند المشمسة". أما حقيقة أنهما وصلا ليجدا الفندق غير مكتمل البناء والشاطئ ملوث بمياه الصرف الصحي، فلا تكشف إلا في الفقرة الثانية، بينما يجب أن تكون في الأولى. فبرغم كل شيء، يهتم معظم الناس بإجازاتهم وعطلاتهم.

هل تكتب دوما المقدمة أولا؟

في كلتا الحالتين السابقتين، ستكون القصة أفضل أسلوبا وأكثر إثارة بدون وجود المقدمة المزعجة السخيفة. المقدمات التجريبية مثل تمرينات "التحمية" - ربما تكون ذات أهمية جوهرية للأداء، لكنها ليست جزءا منه. فهي

أمـر خـاص ولا يجـب أن يراهـا القـراء. وهـي تذكـرنـا بأننـا بحـاجـة لكتـابة شيء على الورق أو على شاشة الكمبيوتر لنشجع أنفسنا على بدء العمل. وليس في ذلك أي ضرر؛ فكل ممارسة خلف الستار تؤدي إلى تحسين العمل في الصحف تستحق أن نتبعها، لكن لا يجب أن نشرك القراء بها.

بعض كتاب المقالات يفضلون، إذا كان لديهم الوقت الكافي، كتابة المسودة بخط اليد ثم طباعتها فيما بعد، مع تحسينها وتنقيحها. وهم يزعمون أن هذه الطريقة تساعدهم على انتقاء الكلمات بعناية أكبر والكتابة ببلاغة وإيجاز، مقارنة بالطباعة على الكمبيوتر مباشرة. ويؤكدون أن لوحة المفاتيح الإلكترونية، الفائقة السرعة والشديدة الحساسية، تشجع على الحشو والإطناب والتراكيب اللغوية المهلهلة، وتجعل الكتاب يكتبون "بدون تفكير متعمق"، بدلا من صياغة وإعادة صياغة الجمل قبل كتابتها، كحال الكتابة بالقلم على الورق.

تتعدد عادات الكتابة بتعدد الكتّاب (نابوكوف، على سبيل المثال، كان يكتب وهو واقف؛ وفكتور هوغو وهو عار). لكن هناك عادة واحدة تعتبر خطيرة فعلا – كتابة مقالة بدون مقدمة مناسبة ثم العودة لكتابة الفقرة الأولى بعد الانتهاء منها. المشكلة الكبرى مع هذه الطريقة هي أن عملية كتابة المقدمة هي ما تمنحك غالبا فكرة واضحة عن المقالة، عن بنائها وتركيبها، والنبرة التي ينبغي تبنيها. فإذا أنهيت كتابة مسودة المقالة ثم رجعت لكتابة المقدمة، فلربما تجد أن من الضرورة تغيير النبرة برمتها والبناء بأكمله، الأمر الذي يعني إعادة كتابتها مجددا.

الحالة الوحيدة التي تصبح فيها هذه العادة مفيدة هي حين يكون للقصة بناء واضح والأحداث مرتبة حسب تسلسلها الزمني، بحيث يمكنك البدء من بداية السرد ثم العودة إلى كتابة ملخص موجز، أو توضيح تفسيري، أو نوع آخر من المقدمات التي تناسب القصة. أما أوضح مثال على ذلك فتجسده

القصص الإخبارية التي تتناول الأحداث الكبرى، حيث يتوجب عليك البدء بالكتابة قبل معرفة النتيجة النهائية، أو سبب الكارثة، أو عدد الضحايا. هذا النوع يدعى "القصة المستمرة" لأن أحداثها ما زالت تجري حين ينبغي عليك البدء في الكتابة. في مثل هذه الحالات، من الأفضل دوما البدء من البداية الزمنية للحدث، وقبل الموعد النهائي للنشر، يمكن أن تضيف المقدمة، وبضع فقرات ختامية إن أمكن.

"الكاتب السيئ هو الذي يكتب تبعا لسياق جواني لا يمكن للقارئ أن يعرفه".

البير كامو

16

البناء والوصف

"كل ما يكتب لإرضاء الكاتب لا قيمة له"

بلايز باسكال

بناء القصة الإخبارية المتين مسألة تتعلق بالوضوح والتنظيم والفاعلية، ويجب أن يتصف بالبساطة، وهو على العموم كذلك، خصوصا في قصص الأخبار الجدية التي تتألف من حوالي اثنتي عشرة فقرة كحد أقصى. وما إن تُضمّن المقدمة أكثر المعلومات إثارة للاهتمام، لن يكون ترتيب البقية أشد المهمات صعوبة وتحديا. النموذج الذي يستشهد به مرارا هو "الهرم المقلوب"، العبارة شبه التقنية للعملية الأساسية التي يتم بها وضع المادة الصحفية في نظام تنازلي من الإثارة والأهمية. اتبع ذلك، ولسوف تصل إلى نهاية القصة قبل أن تعلم. وينبغي أن تمتلك التأثير ذاته في القراء.

مشكلات البناء تظهر في المقالات الأكثر طولا أو تعقيدا، أو كلا الأمرين معا. وهذا يصدق على نحو خاص على القصص الإخبارية التي لا تضم ترتيبا زمنيا للأحداث. التقارير المكتوبة بأسلوب المقالات أصعب بناء أيضا لأنها غالبا ما تشمل العديد من الموضوعات المختلفة والخيوط المتباينة. وتبدو أجزاء من القصة مناسبة لعدة أماكن، في حين أن غيرها لا يناسب أي مكان على ما يبدو.

تتمحور صعوبات البناء غالبا على ما يلي: كيف تقدم الجوانب المختلفة والمتنوعة في معظم الأحيان بأسلوب واضح ومنطقي يعرض صورة متسقة في النهاية؟ ما هي المواضع المناسبة وكيف يمكن جمعها معا؟ هذه المشكلات تشابه - في أسوأ الاحتمالات - محاولة حل لغز الصورة المقطعة حين يكون عدد القطع غير محدود من ناحية الحجم والشكل، والصورة على غطاء العلبة (التي تساعدك في حل اللغز) مفقودة. لحسن الحظ، أنت المسيطر، والسيطرة كلمة تحتل قلب هذه العملية. البناء الجيد مسألة تتعلق بالتحكم بالمادة. وهذا يعني في دلالته أن عليك مسح وسبر ما لديك من المعلومات، وتقرير جوهرها ولبها، وتخيل الصورة الإجمالية والتأثير الكلي اللذين تود تحقيقهما، وتحديد الأجزاء التي تريدها وتلك التي لا تريدها، والحجم والشكل اللذين ستتخذهما هذه الأجزاء، وكيف تتناسب وتتواءم مع بعضها بعضا.

إذا كان هناك من سر وراء البناء المتين الجيد فهو التفكير بالقصة باعتبارها مؤلفة من كتل بنائية. وهذه هي أقسام المعلومات التي تشكل وحدات سوف تبني بها القصة. وحين تفرد في البداية معلوماتك وتخضعها للمسح، تبحث عما هو جوهري وأساسي، وما هو هامشي وثانوي. ثم تبدأ برؤية هذه الجوهريات وهي تشكل عدة كتل مختلفة للبناء أو مقومات للقصة. ثم تبدأ بتخصيص المعلومات الثانوية لهذه الكتل، وبالتفكير بالنظام الذي ستخضع له الأقسام. بعد ذلك يخطر في ذهنك الصلات الرابطة بينها. في الحالات الأولية وحدها، سوف يدون الصحفي جزءا من هذا المخطط على الورق، حتى وإن لم يتجاوز بضعة عناوين على شكل "خربشات".

تصبح غالبية أنساق هذه العملية لا شعورية بعد مدة، وعرضها بالصيغة المذكورة آنفا قد يعطي انطباعا بأنها أكثر شبها بالحفظ في الملفات منها بالإنشاء والتأليف. لكن ما يتعذر عكسه هنا هو أن وضع مخطط للقصة يصبح، مع مزيد من التجربة والخبرة، عملا يعتمد بصورة أكبر على البداهة والحدس.

الدلائل الإرشادية للبناء

تعامل مع كل جانب من القصة بشكل مستقل

لا تقفز من جزء لآخر من القصة ثم تعود إلى الأول. فهذا يسبب التشوش والارتباك لك ولقارئك. تعامل مع كل جانب بشكل منفصل وواضح.

اجعل الروابط بين الكتل البنائية طبيعية بقدر ما تستطيع

يمكنك دوما أن تميز القصة التي اعتمدت على مخطط هيكلي مهلهل من انتشار كلمات فيها مثل "في هذه الأثناء"، "لكن"، "على أية حال". عليك أن تكون قادرا على الانتقال بأسلوب منطقي من "كتلة" إلى أخرى دون استخدام الكثير من هذه "الوصلات". مثل هذه الكلمات تستعمل لتقديم معلومة تناقض أو تغاير ما جاء قبلا، وتعتبر فتيل تفجير للبناء. ويمكن بسهولة (إلا في حالة كونك بالغ الحرص والانتباه) إن تجد نفسك راغبا باستعمالها كلما كتبت ثلاث أو أربع جمل. إن تقليص عددها إلى الحد الأقصى مسألة تتعلق بجمع كل أجزاء المادة التي تقدم الحجج والأدلة باتجاه واحد، ثم اتباعها بالمعلومات المناقضة لها كلما أمكن ذلك. فإن أردت روابط ومفاصل تصل بين الأفكار أو الجمل، فلتكن خفيفة سلسة.

بالنسبة للقصص الأطول، فكر بالمقدمة باعتبارها إحدى كتل البناء

من المفيد غالبا التفكير بالمقدمة لا باعتبارها مجرد فقرة واحدة، بل كتلة مكونة من ثلاث أو أربع فقرات. وهذه لن تشمل الفقرة الافتتاحية فقط، ولكن ما يليها من معلومات مهمة أو خلاصة القصة. في الحالة النمطية، حيث تكون وجهة النظر الرئيسة في الفقرة الأولى من القصة الإخبارية، تضم الفقرة الثانية أو الثالثة إسهابا وتوسعة لها، أو شاهدا لدعمها، أو خلاصة لها، أو عينة توضحها. ويتم ذلك من خلال جملة أو اثنتين حول الأفكار الرئيسة في القصة، لتعريف القارئ بما ينتظره. الفقرة التي تشير إلى أهم نقاط القصة مفيدة حين يؤجل الكاتب، لسبب ما، التعامل معها إلى فقرات لاحقة.

حاذر من الطرق المسدودة

حين ترسم خطتك، ابحث عن أي كتلة بنائية لا تؤدي بطريقة طبيعية إلى الأخرى. في الحالة النمطية، تكون هذه الطرق المسدودة عبارة عن قضايا محيطية أو تأثيرات جانبية للمحور الرئيس لأحداث القصة. ولذلك يجب أن تترك حتى نهايتها، وإلا ستجد نفسك، مثلما يحدث في الواقع الحقيقي، مضطرا للعودة إن أردت الوصول إلى الوجهة المنشودة.

إذا كان للأحداث تسلسل زمني، استخدمه

السرد المرتب زمنيا بسيط، ويسهل اتباعه، وغالبا ما يمثل أفضل خيار. بعد كتابة فقرة (أو فقرات) مقدمتك، لا تخش من القول: "بدأ كل شيء حين.."، ثم تابع من هناك حتى النهاية.

اجعل الإنكار يلي الاتهام مباشرة بقدر ما تستطيع

إذا كان للقصة جانبان متعارضان، تأكد - كلما استطعت - من أن الإنكار أو التحدي يتبع الاتهام مباشرة. إن فصل الاثنين بواسطة عدة فقرات من أسهل الطرق لإرباك وتشويش القارئ. كما يضطرك للإسهاب والتطويل دون فائدة لأن المسافة بينهما تعني أن عليك العودة مرة أخرى إلى الاتهام/الادعاء الأصلي وإيجازه.

لا تخش من ذكر الأشياء صراحة

بعض القصص الإخبارية على درجة من التعقيد بحيث يتبدى فيها خطر إرباك القارئ وضياعه، مهما كان البناء متينا ومتماسكا.

في مثل هذه الحالات لا تخجل من ترتيب الأفكار بأسلوب الكتب التعليمية، وإبلاغ القراء بما سيجدونه، مثل: "هنالك أربعة جوانب لهذه المسألة المعقدة: أولا،..".

لا تضع الخلفية ضمن كتل صماء من العبارات والجمل

تحتاج بعض القصص إلى خلفية أو تلخيص القصص السابقة، إما لإعطائها معنى، أو زيادة قوتها وتأثيرها إلى أقصى حد. في معظم الحالات، من الأفضل حبك هذه المادة ضمن نسيج السرد الرئيس وإيجازها بأسلوب بليغ. أما في الحالات النادرة الأشد تعقيدا، فيمكنك على أية حال اللجوء إلى أسلوب: "القصة حتى الآن هي.. ".

حاذر من البناء القائم على التبعات والنتائج

طريقة كتابة القصص حول الاهتمامات الإنسانية هذه أصبحت مبتذلة إلى حد يصيب المرء بالكآبة. مثل:

لن ينسى التلميذ س ذلك اليوم الذي انحشر فيه رأسه في سياج المدرسة الحديدي (وصف وجيز ساخر لما حدث لا يكشف عن النهاية)

أولا.. (أسماء الأشخاص المعنيين، الزمان، المكان)

ثم.. (يستمر السرد المرتب حسب التسلسل الزمني)

وبعدها.. حدث شيء آخر (.. ويستمر السرد)

لأن.. (ويستمر السرد)

لكن.. (تقدم هنا النقاط الضعيفة في الخبر)

والآن.. كل شيء على ما يرام (وإلا لكتبت القصة بأسلوب آخر)

وهكذا.. (النتيجة النهائية، واقتباسات من الأطراف الرئيسة).

استخدم الاقتباسات لتغيير الإيقاع في الأقسام المطولة من الكلام المنقول

مثلما تصيب الاقتباسات الطويلة القارئ بالملل، وتفتقد الفاعلية أيضا، كذلك يتصف الكلام المنقول المسهب بالرتابة. حاول إضافة شيء من التنويع أو أدخل صوتا إنسانيا مع شاهد أو اثنين، مهما كان وجيزا.

عبارات الكلام المنقول في المقدمة يجب أن تدعم بشواهد في الفقرات اللاحقة من القصة

ينبغي اتباع هذه الطريقة دوما، خصوصا حين يكون الكلام المنقول خلافيا ومثيرا للجدل.

في قصص المتابعة التي تقدم معلومات أو أخبارا إضافية، تذكر تلخيص ما سبق

عند بناء قصة تقدم أخبارا أو معلومات إضافية، يجب أن تركز اهتمامك على تلخيص المعلومات الأصلية لكي يفهم القراء ما تقول. ويمكن القيام بذلك إما عن طريق لمحة سريعة، أو من خلال شرح الخلفية. من المهم حينما تلخص قصة سابقة أنكر فيها اتهام، أن تكرر ذكر الإنكار إذا تطرقت للاتهام.

تحليل بنى القصة الإخبارية

قضى معظمنا مدة طويلة من فترة الشباب، في غرف الصفوف المدرسية وقاعات المحاضرات الجامعية، في دراسة وتفكيك وتحليل قصائد الشعر، والقصص القصيرة، والروايات. لكن إذا اقترحنا على الصحفيين، شيبا وشبانا، فكرة أن كتاباتهم ستفيد من إخضاع المقالات الصحفية للمعالجة التحليلية ذاتها، فسيعتبرون الاقتراح كأنه يطالب بتعقيم جميع الذكور الذين تجاوزوا سن الخامسة والعشرين!

لكن هناك الكثير من الفائدة الناجمة عن تخصيص القليل من الوقت لمثل هذا التحليل. لا يجب أن يستغرق وقتا طويلا، والأهداف التي تركز عليها اهتماماتك يمكن أن تكون جيدة أو سيئة؛ ويمكنك التعلم منها جميعا. كل ما عليك فعله هو أن تضع بعض الملاحظات حول المهمة التي يؤديها كل جزء من القصة. نقدم فيما يلي مثالا للتوضيح:

(قصة إخبارية حول خطاب مهم)

- مقدمة تذكر معظم الأخبار المهمة، مع أو بدون الشواهد الداعمة.
- أية نقاط إضافية رئيسة، مع أو بدون اقتباسات.
- شرح وتفصيل المقدمة بالاقتباسات المباشرة.
- تطور الخطاب والشواهد.
- ملخص يوجز النقاط الرئيسة الأخرى.

(ملاحظة: ردة فعل المستمعين، سلوك ومظهر المتحدث، الخلفية الأساسية.. الخ، مقدمة بجمل سريعة إلا إذا كانت مهمة).

الخاتمة

زعم الكاتب الأمريكي ارنست هيمنغواي ذات مرة أنه أعاد كتابة خاتمة "وداعا أيها السلاح" تسعا وثلاثين مرة قبل أن يشعر بالرضى عنها. من المؤكد أن العديد من القصص الصحفية لن تجد طريقها إلى النشر لو جرت محاكاة هذه الممارسة (بالرغم من أغلبيتها ستستفيد منها)، لكنها تظل تذكرة بأهمية الخاتمة إضافة إلى المقدمة. صحيح أنها قد لا تكون على القدر نفسه من الأهمية، لكنها تستحق التفكير.

المقالات الطويلة على وجه الخصوص تكون أفضل حين تختتم بطريقة أفضل. صحيح أن الخاتمة لا ينبغي بالضرورة أن تماثل تلك التي تكتمل بها السيمفونية الموسيقية في القرن التاسع عشر، إلا أنها لا يجب أن تأتي بصيغة الخاتمة المريعة والمزيفة والمقحمة التي يشعر فيها الكاتب بأن عليه أن يطلق حكما أو "يلوح" للقارئ مودعا بالكلمات. لكن في الحالتين كليتهما لا يجب أن تأتي الخاتمة بشكل فجائي كأنما الكاتب أحس بالملل، أو تتلاشى بالتدريج.

نهايات الحكايات المسلية تعتبر طريقة مناسبة لاختتام المقالة الصحفية، لكن بدون الملاحظة الختامية شبه الفلسفية التي يضيفها الكاتب. أو يمكن

اللجوء إلى وصف وجيز للمشهد الختامي، أو شاهد معبر، أو حقيقة ساخرة أو رقم إحصائي، أو كل ما من شأنه أن يحدث انعطافة عن الخط الرئيس للقصة؛ بل إن ترديد صدى عبارة أو جملة من المقدمة، قد يفي بالغرض. أي كل ما يعطي انطباعا بالاكتمال ويمنع القارئ من الاستنتاج بأن الكاتب وصل إلى هذا الحد ثم تذكر فجأة موعدا مهما.

نقدم فيما يلي واحدة من أفضل الجمل الختامية في تاريخ الكلمة المطبوعة، كتبها المراسل (الأميركي المولد) لصحيفة "ديلي نيوز" اللندنية، جي. ايه. مكغاهان، في نهاية أحد تقاريره التي فضحت الفظائع التي ارتكبها الترك ضد البلغار عام 1876. فبعد تقديم وصف محكم للمذبحة في باتاك (أوردنا اقتباسا واسعا منه في الفصل الأول)، يختتم التقرير بمسح للمشهد حيث تكدست آلاف الجثث، ثم يضيف: "المحاصيل تفسد وتتعفن هناك في الحقول، وأجساد الحاصدين تتفسخ وتبلى هنا في فناء الكنيسة".

مصدر الخبر/ المعلومة

إذا كان هناك شيء واحد يمكن للصحفيين الأمريكيين تعليمه لصحفيي العالم، فهو الانضباط والدقة في ذكر مصادر القصص الإخبارية. فنسبة الخبر إلى مصدر تعتبر، لسبب ما، منطقة يعاني فيها العديد من المراسلين من مشكلة في الموقف. فهم يشعرون أن الحد الأدنى من الإشارة إلى مصدر المعلومات يشمل نوعا من خسارة "الرجولة" الصحفية. وهذا بالطبع هراء فارغ. إن ذكر مصدر القصة بالأسلوب المناسب، هو إعطاء القارئ ما يحتاجه من عون للحكم على القصة، أو المعلومات المنفصلة التي تتضمنها. ولا ينبغي أن يسأل القارئ: "كيف تعلم الصحيفة هذا؟".

درجة نسبة وتوضيح المصدر تعتمد على طبيعة القصة ونوع المطبوعة. فالقصص المثيرة للجدل والمطبوعات المتخصصة تحتاج عموما إلى ذكر المصدر بشكل أكثر تفصيلا وبروزا. نعرض فيما يلي بعض النقاط الأخرى المتعلقة بمتى وأين وكيف تنسب المصادر:

متى يكون ذكر المصدر غير ضروري

ليس هناك حاجة لنسبة المصدر في ما يمكن أن ندعوه بالمعلومات العامة، أي المعلومات التي وصلت إلى المجال العام، ويمكن أن تؤكد على الفور من قبل جملة من المصادر الأخرى. ولا ينبغي لأحد أن يشعر بالحاجة إلى كتابة عبارة مثل: "بودابست هي عاصمة هنغاريا، كما صرح مسؤول في وزارة الخارجية اليوم". وليس ثمة حاجة، في حالة نشر خبر عن نشوب حريق ضخم، لذكر مصدره، إلا إذا شكك أحد من مسؤولي السلطات المعنية به. لكن على وجه العموم، تحتاج مضامين غالبية القصص الإخبارية إلى ذكر مصادرها، وهذا يعني توضيح المصدر الذي استقيت منه كل عبارة.

اذكر مصادر كل ما يسبب، أو يمكن أن يسبب، الخلاف والنزاع

في مثال الحريق الوارد آنفا، لسوف تحتاج إلى ذكر مصدر أرقام الضحايا، والأضرار، والأسباب - التي يمكن أن يكذبها مصدر آخر. ويجب أن تذكر مصادر أي معلومات تثير، أو قد تثير، الخلاف، مثل الحكم على الأمور، أو تلك التي لا تشعر أنها ستتحول على الفور إلى معارف عامة (على سبيل المثال، إذا سببت الحريق قنبلة، وشعرت أن السلطات المسؤولة سوف تنفي خبر انفجار القنبلة).

لا تنسب الخبر/ المعلومة إلى مصدر مجهول

لا تكتب أبدا "قيل.." أو "أعلن.." أو "من المعتقد.." فهذه جميعا تثير سؤال: من قبل من؟ لابد من وجود شخص ما (أو مؤسسة ما) قد قال، أو أعلن، أو اعتقد. أخبرنا من هو. وبغض النظر عن أي شيء آخر، يستخدم أسلوب نسبة المعلومة/ الخبر إلى مجهول الصوت "غير المشخص" للبيروقراطية التي تزعم قدرتها وكفاءتها الشمولية - ونعلم جميعا مدى معقولية ذلك.

وضح كيفية الحصول على المعلومات

وضح إذا ناسب المقام - وهو كذلك عادة - كيف حصلت على معلوماتك. وهذا لا يحتاج إلى شرح مسهب، بل مجرد عبارة بسيطة، مثل "قال فلان في بيان صحفي معد مسبقا.." أو "أبلغ فلان المراسلين ردا على أسئلتهم..".

حدد المصادر بدقة بقدر ما تستطيع

تحمل المصادر ثقلا أكبر وتأثيرا أشد إذا كان لها اسم، وعنوان وكل ما من شأنه أن يرسخ مصداقيتها أو يساعد القراء في الحكم على نوعية المعلومات. "ذكر رونالد ايلويل، الناطق الرسمي باسم القوات المسلحة.." أفضل من "ذكر الناطق الرسمي باسم القوات المسلحة". أضف أي معلومات أخرى قد تكون مفيدة. واذكر هل حصلت عليها من اجتماع أو من مسؤول في مكان الحادث. المصدر يتمتع بقدرة أكبر على الإقناع إذا وجد في موقع الحدث، مقارنة بالجلوس في مركز القيادة على مبعدة أميال (أو حتى قارات).

المصادر المجهولة الاسم

حين لا تستطيع تسمية المصدر (تناولنا بالتفصيل هذه الحالة وكيفية التعامل معها في الفصل 6)، عليك تقديم أكبر قدر من المعلومات حول شخصيته ومؤهلاته. لا تكتف بكتابة "ذكرت مصادر" أو "أشار محللون وخبراء.." أو " ذكرت مصادر هذه الصحيفة.." (والعياذ بالله!). بل كن محددا ودقيقا بقدر ما تستطيع، ولا تستخدم صيغة الجمع إلا بوجود مبرر مقنع. فإذا كان المصدر وحيدا، اذكر ذلك. أخيرا، إذا أتت معلوماتك من تشكيلة متنوعة من المصادر المجهولة الاسم، لا تنسب كل معلومة وخبر إلى مصدر. اكتب مثلا: "كشفت المقابلات الشخصية مع كبار المصرفيين عن ردود أفعال متباينة على الخبر. بعضهم قال.. ".

طور مراتب للمصادر المجهولة الاسم

سوف تساعد القراء كثيرا إذا رتبت فئات المصادر المجهولة الاسم. وكالة "رويتر" تستخدم الفئات التالية:

المصادر (المرجعية) المسؤولة: تمارس سلطة حقيقية على القضية المعنية. وزير الدفاع مثلا مصدر مسؤول عن الشؤون الدفاعية، لكن ليس المالية.

المصادر الرسمية: تتمتع بحق الوصول إلى المعلومات بحكم وظيفتها، لكن أهليتها كمصدر محصورة في هذا المجال.

المصادر (المفوضة) المعنية: هي، مثلا، المصادر الدبلوماسية، والاستخبارية، أو المصادر المعنية في صناعة ما. ومثلما هي الحال في المصادر الرسمية، فهي تتمتع بالقدرة على الوصول إلى المعلومات الموثوقة حول الموضوع المعني.

من أصعب المشكلات المتعلقة بالمصادر المجهولة الاسم أن القارئ ليس لديه فكرة حول ما إذا كنت تقتبس من الرئيس أو من الرجل الذي يمسح حذائه (إلا إذا أرشدته بنفسك).

مكان وضع المصدر

يجب أن تذكر اسم المصدر في موقع متقدم من القصة، وليكن في المقدمة إذا كانت (القصة) خلافية. ونسبة المصدر في المقدمة تحتاج إلى ذكاء وحذق، وتظل على الدوام أفضل من تلك البنى البشعة التي تبدأ القصة بعبارة وقحة ليس لها مصدر، لتتبعها الفقرة الثانية التي يستهلها الكاتب بـ"ذلك هو الرأي/ وجهة النظر/ النتيجة التي جرى التوصل إليها.. ". وهذا ينطبق خصوصا على القصة التي تتناول الأقوال لا الأفعال. لكن ذكر المصدر في المقدمة يجب أن يكون مختصرا بقدر الإمكان لتجنب التشوش. أما الأسماء والألقاب الرسمية مثلا فيمكن تأخيرها إلى الفقرات اللاحقة.

في مكان آخر من القصة، يمكن ذكر المصدر بأسلوب حصيف (في نهاية الجمل عند الكتابة بالإنكليزية). وحين يغطي مصدر وحيد معظم فقرات القصة، ليس ثمة حاجة لتكرار ذكره إلا عند الضرورة القصوى. لكن سيحتاج كل خبر وبيان ومعلومة في القصة إلى ذكر المصدر (إلا في الحالة الاستثنائية الواردة آنفا). هذا لا يعني أن ينطبق ذلك على كل جملة، لأن من الممكن عادة توضيح حقيقة أن "كتل" المعلومات لها نفس المصدر.

البدء بالمصدر

هنالك حالتان اثنتان تصبح فيها القصة أكثر وضوحا بالنسبة للقارئ إذا ابتدأت بذكر المصدر. وفي كليتهما تكون القصة "قولية" (أي تدور حول شخص قال شيئا). الأولى، حين يقول العبارة/ الاتهام/ الزعم شخص بارز ومهم بحيث ينبغي الكشف عن هويته قبل ذكر ما قيل.

الثانية، حين يطلق اتهام/ادعاء مثير للجدل والخلاف، من طبيعة شخصية غالبا. من السخف مثلا أن تبدأ قصة بـ" بوغدورف، رئيس جمهورية مولتانيا، قتل العديد من المسنين من بين أفراد شعبه من خلال سياساته الصحية الجديدة، كما يقول زعيم المعارضة يوري بولوتوف". ومن الأفضل أن تكتب: " اتهم يوري بولوتوف، زعيم المعارضة في جمهورية مولتانيا، الرئيس بوغدروف بقتل.. ". في المثال الأول، هنالك عبارة تصريحية بالحقيقة، تبعها المصدر؛ في الثاني، يتضح أن ذلك مجرد اتهام له بواعث سياسية تبعا لمن أطلقه.

الوصف

يجب أن يشكل الوصف جزءا من معظم القصص الإخبارية. من السهل أن تنشغل بذكر الحقائق العارية للقصة بحيث تنسى وصف الأشخاص أو الأماكن القابعة في مركزها المحوري. وحتى حين لا يتجاوز الوصف بضع عبارات تعطي القارئ فكرة أساسية حول شكل مبنى أو هيئة شخص، فإنه يظل مهما وجوهريا. والأوصاف، بغض النظر عما إذا كانت ملاحظات عابرة أو مقاطع

كاملة، تضيف معلومات جديدة، وتساعد القراء على تخيل ما حدث (و لمن وأين حدث) بصورة أفضل.

أنت أذنا القارئ، وعيناه وأنفه. ففي كل يوم تقريبا تقابل أشخاصا وترى أشياء لن يقابلها القراء أبدا. فإذا لم تخبرهم عن ماهية هذه الأشياء فلن يعرفوها مطلقا. على سبيل المثال، إذا أجريت مقابلة شخصية مع زعيم سياسي شهير، فإن القراء سيرغبون بمعرفة شكل مكتبه، هل هو فخم أم متواضع إلى حد مدهش؟ ما هو تصميمه الداخلي؟ هل توجد فيه أي مقتنيات شخصية مثيرة؟ هل هو عصبي المزاج أم هادئ الطبع؟ كيف تبدو طريقة تعامله مع مرؤوسيه؟

لا يمكنك الاعتماد على الصورة المنشورة في الصحيفة لأداء هذه المهمات عنك. بدلا من ذلك، عليك أن ترسم صورة بالكلمات، مهما كانت وجيزة. كما أن لكلماتك قدرة على نقل أشياء تعجز عنها الصور. الوصف ينفخ الحياة في المقالة، ويأخذ القراء إلى حيث كنت، ويستحضر الجو السائد. كما يضيف نكهة إلى معظم القصص الإخبارية الجافة والكئيبة، ويصنع الفارق المميز بين التقرير الذي يرضيك وذلك الذي يسخطك. طالما تتذكر أن الوصف ينضاف إلى القصة لمساعدة القراء على الفهم، وليس لمنحك الفرصة لاستعراض أحدث مفرداتك اللغوية، سوف يمثل عونا للوضوح لا عقبة تعيقه. نقدم فيما يلي بعض النقاط المهمة الأخرى.

ما تعتبره مألوفا قد يكون غريبا عن القارئ

غالبا ما يعتبر الصحفيون أن من القضايا المسلم بها أن يعرف القراء الشخصيات والأماكن والأحداث التي يكتبون عنها. لكن حتى أكثر البيئات المحيطة بالمراسل ألفة قد تكون غريبة بالنسبة للقراء. على سبيل المثال، كم عدد القراء الذين دخلوا في حياتهم إلى مبنى البرلمان؟ لربما شاهدوه بشكل عابر على شاشة التلفزيون، لكنهم لا يعرفون هل المبنى دافئ أم بارد؟ وهل

المقاعد مريحة؟ وما هي الصور المعلقة على جدرانه؟ وما هو الجو السائد فيه؟ مثل هذه المعلومات تساعد على أخذ القارئ إلى هناك.

تجنب الفقرات الطويلة من الوصف

من الأفضل توزيع الوصف عبر جمل قصيرة ومتفرقة، بدلا من تدبيج مقاطع وصفية مطولة ومتصلة، إلا إذا شكل الوصف الغرض الرئيس من القصة. يمكنك أن تبلغ القارئ كثيرا من المعلومات من خلال سلسلة من الملاحظات والتعليقات الجانبية. أما ما يجب أن تنتبه له فهو المكان الذي ستضعها فيه. فحقيقة أن الرجل الذي تقتبس منه أحمر الشعر ويجمع الطوابع تستحق التسجيل في مكان ما، لكن ليس في المقدمة أو بعد الشاهد الذي طالب فيه الحكومة بالاستقالة.

الصلة الوثيقة هي المفتاح. ولذلك يجب أن تقدم الوصف حيث يفيد، لا حيث يتنافر مع السياق. لكن من الأفضل تقديم الأوصاف التفصيلية لشخص معين أو مكان محدد في جزء واحد من القصة، لا بشكل متناثر في كل مكان منها. فمن المزعج قراءة مقال تقحم فيه وصفا وجيزا كلما ذكرت شخصا. المثال التالي المقتبس عن كينغسلي اميس يوضح هذا الإزعاج للقارئ.

اختير كريس مانكيفيتز (26 سنة) لقيادة منتخب إنكلترا لكرة القدم في مباراته أمام رومانيا في الشهر القادم.

اللاعب البولندي الأصل والأب لطفلين قال عند إعادة بناء منزله في ديتفورد مؤخرا والذي كلف مائة وخمسين ألف جنيه: "لقد طرنا من الفرح أنا وزوجتي الجذابة سمانثا (24 سنة) لسماع الخبر".

النجاح أتى في الوقت المناسب إلى التلميذ السابق، الذي نبت شعر لحيته وهو بعد في المدرسة الابتدائية، وبطل سباق الحواجز، ونجم خط الوسط في فريق كلابتون، الذي عانى مؤخرا من كثرة الإصابات.

وأضاف اللاعب المتخصص بتسجيل ثلاثيات الأهداف، والذي يلاحقه المصورون أينما ذهب، والهاوي المتحمس لقيادة السيارات الرياضية، إن..

اجعل الشخصيات نابضة بالحياة في نظر القراء

حتى أصغر معلومة حول الأشخاص الذين تكتب عنهم تساعد القراء على فهمهم. فبرغم من كل شيء، لا يخبر الاسم كثيرا عن شخصية المسمى، باستثناء جنسه. العمر يضيف قليلا، كحال التفاصيل المتعلقة بالمظهر، والمسلك، وغيرهما. حاول تقديم الحقائق بدل إطلاق الأحكام، وكن حساسا لمشاعر المصدر.

تشبث بالدقة

تنطبق الدقة خصوصا على الوصف. تجنب الصفات والأوصاف الغامضة التي تطلق حكم قيمة. فوصف غرفة أحد المسؤولين بأنها "مهيبة" لا ينقل معلومات كافية، ومن الأفضل القول إنها واسعة إلى حد أنها تتسع لسيارتين، وأن أرضيتها مغطاة بالسجاد الأحمر الوثير، في حين يربض في صدرها مكتب أسود جديد مطعم بالنحاس، بينما تشرف النوافذ على منظر بانورامي للعاصمة. هذا يعطي للقارئ فكرة أفضل. طبق هذا الأسلوب على الأشخاص أيضا. تجنب كلمات مثل جذاب، وجميل، ووسيم المحيا، ومؤثر. قدم بدلا من ذلك وصفا للون الشعر، والملابس، وطول القامة.

تمثل الدقة أيضا أفضل باعث لاستعمال الصفات - لتحديد الأسماء بطريقة تضيف مزيدا من المعلومات. أما استعمالها لمحاولة إضافة التوكيد والتشديد فسوف يقلص التأثير ويؤدي إلى الإطناب. الكتابة الوصفية تتعلق بالعثور على الطرق المناسبة لجعل شيء ينبض بالحياة، لا نثر الصفات بصورة عشوائية في مختلف فقرات المقالة.

انتبه للتشبيهات

لا يمكن لجملة "يشبه كذا.." أن تكون مؤثرة إلا إذا اخترت تشبيها مناسبا وطازجا. العبارات التي تبالغ سوف يكتشفها القارئ فورا (إلا إذا كنت تكتب مقالة فكاهية)، ولن تمتلك العبارات الممجوجة والمبتذلة أي تأثير. النموذج

المثالي تقريبا على التشبيه "الطازج" النابض بالحياة نجده عند نهاية المقتطف الوجيز التالي من مقالة فلويد غيبونز في صحيفة "شيكاغو تريبيون". فهو أول مراسل يغطي تأثيرات المجاعة الكبرى التي اجتاحت الاتحاد السوفييتي عام 1921:

> ***صبي في الثانية عشرة بدا وكأنه في الستين كان يحمل رضيعا عمره ستة أشهر وقد لف بصرة من الفرو القذر. وضع الطفل تحت عربة شحن، وزحف وراءه وأخرج من جيبه بعضا من رؤوس السمك المقدد، لاكها بنهم شديد، ثم بصق العجينة البيضاء الدبقة، المكونة من حسك وحراشف نصف ممضوغة في فم الطفل بعد أن جذبه إليه مثلما تطعم الحمامة فرخها.***

طور اهتمامك بالتفاصيل

الأشياء الصغيرة غالبا ما تكون الأشد تعبيرا - التفاصيل الصغيرة أو اللحظات العابرة في المشهد، التي يمكن وصفها واستخدامها لإضفاء معنى دلالي مهم على القصة أو الحدث برمته. طور اهتمامك بالتفاصيل وقدرتك على اكتشافها، تعلم التركيز على مثل هذه الأشياء وارسم للقراء صورة بالكلمات عنها. وهذه طريقة فعالة على وجه الخصوص حين تكلف بمهمة كتابة مقالة وصفية أو تحقيق صحفي عن الجو السائد في مكان معين أو موقع حدث مهم. لكن بمقدورك استخدام التفاصيل بفاعلية أشد في جميع أنواع التقارير، حين تلاحظ أمرا صغيرا يبدو على قدر كبير من الأهمية. لا ينبغي عليك أن تسلط ضوءا ساطعا عليه، أو تعطي التفاصيل أهمية دلالية هائلة. مثل هذه السطور تكون غالبا أكثر قوة وتأثيرا حين تكتب بأسلوب بسيط وواضح بدون مزيد من التوسع والشرح.

قام كورزيو مالابارتي بتغطية معركة ستالينغراد لصالح الصحيفة الإيطالية "كورييـر ديلا سيرا". من العوامل التي أنقذت المدينة في نهاية المطاف، بعد المعاناة والألم والعَنَت، "شريان لاغودا"، وهو عبارة عن قوافل من الإمدادات والأغذية التي عبرت البحيرة بالقوارب في الصيف وفوق سطحها

المتجمد في الشتاء. ومن أجل البحث الضروري لتقريره، سار مالاباراتي فوق البحيرة المتجمدة:

> ***تحت قدمي، لاح خط من الوجوه البشرية الجميلة، خط من الأقنعة الزجاجية كالأيقونات البيزنطية، وقد طبعت على الجليد الذي تحول إلى طبقة من الكريستال الشفاف. كانت الوجوه تنظر إلي، تحدق إلي. الشفاه مزمومة وبالية، والشعور طويلة، والأنوف حادة، والعيون واسعة وصافية. كانت تلك صور الجنود السوفييت الذي قضوا عند محاولة عبور البحيرة. الأجساد المسكينة، المحبوسة بإسار الجليد طيلة الشتاء، جرفتها أوائل تيارات الربيع. لكن وجوهها بقيت مطبوعة على الكريستال النقي، بلونه الأزرق المخضر.***

من المؤكد أن صورة الوجوه هذه طبعت في ذهن القارئ مثلما علّمت ملامح هؤلاء الجنود في الجليد (بالمناسبة، الاسم الحقيقي لمالاباراتي هو كورت سوكيرث، وأبوه ألماني. ومع ذلك، فقد قاتل إلى جانب الفرنسيين والطليان في الحرب العالمية الأولى، ونال أوسمة من كلا البلدين، وفي عام 1933، اعتقل بتهمة كتابة التقارير المناهضة للفاشية وسجن مدة ثلاث سنين في جزر ليباري قبالة ساحل صقلية).

لكن إن كنت ستستخدم التفاصيل، تأكد من أنك تحصل عليها بالشكل الصحيح. أحد المراسلين كان يغطي زلزالا ضرب أمريكا الوسطى، ولأنه أراد إحداث تأثير في الناس العاديين، ذكر كيف شاهد العائلات الجائعة تأكل الجرذان. لكنها في الحقيقة كانت خنازير (غينيا) صغيرة، وهي وجبة محلية شائعة. ولذلك اكتسب المراسل لقب "الرجل الفأر" منذ ذلك الحين.

استخدم الإشارات المألوفة

فكر على الدوام كيف تبلغ المعلومات لقرائك بطريقة تجعلهم يفهمونها على الفور. وهذا يعني في أغلب الأحوال استخدام الصور التخييلية والمقارنات

المألوفة في حياتهم. فإذا كانت مساحة بناء تبلغ 50 ألف قدم، اذكر ذلك، لكن قل إن المساحة تعادل خمسة ملاعب تنس مثلا. وإذا قطع أحدهم مسافة 8 آلاف ميل في جولاته، فقل إنها تعادل المسافة بين لندن وطوكيو، أو عشرة أضعاف المسافة الفاصلة بين لندن وابردين. استخدم المقارنات التي يمكن أن يفهمها الناس ويهتموا بها.

"سلة المهملات ما تزال أفضل صديق للكاتب".

ايزاك سينغر

17

التعامل مع الشواهد

"الصحافة هي - بمعظمها - أن تقول "توفي اللورد جونز" إلى قراء لم يعرفوا أبدا أن اللورد جونز كان على قيد الحياة"

جي. كي. تشيسترتون، 1914

والآن، دعوني أكشف سرا عن مهنة الصحافة لا يعرفه الكثيرون: لا يمكن أن تُعتقل بتهمة كتابة قصة إخبارية بدون شواهد! أعرف أن ذلك يناقض ما قيل للعديد من الصحفيين المبتدئين، لكنه صحيح. إذ إن معظم القصص الإخبارية تستفيد من الشواهد والاقتباسات، لكن الكتابة بدونها ليست محرمة.

أطلق هذا الحكم لأن الشواهد والاقتباسات أصبحت نوعا من التميمة السحرية التي تستحوذ على العديد من رؤساء التحرير. فقد آمنوا بأن على كل قصة أن تقحم شاهدا أو اقتباسا في كل فقرة، مثل العلامات العائمة التي ترشد السفن إلى مدخل الميناء. في التقارير الرياضية للصحف الشعبية، بلغ هذا الاعتقاد حدوده القصوى، ولم تعد القصص سوى سلسلة من الشواهد والاقتباسات التي يتصل فيها اللاحق بالسابق، مع بعض الكلمات الغريبة التي يقحمها المراسل للربط بينهما. ولربما استحث الصحفيين الاعتقادُ بأن التلفزيون قد سرق منهم الحاجة إلى رواية ما حدث، فحصروا أنفسهم بدلا

من ذلك في إسار نقل ردود الفعل على ما حدث. وبالنسبة لعملهم، أصبحت المقابلة التي تجرى بعد الحدث أكثر أهمية من الحدث ذاته.

ليست هذه المشكلة الوحيدة في الشواهد والاقتباسات. فبعض الصحفيين، والعديد من مدرسي الصحافة، يجدون قضية ترتيب وتنظيم الشواهد المقتبسة معضلة أخلاقية فظيعة. بينما تمرس آخرون إلى حد كبير في كيفية نسبة الاقتباسات، أو استعمالها جزئيا. إذن، حان الوقت لتقديم بعض الدلائل الإرشادية.

متى تستخدم الشواهد المقتبسة؟

على وجه العموم، ينبغي دائما استعمال صيغة الكلام المنقول لتوصيل المعلومات والشواهد من أجل إضافة اللمسات الشخصية، والإثارة المباشرة، والصحة والصدق إلى القصة، مع تغيير النبرة والإيقاع والراوي. كما يمكن استخدام الشواهد أيضا لنقل النقاش الذي دار في المقابلة (بين السائل والمجيب) حرفيا، خصوصا إذا أردت إظهار ما الذي أدى إلى إعلان اعتراف مفاجئ، أو تصريح دراماتيكي مثير على نحو خاص، أو لإظهار المراوغة والمواربة.

لكن في العادة، ينبغي ادخار الشواهد للسماح للمعنيين بالتعليق، أو تقديم انطباع عن أنفسهم، أو آرائهم، أو مشاعرهم. ولا يجب استخدامها كحشو ولغو، ولا سيما كبدائل عن التقرير. ولا تنس أبدا أن قدرتك على الكتابة تفوق مقدرة معظم الناس على الكلام. على سبيل المثال، بدلا من أن تكتب "قال ناطق باسم الأمم المتحدة -نحن ننفي كليا صحة هذا الزعم، ماضيا وحاضرا"، اكتب فقط: "نفى ناطق باسم الأمم المتحدة صحة هذا الزعم".

الدقة

حين نضع على الطرفين المتقابلين من مجموعة من الكلمات علامات الاقتباس ("...") فإنها تشير إلى أن ما بينها تسجيل حرفي لما قاله أحدهم،

وليس نسخة معدلة، ولا منقحة، ولا ملخصة من كلماته. ولا ما عناه، أو كان سيعنيه لو كان أكثر ثقافة وأرفع تعليما وتضلعا من النحو والقواعد اللغوية. بل هو تقرير دقيق للكلمات عينها، كلمة كلمة، ومقطعا مقطعا، وإلا فما هي الحاجة إلى علامات الاقتباس؟

فإذا لم يكن لديك سجل حرفي، أو أن الشخص الذي تريد الاقتباس منه لا يتكلم بطريقة تجعل لقوله معنى عند كتابته على الورق، يمكنك في هذه الحالة استخدام صيغة الكلام المنقول. إلا إذا كان تنافر ولاترابط الكلام جزءا من القصة بالطبع. وفي هذه الحالة تستشهد بالقول بدقة، مع التمسك بكل جملة ناقصة، وكل عبارة خاطئة نحويا، وكل كلمة أسيء استخدامها.

النحنحة

في العادة، لا يمتد التمسك بالأمانة والصدق والالتزام بما وضعت ضمن علامات الاقتباس، ليشمل النحنحة، والأصوات التي تنطق عادة عند التردد أو الاستعداد للفكرة التالية. في معظم الحالات يحذفها المراسلون إما عند تدوين ملاحظاتهم أو عند كتابة تقاريرهم وتحقيقاتهم. لكن في بعض الأحيان، عند كتابة مقالة وصفية، أو سيرة مهنية، أو قصة إخبارية، يتم الاقتباس بدون إخفاء العيوب (في النطق.. الخ). على سبيل المثال: حين يشكل تردد أو عدم تأكد الشخص الذي يقتبس عنه في القصة عنصرا وثيق الصلة بموضوعها. أما معرفة الفارق المميز بين مثل هذه العناصر ذات الصلة وبين التعدي الجائر الذي يفتقد المبرر، فتظل حكما من اختصاص الخبير المتمرس.

الأخطاء النحوية

بعض الصحف، مثل "فلادلفيا انكوايرر"، تسمح بتصحيح الأغلاط النحوية البسيطة في الشواهد المقتبسة، لكي تتجنب إرباك القارئ، ولكي لا يبدو المتكلم مغفلا. لكنني أجد حتى ذلك تجاوزا للحدود المسموحة. فهدفي ليس التغطية على ما قد يصيب المصدر من حرج، بل الدقة والوضوح. وهذا يعني

استخدام صيغة الكلام المنقول لتقديم صورة جلية عما يحدث أو عن المقصود، وكذلك استخدام الشاهد كما هو (إذا كان وثيق الصلة) لنقل الصوت الحقيقي لشخصيات القصة.

برغم كل شيء، إذا وجدت في كلام أحدهم أخطاء لغوية ونحوية، فتلك حقيقة. وإذا جعله النقل الحرفي الدقيق يبدو مغفلا، فهو أمر مؤسف. العديد من الصحفيين العاملين في المجال السياسي يقومون بشكل منظم بترتيب وتنقيح لغة السياسيين، معتقدين أن من واجبهم تحويل استطرادات السياسيين المشوشة وغير المفهومة إلى جمل معبرة ومرتبة وبليغة. لا، ليست هذه مهمتهم. أولا، إن تعديل وتنقيح شواهدهم يعطيان انطباعا خاطئا. ثانيا، إذا كان السياسي المعني لا يستطيع التحدث بلغته بأسلوب سليم وصحيح، فإن مهمة الصحفي إبلاغ القراء بذلك. وبمقدور هؤلاء آنئذ تحديد موقفهم من التصويت له.

المشكلة الحقيقية في السماح للمراسلين بتنقيح وتصحيح الأخطاء النحوية للمتكلم هي أنهم يطبقون الطريقة بشكل يفتقد العدالة؛ حيث يصححون وينقحون - دون وعي - كلام المثقفين والمتعلمين والمسؤولين، ويتركون الشواهد المقتبسة والمبتذلة من الأشخاص العاديين على حالها دون تنقيح. حاذر من هذا التحيز الطبقي وقاومه. اترك الشواهد المقتبسة جميعا على حالها.

التنافر والتصنع

بعد الأخطاء النحوية يأتي الأسلوب المتنافر والمفكك. هنالك مسألتان اثنتان في هذا السياق، أولاهما الوضوح. مهمتك هي اكتشاف ما يجري، فإذا كان الشخص الذي تتحدث معه عاجزا عن إعطاء جواب مباشر أو مفهوم، فابحث عن سواه. أما إذا كانت كلماته معقدة ومتداخلة ومشوشة، لكن يمكن فهم وإدراك المعنى، فاستخدم صيغة الكلام المنقول.

في بعض الأحيان، إذا كان المصدر مسؤولا في السلطة، وكانت كلماته المتنافرة أو أسلوبه المتصنع جزءا حيويا من القصة، فهو يستحق أن يقتبس.

لنفكر على سبيل المثال بالمؤتمر الصحفي الذي عقده في البيت الأبيض المسؤول الإعلامي للرئيس ريتشارد نيكسون، رون زيغلر، عام 1974. فقد سئل عن بعض الأشرطة التي ربما سجلت مناقشة الرئيس للتصرفات غير القانونية، وهل ما زالت سليمة. بدا السؤال أنه يطالب بإجابة محددة: "نعم" أو "لا". بدلا من ذلك، قدم زيغلر الإجابة المطولة التالية (بلغت بالإنكليزية 99 كلمة):

> ***أعتقد أن معظم المناقشات التي جرت في تلك الأماكن من البيت الأبيض التي زودت بنظام تسجيل بقيت موجودة وسليمة كليا تقريبا، لكن المدعي العام، والمحكمة، والشعب الأمريكي على ما أظن، مطلعون جميعا على نظام التسجيل بما يكفي لمعرفة أين توجد أجهزة التسجيل ومعرفة الوضع فيما يتعلق بعملية التسجيل، لكنني أشعر، بالرغم من أن عملية تحضير المادة تبعا لقرار المحكمة لم تتم بعد، حقا، ما هو الجواب لذلك السؤال.***

إذا كان غياب الترابط أمرا معتادا، يمكن أن يصبح بحد ذاته قصة إخبارية. فبرغم كل شيء آخر، يعتبر تكرار العبارات المفككة والجمل غير المترابطة مؤشرا دالا على الفشل في التفكير المنطقي السليم، أو على الرغبة في إخفاء شيء ما، أو التعسف في استخدام المادة، أو جميعها معا.

اللهجة

يمكن لهذا المجال أن يكون بالغ الدقة والحساسية ويحتاج إلى معالجة متأنية. إذ إن للمجموعات الاجتماعية كافة، بغض النظر عما إذا كانت مجموعة تنتمي لثقافة فرعية تعاني من الضغوط، أو عصبة من المتحمسين لبعض الأنشطة، أو جماعة إثنية، أو مجموعة من الأشخاص الذين يشتركون في العمل نفسه، لغة ولهجة خاصتين بها. بعضها لا يستخدم هذه اللهجة إلا حين يتحدث أفرادها مع بعضهم بعضا، وبعضها الآخر يستعملها مهما كان نوع المستمعين. في حالات عديدة، لا يمثل الاستشهاد بكلمات المصدر الحقيقية أي مشكلة خطيرة. فإذا أدلى لاعب كرة قدم مثلا بتصريح بلغة شبه عامية، فستبدو كلماته حقيقية وواقعية ويفهمها الجميع. لكن إن نقحت وعدلت

وصححت لتبدو مقالة فلسفية في الصحيفة الصادرة في اليوم التالي، فسيكون ذلك خطأ فادحا ولن يخدع أحدا.

تظهر المشكلة مع اللهجة التي يصعب فهمها على الفور. فهل تترجم الشاهد بحيث يغدو المعنى واضحا، أو تبقي على الكلمات الحقيقية فتستغلق على فهم غالبية القراء؟ ولربما يشير السؤال إلى أصعب القضايا المتعلقة بالصدق مقابل الوضوح، خصوصا في الحالات التي تتصل بالجماعات الإثنية. في السنوات الأخيرة، اعترض هنود الإسكيمو على إحدى الصحف التي تصدر في الاسكا حين عدلت ونقحت الشواهد المقتبسة عنهم وترجمتها إلى الإنكليزية (الفصيحة)، وبالتالي حرمتهم من التعبير بتراكيبهم اللغوية. وفي فلوريدا، تعرضت صحيفة "سنت بطرسبورغ تايمز" لهجوم حاد بسبب الشواهد الحرفية التي اقتبستها باللهجة العامية لرياضي أسود. صحيح أنه شعر بالارتياح، لكن القراء "السود" اعتقدوا أن الصحيفة تحاول السخرية منهم.

السياسة التي أتبعها هي توخي الحذر، واستخدام صيغة الكلام المنقول على الصفحات الإخبارية حيثما تكون اللهجة غير مفهومة للقراء كافة، لكن مع مزيد من الحرية في استخدام الشواهد الأصلية في المقالات المتخصصة، أو المقالات المطولة على وجه الخصوص. لا أرى في الأمر تشجيعا أو تفضلا. وإن أردت الاقتباس باللهجة المحكية، فلا تفعل إلا إذا امتلكت حاسة سمع جيدة (ولديك ما يكفي من الملاحظات المدونة أو المسجلة). فهذا المجال لا يصلح لمن لا تستطيع أذنه التفريق بين طبقات الصوت.

الفعالية

اختصر الشواهد المقتبسة مع الإشارة إلى ما حذفت

هنالك طريقة صادقة وأمينة واحدة لاختصار الشواهد وهي حذف العبارات والجمل، مع الإشارة بالنقاط المتعددة (...) التي تبين أنك فعلت ذلك.

على سبيل المثال: "أعتقد أن من الشائن أن يتوجب علينا فعل هذا .. إذ ليست لدينا النية بالاستسلام. لسوف نكافح ذلك بكافة السبل". لا تكتف بحذف الكلمات الزائدة وجمع الأجزاء معا كأنما قيلت في سياق متصل. فإذا فشلت رغم ذلك في بلوغ الدرجة التي تريدها من الإيجاز، استخدم صيغة الكلام المنقول.

اقتباس أجزاء الكلام

هنا، لا يتم اقتباس جمل، بل شبه جمل أو حتى كلمات مفردة. في كتابه "كلمات إشكالية"، يستشهد بيل بريسون بالمثالين التاليين:

قال إن الأرباح في النصف الثاني ستكون "جيدة".

.. العزلة "ميزة" في حياة هينكلي..

المشكلة هنا هي وضع علامات الاقتباس حول كلمة عادية ومتوقعة تماما. وهذا يشير إما إلى أن الملاحظات التي دونها المراسل كانت شحيحة إلى حد أنه تدبر أمر كتابة كلمة واحدة في كل جملة، أو إلى أن الكاتب يحاول الإشارة إلى ريبته بالكلمة المقتبسة. الانطباع الذي يتركه المثال الأول أعلاه هو أن هناك شيئا ليس على ما يرام أو غير محدد بوضوح في جودة النتائج. المثال الثاني ينقل تورية ساخرة أو حتى سوء ظن المصدر. الأفضل عدم استخدام علامات الاقتباس حول كلمات مفردة أو عبارات إلا حين تكون الكلمات المستخدمة توكيدية على وجه الخصوص، مثل:

قال إن الأرباح في النصف الثاني ستكون "مثيرة".

أو:

قال إن الأرباح في النصف الثاني ستكون "مريعة".

نسبة الشواهد المقتبسة

قال، أم زعم، أم علق؟

فيما يتعلق بالفعل السابق على اسم مصدر الشاهد، يعتقد معظم المراسلين أن كلمة "قال" يمكن استبدالها دوما بمرادفات مثل علق، وزعم، وأكد.. الخ. وهذا أمر لا غبار عليه طالما كانت الكلمات المقتبسة هي فعلا زعم أو تعليق أو توكيد. لكن حين تكتب:

علق السيد بلاك: "عندئذ قفز كلبي على اللص".

يبدو الأمر سخيفا، لأن السيد بلاك لا يعلق هنا، بل يذكر ما يعرف بأنها حقيقة صارخة. أما فعل "زعم" فهو أسوأ في مثل هذه الحالة، نظرا لأنه يوحي بأن كلمات السيد بلاك يجب أن تعتبر خبرا يحتمل الكذب والصدق، أو قد تعتبر لاحقا بمثابة وهم مخادع. وإذا لم تملك بينة دامغة، فإن من التضليل استخدام "زعم" حين تعني "قال". ومن الأخطر استعمال كلمات تحمل مدلولا ازدرائيا، مثل "أقر" أو "اعترف". الإقرار يتعلق عموما بمعلومات جديدة سلبية، معلومات كان المتكلم يفضل الاحتفاظ بها لنفسه لكن انتزعت منه بسبب السؤال الاستجوابي، أو تحت إرغام قسري من نوع ما.

من الأخطاء المشابهة التي يقع فيها الأغرار اللجوء إلى أفعال تحمل معنى معينا ويستحيل استعمالها كمرادف مباشر لـ"قال". "أعلن" خطأ مخل متكرر هنا، مثل:

"أنا في الرابعة والعشرين"، حسبما أعلنت.

لربما قالت "أنا في الرابعة والعشرين"، لكن إن "أعلنت" فهذا يعني أنها رفعت صوتها وصاحت بالعبارة، من سطح مبنى مثلا. وهذا يعطي مدلولا مختلفا تماما عن "قالت"، لأنه يتضمن في معناه إما أنها فخورة بعمرها إلى حد غريب وشاذ، أو أنها كانت مؤخرا هدفا للتساؤلات حول عمرها الحقيقي وهي ترغب بتوضيح الأمر.

"قال" مقابل "يقول"

لا يمكن استبدال إحدى هاتين الكلمتين بالأخرى مع الإبقاء على المعنى المقصود نفسه، كما يعتقد الكثيرون، لأن لكل منهما وظيفة مختلفة. فصيغة الماضي تفيد التحديد (من بين وظائفها العديدة في اللغة الإنكليزية):

قالت الآنسة براون: "دهشنا حين أتى عيد الميلاد مرتين هذه السنة".

لكن صيغة الحاضر تفيد عموما التعبير عن العواطف التي يشعر بها الناس على نحو متكرر (من بين وظائفها العديدة الأخرى):

تقول الآنسة وايت: "لكن عيد الميلاد لا يأتي سوى مرة واحدة في السنة".

الجمل المعكوسة

بعض المراسلين الذين يكتبون بالإنكليزية يظنون أن بمقدورهم إدخال تنويع جديد إلى كتاباتهم عبر عكس الجمل عمدا، وهذا أسلوب شاع إلى حد غريب في كتابة الشواهد مثل:

"I am the happiest man in London.–Said Mr. Smith,"

والصواب هو:

“I am the happiest man in London," said Mr. Smith.

ومثلما أشار كيث وترهاوس في "دليل وترهاوس للأسلوب الصحفي"، لقد أصبحت هذه الطريقة بمثابة داء تفشى في مجلة "تايم" بحيث أن مجلة "نيويوركر" علقت قائلة (بعد أن عكست الجمل لتسخر من الأسلوب الجديد):

Backward ran sentences until reeled the mind.

(بينما الأسلوب المتبع في الإنكليزية الفصيحة هو:

(Sentences ran backward until the mind reeled.

تلفيق الشواهد

توسيع الشاهد المقتبس انطلاقا من جواب من كلمة واحدة

هنالك ممارسة خطرة فيما يتعلق بالشواهد تتمثل في تلك العادة التي يتبعها بعض المراسلين حين "يقوّلون" المصدر، أي يحصلون منه على "نعم"، أو

"لا" (أو حتى إيماءة من الرأس)، ثم يضيفون عبارة داخل علامات الاقتباس بحيث تبدو وكأن المصدر قد قالها. على سبيل المثال: "هل قمت بتسريب وثائق حكومية إلى الصحافة؟". وحين يقول الشخص المعني "لا"، يكتب المراسل في قصته: "ثم قال -لم أقم أبدا بتسريب وثائق حكومية إلى الصحافة-". أو أسوأ من ذلك: "هل قمتُ بتسريب وثائق حكومية إلى الصحافة؟ لا".

كل هذه العبارات يجب أن تكتب بصيغة الكلام المنقول، مع توضيح السؤال ومدى الإجابة.

لا تلفق الشواهد لحماية المصدر

من العادات السخيفة التي يتبناها الأغرار في الصحافة محاولة إخفاء هوية مصدر القصة الإخبارية من خلال الادعاء بأنه رفض التحدث إلى الصحيفة. أو أسوأ من ذلك، الاستشهاد بقوله: "لا تعليق". أولا، هذا ليس صحيحا. ثانيا، إذا كشفت هوية المصدر، يمكن إثبات أن جزءا من القصة - على الأقل - مخادع ومزور.

الكلام الذي يسمع عرضا في الشارع

إن تلفيق الشواهد ممارسة غير حكيمة تشابه إذا جاز التعبير وضع يد مبللة في مأخذ كهرباء. لكن يبدو أن بعض المراسلين يشعرون أن من الممكن التعتيم على الخطأ الفاضح في هذه الممارسة حين يكتبون قصة إخبارية تشمل - أو تصبح نابضة بالحياة بإضافة - بضع كلمات مقتبسة من رجل أو امرأة في الشارع. الغش يمثل تقريبا أحد أقل الأسباب الداعية للنأي عن هذه الممارسة. أولا، لا يمكن لأي كلمات يبتكرها المراسل أن تماثل في أصالتها أو صدقها في التعبير تلك التي ينطقها رجل الشارع. ثانيا، هذا النوع من المراسلين الذين يتبعون هذه الممارسة، ويتخصصون في حشو مقالاتهم وتقاريرهم بالشواهد التي "سمعوها عرضا في القطار"، لا تزيد معرفتهم عن أسلوب الناس الحقيقي والواقعي في الكلام عن معرفة الأصم منذ الولادة. أما الرد المعتاد

على هؤلاء المراسلين "المبتكرين" فهي أن يتحولوا إلى كتابة الروايات. لكن في الواقع يجب أن لا يفعلوا، بل يجب أن يتوقفوا عن الكتابة كليا.

"كل الصحف الناجحة لا تتوقف عن التذمر والتشكي والمشاكسة. ولا تدافع عن أي شخص أو أي شيء إذا استطاعت؛ وإذا ما فرضت المهمة عليها، فهي تتولاها من خلال إدانة شخص أو شيء آخر".

هـ . ال. منكين، 1919.

18

أساليب مختلفة لرواية القصة الإخبارية

"الصحفي هو شخص يتفوق في دأبه وجده على أي كسول في العالم"

كاتب مجهول

اعتقد المسيحيون في القرون الوسطى أن على أولئك الذين حكم عليهم بالعذاب في الجحيم أن يتحملوا إلى أبد الآبدين تباريح لفح حرها وزمهرير قرها بالتناوب. وهو أمر سبب للاهوتيين قلقا عظيما وحيرة مربكة. فإن كانت الحال كذلك، فهل تمر على الأشرار والعصاة والملعونين لحظة مميزة حين يتحول الحر إلى قر؟ هل تتمتع أرواحهم بلحظة عابرة من النشوة؟ أرادوا معرفة أين يكمن العقاب في ذلك.

احتدم جدل سفسطائي مشابه في كل مرة يحاول فيها أحدهم تحديد الفارق المميز بين القصة الإخبارية والمقالة. إذ يظن العديد من الصحفيين أن كتابة التقارير الإخبارية ممارسة جافة ومجدبة وغير شخصية على الدوام، في حين أن المقالات أكثر حرية في الصيغة إلى حد ما. وهم يعتبرون المراسل "جامعا" مخلصا وجديا لـ"الحقائق"، بينما يرون كاتب المقالة شخصا يتجول بحرية ويفكر بأبلغ العبارات، الأمر الذي يوفر عليه مشقة البحث والدراسة.

في الحدود القصوى - مثلا: تقرير عن مقتل 68 شخصا في حريق، من جهة، وعمود صحفي يقدم نصائح حول البستنة، على الجهة المقابلة - ليس ثمة خطر من الخلط بين الاثنين. الأول تقرير إخباري، والآخر مقال واضح. لكن تتموضع بين هذين الحدين المتطرفين غالبية القصص، فمتى تتحول القصة الإخبارية إلى مقال؟ حين تبلغ طولا معينا؟ حين تفتقر إلى عدد محدد من الحقائق؟ حين تتعامل مع مواضيع معينة مثل أساليب العيش والعلاقات التي تهم الناس فعلا؟ حين تتوقف عن تقديم المعلومات الطازجة في قصص لها بنى هرمية إخبارية؟

وفي الحقيقة، لا تفيدنا كثيرا محاولة صنع فوارق بين التقارير الإخبارية والمقالات، بل هي خطيرة فعلا. لأنها تنتج فكرا ضيق الأفق يمكن أن يقيد تغطية الأخبار ويحصرها في مواضيع تقليدية، ويدخل كتابتها في إسار صيغة ضيقة تفتقد الخيال والإبداع. أما في المقالات، فهي تشجع الفكرة التي تعمل في الخفاء وتشير إلى أن المعايير العادية للدقة والبحث الشامل لا تنطبق هنا، وأنها يمكن أن تصبح نوعا من المنتج الذي لا يضم حقائق كثيرة (يمكن تبينه بسهولة في اللغة الإنكليزية من غياب الأحرف الكبيرة في أول الكلمات). لكن العكس - طبعا - هو صحيح. فمعظم الصفحات الإخبارية يمكن أن تستفيد من روح المغامرة والمقاربة الأكثر مرونة للقصص. وعلى نحو مشابه، تتطلب معظم المقالات بحثا أشمل ودراسة أعمق وقدرا أقل من الكتابة المتسامحة المتساهلة. إذن، ليس ثمة فارق حاد بين الأخبار والمقالات، ومن الأفضل اعتبارها جميعا من التقارير.

مقاربات مختلفة

بعد أن تطرح جانبا هذا التفكير المتزمت، يمكنك آنئذ تقدير حقيقة أن هناك عددا لا نهائيا تقريبا من أساليب كتابة، أو استكمال، أو متابعة القصة (بغض النظر هل تنشر على صفحات الأخبار أو المقالات). بعض من هذه

المقاربات شائع نسبيا، وبعضها الآخر ليس كذلك. وغيرها يستخدم لكتابة الأعمدة أو الملاحظات الجانبية أو الإطارات، أو القطع المنفصلة المترافقة مع التقرير الرئيس، أو قد يظهر في صفحات التعليقات، أو التحليلات، أو المقالات. وجميعها، إن استخدمت بحكمة، يمكن أن تضفي التنوع والحياة على صفحات الجريدة.

المقالة الوصفية

هي التي تصف مشهدا أو حدثا يسلط الضوء على بعض الموضوعات أو الأشخاص المشاركين في القصة الرئيسة. وغالبا ما يعتبر الكتاب المقالات الوصفية تمويها مناسبا لآرائهم، وهي تبلغ أفضل حالاتها حين تكون وصفية بالتحديد. أما أكثرها تعبيرا فيرتكز على التفاصيل ويستخدمها للترميز إلى الحالة الأوسع. لكن تأثير ذلك يمكن أن يُدمر بفعل صياغة مشابهات سمجة. بينما تتمثل أفضل مقاربة في عرض التفاصيل ووضع الثقة في القارئ لرؤية أهميتها الدلالية.

المراقب الحيادي

الصحفي كمراقب، بكل بساطة ووضوح، لا يطرح أسئلة؛ بل يكتفي بالمراقبة، والتسجيل، وملاحظة سلوك وكلام وتفاعلات الأشخاص المعنيين. والتقرير المنشور سيستخدم على الأرجح العديد من الشواهد والكلمات الحرفية للأحاديث التي تجري بين الناس. هذا النوع من الكتابات الشائعة والمنتشرة يتناول بعض الأماكن أو المؤسسات التي تتصف بالغرابة بالنسبة لقرائك وتثير فضولهم.

خلف الكواليس

المقالة هنا تشترك في العديد من أوجه الشبه بالنوع الآنف الذكر، لكنها تختلف في كونها تفسيرية لا تعتمد على المراقبة والرصد. كما ينبغي أن تصف آلية عمل الأشياء. تبلغ هذه المقاربة ذروة التأثير حين تستخدم حول

موضوعات يعتبرها القراء من القضايا المعروفة، لكن لا يعلمون في الواقع سوى القليل عنها. على سبيل المثال، كيف يخطط جدول مواعيد القطارات على المستوى الوطني؟ أو كيف تعمل وكالة متخصصة في تقدير حجم الائتمان المقدم إلى الشركات والأشخاص بدون مخاطرة مفرطة؟

التنكر

يلعب الصحفي دور الشخص/ الموضوع لرؤية كيف تكون ردة فعل الناس. ويمكن القيام بذلك لسببين اثنين. أولا، بغرض التسلية، كأن يتنكر بزي كاهن لرؤية تأثير ذلك في سلوك الناس (فعل ذلك أحد الصحفيين في لندن مؤخرا، وبالإضافة إلى مجرد التجول بثيابه التنكرية، دخل إلى الحانات والنوادي الليلية). ثانيا، يمكن للصحفي ممارسة هذه الخدعة لأغراض جدية، كأن يتظاهر بأنه مشرد لاكتشاف كيف يعامله المجتمع. قبل عدة سنين هام مراسل على وجهه في أمريكا زاعما أنه مصاب بفيروس العوز المناعي المكتسب (HIV)، ليكتب حول ردة فعل الناس حين يدس هذه "الحقيقة" في مجرى الحديث معهم.

السيرة الذاتية

وهذه تكون في العادة دراسة للشخصية المحورية في القصة، لكن يمكن أن تكون تصويرا لمكان، أو مؤسسة، أو ديانة.. الخ. كما يمكن أن تأخذ شكل تقرير حول مقابلة مع موضوع (بطل) القصة، أو جملة من الآراء التي جمعت لتقديم الصورة الكاملة.

المقابلة

يمكن كتابة ما جرى فيها إما على شكل قصة، مع السياق والخلفية والتعليقات، أو بصيغة رواية حرفية، لكن بعد تحريرها، للمقابلة. في الحالة الأخيرة، يجب أن تكون الأسئلة قصيرة، والكلمات مختارة بعناية أكبر من المعتاد، كما ينبغي الإشارة إلى أي إعداد أو تنقيح للأجوبة (باستخدام النقاط

مثلا [...]) الشخص المعني يجب أن يتحدث بأسلوب محكم ومثير للاهتمام، نظرا لاستحالة تدخل من يجري المقابلة بالتعليق وما شابه لتصحيح وتعديل النواقص والعيوب في الكلام.

إطارات الحقائق

وهي عبارة عن قوائم بسيطة بالحقائق المرتبطة بالقصة، أو أمثلة سابقة على الحدث المحوري فيها. وتكون عادة بلون مختلف أو مرتبة حسب التاريخ، ومتفرقة في مختلف أجزاء القصة.

الترتيب حسب التسلسل الزمني

تروى هنا أحداث القصة "حتى الآن"، من خلال بنود متعددة يبدأ كل منها بالتاريخ (بالحرف الأسود البارز)، متبوعا بالتطورات آنئذ. ومن الأفضل غالبا استخدام اللغة السريعة المختصرة مع تجنب أدوات التعريف.

تاريخ كذا..

هذه المقاربة مناسبة حين يكون الشخص المعني قد عاش في الظل لوقت طويل ثم دفعته الأحداث فجأة إلى الواجهة. كما تنجح أيضا مع الشخصيات الشهيرة التي لا يعرف الكثير عن تاريخها. وتعمل على أفضل وجه حين تكون عبارة عن تاريخ حقيقي وكامل لا مجرد موجز للتطورات التي حدثت خلال السنوات القليلة الماضية.

النصوص الكاملة

حين تكتب قصة حول خطاب، أو تصريح، أو بيان، أو وثيقة مهمة، فإن من المفيد التفكير بإدراج النص الكامل.

شهادتي

هي التجربة الشخصية المكتوبة بقلم الصحفي بعد مقابلة الشخص المعني، أو من قبل الشخص ذاته. الطريقة الأخيرة هي المفضلة، نظرا لأنها تقدم

النبرة الصادقة (التي لن تخضع للإعداد والترتيب) لكلام الشخص الحقيقي، مقارنة بالجمل المشذبة المرتبة للصحفيين.

المقال الذي يقدم المعلومات حول خلفية القضايا

أي يفسر خلفية القضايا أو المواضيع المحورية في القصة. وهذا يعطي إحساسا بان التطورات تشكل جزءا من عملية مستمرة، لا ثورات هائجة يفجرها القدر بدون أسباب ودوافع محفزة. إن مثل هذه الكتابات عبارة عن تطبيق عملي لما يجب أن تضمه من مادة (بصورة روتينية، وإن بصيغة أقصر) إلى تقاريرك اليومية.

التحليل

مقال يتفحص الأسباب الكامنة وراء حدث ما، أو عدم حدوثه. وحتى إن كنت مراسلا متمرسا، لا ينبغي أن تكتب التحليل إلا بعد استشارة الخبراء والمتخصصين، وحاذر من كتابته بدون تفكير مترو.

الآراء الشعبية

عبارة عن شواهد قصيرة مقتبسة حرفيا من أشخاص اتصلت بهم هاتفيا أو أوقفتهم في الشارع لمعرفة ردة فعلهم على القصة. وغالبا ما تفشل هذه الطريقة لأن الأسئلة متوقعة (مثلا: تنويعات على السؤال: "هل تعتقد أن الجريمة عمل خاطئ؟")، ويسيرة إلى حد يصعب فيه الحصول على أكثر من استجابة آلية، أو استجابات مغالية في ابتذالها. اطرح الأسئلة التي تستدعي إجابات تعبر عن التجربة الشخصية أو ردود الأفعال الفردية. ولا ترجع إلى المكتب إلا بعد أن تحصل على تشكيلة متنوعة وواسعة من الإجابات.

موجز الحقائق من الخبراء

الشواهد هنا مقتبسة من الخبراء المتخصصين لا من جمهور العامة. وتنطبق على هذه الحالة أيضا المحاذير ذاتها كما في النوع السابق.

استطلاع الرأي

استطلاع لآراء الناس تجريه مؤسسة بحوث معتمدة. أما تكليف موظفيك بالعملية فلا يعتبر فكرة سديدة. لأن النتيجة ستكون غير علمية ولذلك لا معنى لها.

المراجعة

مثلما تراجع الأفلام والمسرحيات، وتجرب السيارات الجديدة، يمكنك تفحص أمور أخرى، مثل خدمات صحية جديدة، أو متحف أنشئ حديثا، أو مبنى تاريخي جديد، أو حديقة، أو غير ذلك من الخدمات العمومية. من الأفضل أن ترافق شخصا تستهدفه الخدمة (كأن يكون مؤهلا للحصول على الحق بالاستفادة من خدمات الرعاية الجديدة لاختبارها مثلا)، وتكتب مراجعة تعتمد على تجربته.

"لم أفتح جريدة أبدا بدون أن أجد شيئا اعتبر أن من الخسارة عدم رؤيته؛ وبدون أن استمد منها المعرفة والتسلية".

صمويل جونسون

19

التعليق، المقصود وغير المقصود

"لا تكون القصة نزيهة إذا أخفى المراسلون أحكامهم المتحيزة أو مشاعرهم خلف ستر من الكلمات الازدرائية المراوغة مثل: (رفض) و (بالرغم) و(اعترف) و(هائل)".

بن برادلي

الصحافة بطبيعتها عملية ذاتية (لا موضوعية). ولا تفوق قدرتها في المساعدة على إنتاج وعرض الآراء العالمية مقدرة الشاة على إنتاج الحليب. وبغض النظر عما إذا كانت التعليقات مقصودة أم غير مقصودة، جلية أم خفية، فإنها جزء لا يتجزأ منها. وإنكار ذلك يشابه إنكار أن الحبر يعلّم على الورق.

وفيما يتعلق بالتعليق المتعمد والمقصود (في الأعمدة الصحفية، والمقالات الافتتاحية)، ليس ثمة مشكلة، إذ لا يرغب أحد بإنكاره. فبرغم كل شيء، تشابه الصحيفة التي لا رأي لها شخصا خضع لعملية جراحية أزالت معالم شخصيته. المشكلة تظهر مع التعليقات المتنكرة، التي تتزيا بلبوس التقرير المباشر النزيه، تتحدث بصوته وتحاكي سماته وتقلد أساليبه. المشكلة تكمن أيضا في التعليق الذي ينسل زاحفا تحت غطاء فقرة في قصة إخبارية، وذلك قبل أن يدركه القارئ، وحتى الكاتب في بعض الأحيان.

إذن، التعليق لا يمثل مشكلة إلا حين لا يعلن عن نفسه. ولا يمكن أن نتخلص من هذه المشكلة، لكن نستطيع أن نأمل بتقليصها إلى الحد الأدنى عبر البحث فيها، والتفكير بها، ودراستها، والاعتراف بوجودها. هذا التعليق، إضافة الأنماط الأخرى الأكثر شيوعا وبروزا منه، هو موضوع هذا الفصل.

التعليق في القصص الإخبارية

هنالك ثلاثة أنواع من التعليقات في القصص الإخبارية: جلي ظاهر، وخفي باطن، وعرضي غير مقصود. التعليق الجلي الظاهر يتبدى حين يطلق المراسل حكما أو يذكر رأيا بطريقة مباشرة وصريحة. وهذا النوع من التعليق محظور على الصفحات الإخبارية في العديد من الصحف في شتى أرجاء العالم. وفي الحقيقة، يعتبر في بريطانيا والولايات المتحدة خطأ واضحا لا لبس فيه إلى حد أن العديد من الكتب التعليمية حول الصحافة لا تذكره إلا بشكل عابر. ويرى مؤلفوها أن المسألة من القضايا المسلم بها بحيث لن يعارض أحد من القراء الرأي القائل إن الصفحات الإخبارية مخصصة للمعلومات المقدمة بأسلوب مباشر بقدر الإمكان، وأن محل التعليق هو صفحات الأعمدة والرأي.

في معظم الظروف والحالات (سوف نتناول الاستثناءات لاحقا) يبدو أن هذا الرأي صحيح. فالقراء يعرفون أين هم، ويمكنهم قراءة القصص مفترضين أن ما يجدونه عبارة عن محاولة لتقديم وعرض الحقائق، حتى وإن لم تنجح على الدوام. ومثلما أشرنا في الفصل المتعلق بقيمة الخبر، فلكل منا تعليقه، لكن قلة منا تمتلك المعلومات الطازجة. التعليق شائع منتشر، والخبر عملة نادرة. لهذا السبب يكون الخبر - بصورة ثابتة - أشد إثارة من التعليق، ولهذا السبب بالتأكيد تتدنى القيمة حين يتم الخلط بين الاثنين. حيث تفسد المعلومات الحقيقية الجدية وتفقد بالتالي قيمتها.

لكن هناك استثناءات. المراسل المتمرس المحنك الذي يكتب مقالا حول خلفية موضوع تابعه ولاحقه زمنا طويلا، يجب أن يسمح له بإضافة أحكامه

لزيادة توضيح وتفسير القصة، وبالتالي تنوير القراء. الحرية ذاتها ينبغي منحها للخبراء المتخصصين أو المراسلين الأجانب الذين ظلوا يمارسون عملهم مدة طويلة. ولا ينبغي أن تبدو تعليقاتهم على شكل آراء كقرع الطبول، من نوع: "لربما قال ذلك، لكن في رأيي.. "، بل كملاحظات جانبية محفزة تزود القصة، أو جوانب منها، بالسياق. وهي تعمل على أحسن وجه حين تأخذ صيغة ملاحظات وجيزة تعبر عن التشكك، أو تتنبأ بالسيناريوهات المحتملة، أو كآراء حول السياسة التي ينبغي اتباعها.. الخ. ومن الأفضل عرضها بطريقة مختلفة عن التقارير الإخبارية الجدية.

ينبغي الاقتصاد في استخدام مثل هذه التعليقات، لكن ربما مع نشرها على مساحة أوسع. التقارير الإخبارية التقليدية التي تتناول الحقائق وحدها يجب أن تشكل الدعامة الأساسية للتغطية الإخبارية للصحيفة، لكن لا مانع من استخدام الأشكال الأخرى الأوسع، خصوصا في المقالات الشاملة الأطول. ومع انتشار القنوات الإخبارية التلفزيونية ومواقع الويب، تعتبر مثل هذه التعليقات جزءا هاما من محتوى الصحيفة. ومن النفاق بالنسبة للصحف ازدراء أي فكرة تتصل بالتعليق الصريح حين يكون من المتعذر تجنب الأشكال الأخرى لأنها جزء لا يتجزأ من القصص الإخبارية. أما الشرط الوحيد فهو أن يكون التعليق الصريح صادقا وأمينا وظاهرا للعيان، وبدون محاولة للتخفي أو التقنع بشيء آخر.

الخطأ في التعليقات المستترة وغير المقصودة هو أنها خفية ومخادعة. أما الفارق بين النوعين فهو أن الأولى متعمدة. لكنهما يؤديان إلى النتيجة ذاتها ويسلكان السبل نفسها: يشابه كل منهما الآخر في اللغة، والمادة، والمصادر التي يستعملها أو يحذفها. في كتابة الأخبار، تمثل الكلمات التي تحتمل مداليل متعددة الوسيلة الرئيسة للتعليقات الخفية أو غير المقصودة. وهي كلمات تحمل معاني ازدرائية، وهنالك العديد من الأمثلة عليها في كل لغة من اللغات. نعرض فيما يلي حالتين تفرزان العديد من الأمثلة الشائعة.

نسبة الكلام

تعتبر كلمات مثل "قال" و"روى" من الكلمات الحيادية. فهي تكتفي بإعلامنا بأن العبارات المقتبسة قد قيلت. وغالبا ما يبحث المراسلون عن بدائل، لكن المشكلة هي أن العديد من هذه البدائل ليست حيادية. فكلمات مثل "اعترف" و"أقر" لا تكتفي بإعلامنا بأن عبارات قد قيلت، بل تنقل أكثر من ذلك. فهي تعني أن شخصا ما قد تعرض للضغط لكشف تصرف بقي حتى الآن مجهولا، ولربما يكون مخزيا؛ أو أنه قرر، بعد مغالبة ضميره مثلا، الاعتراف بكل شيء. وفي الحالتين كليتهما يختلف المعنى عن مدلول "قال".

"أقر" تتضمن أيضا اعترافا بالذنب، بينما يمكن لأفعال مثل "زعم" و"ادعى" أن تحمل أيضا معنى ضمنيا يشير إلى أنك لا تصدق ما يقال. وفي الوقت نفسه، تتضمن "أكد" و"شدد" و"أشار" و"دل" أنك تدعم وتؤيد المتكلم. وعلى نحو مشابه، إذا فسر أحدهم بعضا من أفعاله أو قراراته، فلا تكتب بدون سبب وجيه أنه "حاول تبرير" أفعاله أو "الدفاع" عنها. فهذا لن يكون صحيحا إلا إذا تعرض للانتقاد أو لضغوط أخرى لتفسيرها.

من المصادر الغنية الأخرى للتعليق غير المقصود القصة التي تبدأ بـ"خوفا من.." أو "أملا بـ.." وتغفل من الذي يخاف أو يأمل. ولكن لا ضرر في أن تكون المخاوف أو الآمال من النوع الذي يشترك فيه كل البشر، كما في "تزداد المخاوف حول سلامة ثلاثة أطفال تغيبوا عن منازل ذويهم بعد حضور حفلة بعد الدوام في المدرسة يوم أمس". لكن حين تبدأ القصة بـ"تعاظمت الآمال يوم أمس بانخفاض أسعار الذهب .."، ينبغي تحديد أولئك الذين تعاظمت آمالهم. فمنتجو الذهب، والبلدان التي يستفيد اقتصادها من ارتفاع أسعاره، سوف تراودها المخاوف لا الآمال كما هو مفترض.

السياسة

إن الوصف الوجيز لآراء شخص ما ومواقفه السياسية يظهر فجأة أنواع المشاكل كلها. فصفات مثل "مصلح" و"راديكالي" و"متشدد"، و"رجعي" و"معتدل"

و"متطرف"، تستخدم على الدوام وكأنها نقاط مرجعية ثابتة ومشابهة للتصنيفات الحزبية. لكنها ليست كذلك. فهي متحركة لا تعرف الجمود، ويعتمد معظمها على المنظور الذي تستخدمه لوصفها. كما أنها جميعا تستخدم بمضمون ازدرائي وحتى تحقيري. فمن يخالفك الرأي، أو يعارض الأفكار السائدة هو "متطرف"، وهي صفة تحمل كل مضامين "الغلو" الواضحة التي تحيل إليها الكلمة. ولا تنس المثل السائر: "المدافع عن الحرية" من وجهة نظر شخص هو "إرهابي" من منظور آخر.

هنالك العديد من الكلمات الأخرى المشحونة بالدلالات شكلت مصادر لهذه الصفات. أما استخدامها فيعتمد غالبا على حكمك المسبق (والمتحيز)، أو على مدركاتك أو غير ذلك. فالإجراءات التي تتخذها السلطات بحق مجموعة معينة من الناس، هي "حملة منظمة بغرض التغيير" أو "مطاردة مسعورة"، وذلك اعتمادا على وجهة نظرك. والأشخاص الذين تتفق معهم يقعون في "عثرات بسيطة" أو "هفوات"، في حين يرتكب من لا تأبه لهم "أخطاء خرقاء" أو"أخطاء فادحة". والمتظاهرون الذين تعارض أهدافهم عبارة عن "غوغاء"، في حين يتحول من تؤيدهم إلى "جماهير شعبية حاشدة". كما يمكن للجماعات أن تصبح تجمعات من "الرافضين المعارضين" أو من "الثائرين المقاومين".

من الحكمة أن تختار الكلمات بدقة بالغة وأن تدرك على الدوام دلالاتها الضمنية. فأكثر العبارات براءة يمكن أن تنقل انطباعا خاطئا. في الولايات المتحدة وغيرها، مثلا، ظلت حقوق الإجهاض واحدة من أشد القضايا الخلافية حدة طيلة سنوات عديدة. فإن أطلق الكاتب على الجنين، مهما كان عمره، "الطفل الذي لم يولد بعد"، يعني أنه يقف - دون قصد - في صف المؤيدين لتحريم أو تقييد الإجهاض. وإن دعا مناصريه "مشاركين في الحملات المطالبة بالإجهاض"، فهو يشدد على اعتباره جناية. أما "إجهاض الأجنة" و"المشاركون في الحملات المطالبة بحق الاختيار" فتنتمي إلى الأوصاف الأقرب إلى الحياد.

ضمير المتكلم

ضمير المتكلم من أكثر الكلمات إثارة للخلاف في معظم اللغات. بعض الصحافيين سيتجاوزن الحدود المعقولة في تجنب حتى الإشارة إليه، ويستبدلونه بـ"هذا المراسل" أو "مراسلكم" أو "ممثل هذه الصحيفة". وسيستخدمه غيرهم متذرعين بأوهى الأعذار، فيجعلون من كل قصة يكتبونها ممارسة في تضخيم وتفخيم الأنا. ولا بد من وجود أسلوب متوازن بين النقيضين، ومن المفضل أن يكون أقرب إلى خيار التواضع.

ولكن تحقيق كل ذلك ليس بالأمر اليسير دوما. فحين كان الرئيس جون كنيدي يعد خطاب التنصيب (وهو من أشهر الخطب في القرن العشرين)، أبلغ مستشاريه أن ضمير المتكلم محظور استعماله. ومع أن أفضل العقول الأمريكية اشتغلت على المسودات المتتابعة، إلا أن "أنا" تسللت إلى الخطاب أربع مرات.

المراسلون الذين يعملون على تغطية "القصص الكبرى" معرضون على نحو خاص لإغراءات ضمير المتكلم، ربما لشعورهم بأن جزءا من أهمية القصة قد انتقل إليهم. ثم هنالك الصحفيون الذين يعتقدون بأن ردود أفعالهم على القصة، وعواطفهم، وأفعالهم، مثيرة وجذابة إلى حد يتوجب إضافتها إليها. ومثلما تقول إحدى شخصيات مسرحية البريطاني توم ستوبارد "ليل ونهار": "المراسل الأجنبي هو شخص يطير من فندق إلى فندق ويظن أن أشد ما يثير في أي قصة هو حقيقة وصوله لتغطية أحداثها".

بالطبع، أنت - كمراسل - ترى أشياء، وتلتقي بأشخاص، وتمر بتجارب تعتبر - بالتعريف - مثيرة للاهتمام. فبرغم كل شيء، لن تتدخل لو لم يكن هناك أخبار. لكن ما يريد القارئ معرفته هو ما رأيته وما عرفته، لا كيف رأيت أو كيف عرفت، ولن يهتم بالتأكيد بما تأكل أو تشرب أو تشعر عندما تكتشف، وهذا من قواعد الصحافة الأساسية، إلا إذا كنت اسما كبيرا ونجما لامعا في سمائها ويعتمد رأسمالك ومواهبك على التقارير الشخصية.

وعلى افتراض أنك لست كذلك، عليك أن تدخر الكتابة "المشخصنة" إلى مناسبة تمر فيها بتجربة شخصية مذهلة حقا (بالنسبة للقراء، وليس لك أو لعائلتك). وفي أي مهنة عادية، تكون مثل هذه المناسبات قليلة جدا ومتباعدة. وكمثال على ذلك، نعرض مقطعا كتبه جورج اورويل حين كان يغطي الحرب الأهلية الإسبانية. المقاربة الشخصية هنا مبررة لأن اورويل اختبر تجربة غير عادية لابد أن تثير فضول العديد من القراء - فقد أصيب برصاصة. والمقطع يمثل نموذجا للتحفظ في التعبير:

كان قد مضى علي في الجبهة عشرة أيام عندما وقع الحادث. تجربة الإصابة بالرصاص برمتها بالغة الإثارة بحيث أعتقد أنها تستحق وصفها بالتفصيل.

.. على وجه التقريب، شعرت بأنني في مركز انفجار. وبدا لي أن هناك دويا صاعقا وبرقا مبهرا يحيطان بي، أحسست بصدمة هائلة - بدون ألم، مجرد صدمة عنيفة، مثلما يحدث حين تصاب بصعقة كهربائية؛ رافقها شعور بالضعف المطلق، وإحساس بالتعرض لضربة وبالانكماش والعجز التام. أكياس الرمل أمامي تراجعت إلى مسافة هائلة. وأظن أنك ستحس بالشعور ذاته إذا صعقك البرق. عرفت على الفور أنني أصبت، لكن بسبب الدوي والوميض حسبت أن رصاصة من بندقية مجاورة انطلقت صدفة وأصابتني. كل ذلك حدث في زمن لا يتجاوز ثانية واحدة. في اللحظة التالية انهارت ركبتاي وسقطت ليرتطم رأسي بالأرض بشدة، لكن لم يؤلمني ذلك، فارتحت. سيطر علي شعور بالخدر والدوار، وإدراك بأنني أصبت بجراح خطيرة، لكن لم أعان من أي ألم بالمعنى المعتاد.

تصويب السياسة

خلال العقد الأخير أو نحوه، حدث تغير جذري ومتأخر في طريقة كتابة وتفكير الصحف حول مختلف الجماعات في المجتمع: مثل النساء، والسود،

والمعوقين، والمثليين، بعد أن تعرضت جميعا - وما زالت في كثير من الأحيان تتعرض - للازدراء والتمييز. ومن الأهداف الرئيسة لأولئك الذين يحاولون رفع هذا الظلم اللغة المستخدمة مع هذه المجموعات. وبالرغم من أن المناصرين الأشد تطرفا لتصحيح أخطاء السياسة قد وفروا مادة يتندر بها أصحاب التيار الرئيس بسبب مغالاتهم ومبالغتهم، إلا أن قلة قليلة من الصحفيين يرغبون بالعودة إلى تلك الأيام التي كان يطلق فيها على النساء في الصحف الغربية "ستات" (ladies)، مع ملاحظة مرفقة تشير إلى أنهن "جميلات" أو "جذابات" أو "فاتنات"، وتصف لون الملابس التي يرتدينها.

تصويب السياسة أصبح الآن الشغل الشاغل للمذاهب الصحفية في شتى أرجاء العالم. ومن الكتب التعليمية التي صدرت مؤخرا كتاب أفسح حيزا أكبر لتعليم كيفية الكتابة حول ذوي الإعاقات مقارنة بالمساحة المخصصة للقيم الإخبارية. وهذا أمر سخيف برأيي، لأن من الممكن حل المسألة بواسطة ثلاثة مبادئ عريضة، يشمل كل منها تلك المشاعر الإنسانية التي يملكها أي شخص متعلم في الحياة العادية:

- تجنب الإشارة إلى العرق أو الإعاقة إلا إذا كان لهما تأثير مباشر على القصة.
- لا تطبق معايير متباينة على الكتابة التي تتناول الجماعات الاجتماعية المختلفة. على سبيل المثال، لا تصف ثوب وتسريحة شعر امرأة تعمل في السياسة إلا إذا كان للوصف تأثير مباشر على القصة أو يتمتع بقيمة إخبارية في حد ذاته. أما الاختبار فهو: هل كنت ستصف مظهر السياسي (الذكر) لو وجدته في الحالة نفسها؟
- تشبث بالدقة ولا تستعمل العبارات الملطفة. والأسلوب المستخدم في بعض البلدان الآن هو الإشارة إلى المكفوفين بـ"الذين يشكون من إعاقة بصرية". لكنهم في الحقيقة ليسوا كذلك. فهم مكفوفون. إذ إن من يشكو من إعاقة بصرية يمكن أن يرى جزئيا، ومن الأفضل وصفه بأنه "غير قادر على

الرؤية إلا بشكل جزئي". أما أفضل الحلول على الإطلاق فهي عدم استخدام العبارات المبهمة؛ كن محددا ودقيقا. بدلا من لفظة "المعوق"، التي قد يعترض عليها الكثيرون، حدد ما هي الإعاقة - بشرط أن يكون ذلك على صلة وثيقة بالقصة.

التحليل

ينبغي على كل قصة إخبارية أو مقالة صحفية أن تشمل قدرا معينا من التحليل، محبوكا داخل نسيجها أو مكتوبا في قسم منفصل. لكن في أغلب الأحوال تأخذ القصة حجما أو أهمية مفاجئة تستدعي كتابة تحليل مرفق. وهذا سوف يشرح الأحداث، والموضوعات، والقضايا، والتطورات في محاولة لتفسير ما يحدث الآن أو ما سيحدث في المستقبل. كما ينبغي أن يحاول تفسير الأهمية الدلالية لهذه الأحداث وسياقها الخاص.

لا يجب أن تكون مثل هذه الكتابات مجرد سلسلة من التوكيدات. ولا مجرد قصص قديمة أعيدت إليها الإثارة وقدمت مع بضعة آراء جديدة. فمثلا يمكن أن تكون إما تحليلاتك أنت، أو تحليلات خبراء وسلطات مرجعية معرفة بالاسم (وهذا أفضل). أما التوكيد فينبغي أن يتركز على الشرح والتفسير. ويمكن تطبيق هذه المقاربة على الأنواع الأخرى من القصص الصحفية. السيرة المهنية لشخصيات بارزة وشهيرة، مثلا، يمكن أن تأخذ شكل مادة مستهلكة أعيدت صياغتها بأسلوب سطحي، لكن قد تأخذ أيضا شكل محاولة جدية لوضع سيرة حياتها ضمن سياق محدد، مع بعض البحث التفصيلي حول الخلفية والعمل. وقد تجمع آراء أولئك الذين اتصلوا بهذه الشخصيات وعرفوها عن كثب، وتضاف إلى الصورة الكاملة والراهنة لها.

يحتاج القراء إلى المقالات التفسيرية بشكل أكبر، الآن، حيث يتلقون غالبا أول التقارير والأخبار من محطات الإذاعة والتلفزيون. وعلى الصحف تفسير ما تعنيه الأحداث والتطورات في دلالاتها، إضافة إلى التقارير المتعمقة، نظرا

لعجز وسائل الإعلام المرئية والمسموعة عن ذلك. وليس ثمة حاجة لأن تظهر التحليلات المتعمقة في صفحات داخلية "هادئة" من الصحيفة، حيث "يمص المعلق إبهامه، ويقلب أوجه الفكر، ثم "يكتب ما يعتبره تفسيرا لمعنى ما شاهده"، على حد تعبير الصحفي الأمريكي ايه. جي. ليبلنغ. لكن يجب أن تتناول فهما جديدا ورؤى متعمقة - معنى جديدا لمدلول الأحداث.

المقالات الرئيسة أو الافتتاحيات المعبرة عن رأي الصحيفة

من الصعب جدا كتابة تعليقات جادة، ومثيرة للاهتمام، وتتمتع بالسلطة المرجعية. في كثير من الأحيان، تبدو الجدية كآبة مملة، والسلطة المرجعية تفاخرا تيّاها، والموضوع متوقعا ومعروفا كتاريخ يوم غد. ولا تختلف مثل هذه المقالات عن "الرغيف البائت" .

من التقاليد التي تحظى بشبه إجماع شمولي أن كل عدد من الصحيفة يجب أن يضم عمودا يعرض رأي الصحيفة حول بعض القضايا المهمة. وفي البلدان التي تتعرض فيها الحريات الأساسية للتهديد الداهم، يمكن للافتتاحيات أن تتحول إلى صوت مدو يدافع عن حقوق الناس. فهي ترسل إشارة من الجماهير إلى الأنظمة الحاكمة تؤكد أنها تراقبها وتعارضها. وهي تعزز وتدعم وتلهم أولئك المناضلين في سبيل الحرية والعدالة.

في بلدان أخرى، حيث الظروف أفضل، تتعرض قيمة هذه الافتتاحيات اليوم لجدل خلافي أكبر. فقد حضرت العديد من اجتماعات هيئات التحرير، حيث أمضى المجتمعون أوقاتا طويلة في التنقيب في القصص الصحفية التي ظهرت مؤخرا أملا في العثور على موضوع - أي موضوع - يمكن للصحيفة أن تتناوله. وقد تمضي ساعات طويلة قبل أن يتم الاتفاق في نهاية المطاف على قضية (جرى اقتراحها في بداية الاجتماع في معظم الأحيان). ومع حل المشكلة ليوم آخر، يتنفس الجميع الصعداء، باستثناء المسكين الذي كلف بالكتابة. ويجد الكثيرون منا كتابة تعليق جيد اختبارا صعبا، إلا إذا اقتنعنا

تماما بالموضوع. أما تلفيق موضوع للكتابة عنه فغالبا ما يؤدي إلى مقالة فارغة ومنافقة: إذ إن محاولة كتابة تعليق دون وجود قضية مهمة تؤدي إلى لغو فارغ وقاصر، أو أسوأ من ذلك، إلى سلسلة من التعليقات المتلاحقة التي تقول إن الوقت مبكر لإطلاق حكم على هذه المسألة - اعتراف سافر (وغير مقصود) بأن الصحيفة قد اختارت موضوعا غير مناسب، أو كاتبا غير ملائم.

بعض الصحف الكبرى وظفت خبراء متخصصين لكتابة الافتتاحيات فقط. وهذا أدى إلى دعابة "عملية"، في صحيفة "ديلي نيوز" في شيكاغو، نفذها أحد الصحفيين المتمكنين . فقد اعتادت مجموعات من القراء أن تزور الصحيفة، المعروفة بالنبرة الأخلاقية العالية لمقالاتها الافتتاحية، وتتجول في مكاتبها. وعندما عرف أحد المراسلين (يوجين فيلد الذي أصبح شاعرا فيما بعد) بموعد قدوم إحدى المجموعات، اتفق مع موظف يقوم بدور الدليل للزوار من القراء، ورسم خطة معه. وما إن وصلت المجموعة المؤلفة من أشد سيدات المدينة تزمتا وتمسكا بأهداب الفضيلة إلى الباب الذي كتبت عليه لافتة "كتاب الافتتاحيات" حتى فتحه الدليل ليظهر شخص جالس وراء مكتب، وقد انهمك في كتابة الافتتاحية التي تحض على الفضيلة. كان الشخص هو فيلد، وقد طالت لحيته، وكشر عن أسنانه، وارتدى اللباس المخطط الخاص بنزلاء السجن، مع الأصفاد والسلاسل. قال الدليل مفسرا: "إنه سجين موثوق به من سجن الولاية، ومحكوم بجريمة قتل. ورئيس تحريرنا لا يحب التبذير، ودائم التفكير بنفقات الصحيفة. ولذلك استخدم نفوذه ليأتي بهذا الرجل مرتين أسبوعيا. كاتب افتتاحية بالمجان، لا يكلفنا فلسا واحدا".

لكن، إذا كنت موظفا تقليديا في صحيفة، وكلفت بمهمة كتابة افتتاحية حول موضوع لا تراه مهما، فأمامك خياران اثنان: إما أن تتحدث مع الخبراء داخل وخارج صحيفتك وتجمع آراءهم المتخصصة، أو تنسحب إلى ركن منعزل للتفكير ببعضها. وهذه الطريقة ليست تهكمية كما تبدو ظاهريا. فمن المدهش

كم تتجب بضع لحظات تأملية، تتركز فجأة مع اقتراب الموعد النهائي للنشر، من أفكار أصيلة ومبتكرة.

ولكن للأصالة المبتكرة حدودا. جوزيف ميديل، المحافظ المتزمت وصاحب جريدة "شيكاغو تريبيون"، كتب افتتاحية عام 1884 حول مشكلة العدد الضخم من المشردين والعاطلين من سكان المدينة. لم يكن ميديل من النوع الذي يقبل أي استرحام للعثور على عمل لهؤلاء البؤساء. وبدلا من ذلك، اتخم افتتاحيته الجدية بالحقد. ورد في فقرة منها:

> ***أبسط خطة، حين لا يكون أحدهم عضوا في الجمعية الخيرية، هي وضع قليل من الستريكنين أو الزرنيخ في اللحم وغيره من الأطعمة المقدمة للمشرد فيموت بخلال وقت قصير نسبيا، وفي هذا تحذير لغيره من المشردين كي يبتعدوا عن الحي.. كما ينقذ الدجاج وغيره من الأملاك المنقولة من النهب والتخريب.***

للحماس المتقد أيضا حدوده، التي وصلتها وتجاوزتها بالتأكيد "ماسنجر"، وهي صحيفة ناطقة بالإنكليزية في الكاميرون. فقد نشرت على صدر صفحتها الأولى في أحد أعداد شهر تموز/ يوليو 1995، مقالا بعنوان "اقتلوا هذا الرجل"، جاء في فقرة منها: "مثل هذا الرجل لا يستحق أن يعيش ويجب أن يمسح من الوجود. فهذه المعاملة، مهما كانت قاسية، تناسب اوبن بيتر اشو، حاكم المقاطعة الجنوبية الغربية".

الافتتاحيات، مثل مقالات الرأي كلها، لا ينبغي أن تكون مجرد سلسلة من التوكيدات العنيدة على بعضها بعضا. وبالإضافة إلى التعبير عن وجهة نظر "طازجة"، يجب أن تتضمن ما يكفي من عناصر الخلفية والتحليل لجعلها مفهومة لأولئك الذين لم يقرؤوا القصة (أو القصص) التي تعتمد عليها. وينبغي أن تكون عبارة عن حجج مقنعة ودامغة ومحكمة البناء.

وإن أردت أن يكون لها تأثير، ركز مقدرتك الإبداعية على قلة قليلة من العبارات البليغة التي تظل عالقة بأذهان القراء. إن القائمة التي تضم افتتاحيات الصحف التي بقيت إلى ما بعد صدور العدد التالي ليست طويلة. بل هي قصيرة جدا في واقع الأمر. لكن تلك التي حققت أي نوع من الخلود لا تدين بالفضل إلى الحجج التي دافعت عن قضية ما ببراعة وحذق، بل إلى عبارة بليغة بقيت عالقة في الأذهان. هذا هو العامل التي جعلها لا تنسى: "التعليق مجاني، والحقائق نادرة" (سي. بي. سكوت في مانشستر غارديان" 1921)، "شيوعية بوجه إنساني" ("رودي برافو"، براغ، 1968)، "صفعة الحكومة الصارمة"("ديلي تليغراف"، لندن، 1956)، "صورة واحدة تعادل ألف كلمة" ("برينترزانك"، الولايات المتحدة، 1927).

ولكن هناك خطا رفيعا بين الحضور المؤثر والادعاء المتفاخر. ومثلما يظل السياسي سياسيا، كذلك تظل الصحيفة مجرد صحيفة، وليست لاعبا مؤثرا في المسرح العالمي. ولا يوجد ما هو أسخف من صوت مبحوح يصدر من صحيفة متواضعة (لاسيما حين تكون مناطقية محدودة الإمكانات) "يطالب بتحرك الأمم المتحدة على الفور". المثال على ذلك صحيفة "سكيبرين ايغل"، وهي جريدة من أربع صفحات كانت تصدر مرة في الأسبوع في مدينة كورك بايرلندا في أواخر العهد الفيكتوري. فحين فعل قيصر روسيا شيئا أغضب صاحب الجريدة، أبلغت مقالة افتتاحية قراء الصحيفة الأربعة آلاف بأن "سكيبرين ايغل وضعت روسيا تحت المراقبة الدقيقة".

أحدثت الإعلانات المبوبة الفردية تغييرا في العالم فاق في تأثيره بلايين الكلمات في افتتاحيات الصحف التي جعجعت بلا طحن على مر التاريخ. معركة غيتيزبرغ (1863)، وهي واحدة من أفظع معارك الحرب الأهلية الأمريكية وأشدها دموية، مثلا، سببها إعلان للأحذية، ظهر في صحيفة "غيتيزبرغ كومبايلر"، يطرح فيه أحد المتاجر نوعا جديدا منها للبيع. قرأ

الإعلان الجنرال (الجنوبي) جيمس بيتيغرو، الذي كان يزحف آنذاك بجيشه الملطخ بالوحل عبر بنسلفانيا. كان الجنود في حالة مزرية، بعد أن بليت أحذيتهم وسار العديد منهم حفاة. أمر الجنرال رجاله بتغيير وجهتهم إلى غيتيزبرغ. وعلى الطريق اكتشفت مواقعهم قوات الاتحاد، واندلعت معركة غيتزبرغ الدموية التي امتدت ثلاثة أيام وراح ضحيتها 5662 من القتلى و27203 من الجرحى.

في الحقيقة، من الصعب جدا العثور على حالة واحدة لتعليق في صحيفة استطاع أن يغير العالم. أما المثال الذي يورد عادة، وهو تعليق اميل زولا الشهير "أنا أتهم" حول قضية دريفوس (نشر في "لورور" الفرنسية في كانون الثاني/ يناير 1898)، فكان في واقع الأمر رسالة مفتوحة إلى الحكومة وليس افتتاحية (ولم يكن له سوى تأثير مباشر محدود). أما الحالة الأخرى فهي لتعليق ارتكب خطأ بالفعل.

في نيسان/ ابريل 1888، توفي لودفيغ نوبل، الشقيق الأكبر لمخترع الديناميت (المتقلب المزاج لكن المثالي) الفريد نوبل. أخطأت إحدى الصحف الفرنسية الكبرى في قراءة الخبر ونشرت نعيا لألفرد نوبل، واصمة إياه بـ"تاجر الموت". وكان ذلك السبب الرئيس الذي دفعه لتغيير وصيته وتحويل ثروته لتأسيس جائزة نوبل للسلام والأدب والعلوم.

كتاب العمود الصحفي

كل من وصل إلى مرحلة كتابة العمود لا يحتاج إلى نصيحة؛ أو ربما لأنه امتلك (أو سيمتلك قريبا) غرورا يمنعه من قبولها.

مراجعة الكتب

ثمة ثلاث مدارس لمراجعة الكتب ينبغي "إغلاق" اثنتين منها. أولا، هنالك أولئك الصحفيون المحترفون الذين يتفوقون كمراسلين حين يكتبون قصة إخبارية، لكنهم يشعرون بصدمة مفاجئة تدفعهم لإثبات قدراتهم كـ"كتاب ومؤلفين" حين يقومون بمراجعة كتاب أو مسرحية أو حفلة موسيقية.

ثم هنالك الهواة، وغالبا ما يكونون من منافسي (والأسوأ، من أصدقاء) الكاتب الذي يخضع عمله للمراجعة النقدية، الذين تدفعهم أسباب شخصية لإرباك أو خداع القراء. في الحالتين كليتهما، لا يتجاوز ما نحصل عليه مجرد مقال يفشل فيه الكاتب في وصف مضمون ومحتوى العمل، لأنه متلهف على إظهار آرائه، وإطلاق تنبؤات خيالية حول المعنى، وتكهنات جامحة حول المقصد، وبالطبع أحكام مدوية كما يأمل.

يجب أن ينتبه القراء لهذين المذهبين في مراجعة الكتب. وكذلك الكتاب. ومثلما قال فلاديمير نابوكوف معلقا على مراجعي الكتب: "يمكن للنقد أن يكون تعليميا وتثقيفيا بمعنى أنه يقدم للقراء، ومؤلف الكتاب، بعض المعلومات المتعلقة بذكاء الناقد، أو أمانته،أو كليهما". أما مدرسة المراجعة التي تستحق أن نحافظ عليها فهي تلك التي يتمثل هدفها الرئيس في تقديم المعلومات حول العمل المعني؛ ووصفه بشكل دقيق وكامل بقدر المستطاع، والتدقيق بأسلوبه، ومحتواه، ومضمونه الفكري. تذكر أن من المسموح به كتابة مراجعة نقدية لا تضم رأيا سطحيا. فإن شعرت بإغراء يدفعك لتجاهل هذه النصيحة، تذكر فقط الناقد المجهول في صحيفة "اوديسا كوريير"، الذي كتب عام 1887 عن إحدى الروايات: "هراء عاطفي مفرط. اظهروا لي صفحة واحدة تضم فكرة". أما الرواية التي راجعها فكانت "آنا كارنينا"!

> ***"كل الشخوص الخيالية الضبابية التي ظهرت من ضباب التشوش الإنساني منذ الحرب الكبرى، أكثرها عبثية وفي الوقت ذاته أكثرها ادعاء وتظاهرا، يمثلها كتاب الأعمدة أو المعلقون المتقلبون الذين يعرفون جميع الإجابات بصورة ارتجالية، ويمكنهم إيجاد الحلول النهائية والحاسمة للمسائل الكبرى ثلاث مرات أو حتى ست مرات في الأسبوع".***

ويستبروك بيغلر

20

الصحافة على الشبكة الإلكترونية

"الأدب هو فن كتابة شيء سوف يقرأ مرتين؛ والصحافة هي فن كتابة شيء لن يقرأ سوى مرة واحدة"

سيريل كونوللي، 1938

من المؤكد أي صحافي يقارب العمل على الشبكة الإلكترونية ظانا أن مهاراته الراهنة يمكن تحويلها مباشرة، وأن بمقدوره ترك المتطلبات الضرورية الأخرى بكل سرور إلى "هؤلاء الزملاء التقنيين"، محكوم عليه بالفناء، ولن يحتاجه أحد في المستقبل، تماما كممثل السينما الصامتة ذي الصوت الأجش عام 1929 (عند اختراع السينما الناطقة).

هذا التشبيه متعمد ومقصود، نظرا لأن إنتاج مواقع الويب مشابه لإنتاج الأفلام السينمائية - جهد تعاوني مشترك عبر سلسلة من المهارات الإبداعية لإيجاد منتج نهائي. ولهذا مضامين ضخمة بالنسبة للصحفي الذي يعمل على الشبكة الإلكترونية، لأنها تمثل أرضا وعرة لمن يجهل معالمها. لن تسمح أي شركة سينمائية لكاتب بأخذ زمام المبادرة لتحديد كيفية العمل؛ فهذا شأن المخرج، الذي لا تشمل معارفه الكتابة فقط، بل التصوير، والتمثيل، والإضاءة، و"الديكور"، والإعداد (وهذا هو الأهم). وعلى نحو مشابه، لن يدع أحد صحفيا جاهلا بالتقانة يخرج/ أو يدير إنتاج موقع ضخم على الشبكة الإلكترونية. فكل

من يتولى هذه المهمة يجب أن يعرف كيف تعمل الكمبيوترات والمستعرضات (browsers)، والوظائف الإضافية للتعرف على ملفات الصوت والصورة، واللون، وقواعد البيانات. صحيح أنه ليس من الضروري التبحر في كل هذه الأمور بعمق، لكن من المهم للصحفي أن يتمتع بما يكفي من الاطلاع لمعرفة ماذا تفعل، ومدى صلتها وأهميتها في تحقيق تأثير معين. وهذا يعني تعلما مستمرا لمهارات جديدة ومسايرة آخر التطورات. أما البديل فهو دور ثانوي مهمش وراء الستار، مثل كتاب هوليود - يبذلون جهدا مضنيا في مكان كئيب منعزل، ويتعرضون للتأنيب والتوبيخ، ويعتبرون عمالا يمكن استبدالهم والاستغناء عنهم، وليس لهم أي تحكم بالمنتج النهائي.

يستهدف هذا الفصل إرشاد الصحفيين للانتقال من الباحة الخارجية إلى غرفة التحكم. ويعرض القضايا المتعلقة بإنشاء موقع صحفي محلي أو إقليمي، كما يقدم بعض الأفكار والأمثلة حول كيفية عمل الصحافة على الشبكة الإلكترونية.

تخطيط مواقع الويب

يبدأ التخطيط لإنشاء موقع جديد على الويب وتقرير محتواه بطرح أربعة أسئلة.

من الذين يستهدفهم؟

قد يزور الموقع بالصدفة أحد المتصفحين، أو باحث جاد يبدي اهتماما بمجالك، أو بالنشاط فيه، لكن غالبية مستخدمي الموقع سيكونون من الأشخاص الذين يعيشون (أو عاشوا) في منطقتك. وصلتهم بالمنطقة (حتى لو كانت بغرض التسوق) سوف تدفعهم إلى الموقع وسيعودون إليه مرارا إذا وجدوا فيه ما يثير اهتمامهم. كيف يقضي هؤلاء حياتهم؟ ما الذي يفعلونه بعد انتهاء العمل؟ هذا ما يجب أن يركز عليه موقعك.

كيف سيبدو وما هو محتواه؟

مع مواقع الويب هنالك سلسلة ضخمة من العناصر المتاحة: النص، الصور، العناوين، قواعد البيانات القابلة للبحث، المحفوظات، الوصلات (الروابط) الداخلية والخارجية، الرسوم البيانية(التفاعلية أو الساكنة)، الصوتيات والمرئيات، إضافة إلى المحتوى الذي قد يولده المستخدمون من خلال لوحات الملاحظات وغرف المحادثة. الخطر يتمثل هنا في أن هذه المصفوفة المشوشة والمربكة من العناصر المحتملة، وقلق خبراء الكمبيوتر من استخدامها كلها، يؤديان إلى طغيان شكل الموقع على مضمونه، أو على أقل تقدير، على وضوح أسلوب عرضه وتقديمه. أما مفتاح ضمان أولوية المضمون على الشكل فهو معرفة ردة فعل المستخدمين على هذه العناصر، بالطريقة التي يعرف بها الصحفيون (في الصحف المطبوعة) ما يجتذب القراء ويثير اهتمامهم.

ما الذي يحاول الموقع أن يفعله؟

هل سيروج للصحيفة، أم يعيد إنتاجها، أم يوفر مضمونا مختلفا وربما أعمق؟ لا ينبغي ازدراء موقع الصحيفة الذي يكتفي بالترويج للنسخة المطبوعة. ونظرا للمشكلات التي تواجه إيجاد نموذج تجاري مربح للنشر الإلكتروني، لربما يكون ذلك - بالنسبة لبعض المعنيين - خطوة إلى الأمام. فالعينات المختصرة للقصص الإخبارية يمكن أن تثير الشهية لقراءة الصحيفة، واعتمادا على الموارد، يمكنها أن تقدم بعض الميزات (مثل لوحات الملاحظات، والمحفوظات.. الخ) التي لا يمكن لوسائل الإعلام المطبوعة أن تقدمها. إن إعادة طباعة الجريدة على الشبكة الإلكترونية (التي غالبا ما ترفض بازدراء وسخرية باعتبارها "برمجيات منوعة مجانية")، قد تكون أيضا الخطوة الصحيحة التي تتخذ في بعض الظروف، بالرغم من اقترابها الخطر من إعطاء القراء سببا لعدم شراء الصحيفة. صحيح أن بناء موقع مختلف وجديد أمر خطر ومكلف، لكن فائدته أكبر ومرابحه أعظم على المدى البعيد.

ما الذي يمكن للإنترنت أن تفعله وتعجز الطباعة (على الورق) عنه؟

للشبكة الإلكترونية مثالبها، لكنها توفر: سعة لا محدودة تقريبا، وعملية تحديث وتطوير متواصلة (وفورية تقريبا)، والصور المتحركة، والصوت، والقدرة على قياس وتقدير الآراء بالصفحة وعدد زوارها بدقة، والتفاعل معها. أما البراعة في تخطيط موقع إخباري جيد على الويب فهي محاولة استغلال هذه المزايا. وهذا يعني المحتوى غير الممكن في الصحيفة المطبوعة (قواعد البيانات التفاعلية، القوائم التي يمكن البحث فيها، لوحات الملاحظات.. الخ)، والمحتوى الذي لا يسهل توفره فيها (المادة الخام من المصادر، القوائم الطويلة، البحث في مادة يصعب وضعها في الصحيفة المطبوعة.. الخ). إن السعي وراء هذه السبل والقنوات يبعدنا عن صحافة القصص الإخبارية/ المقالات التقليدية، ويقربنا إلى مجالات معلومات الخدمات، واستضافة لوحات الأخبار. لكنه يعني أيضا الاستفادة من قدرات وسائل الإعلام الجديدة، لا مجرد إدخال المادة التي يفضل الوصول إليها حين تكون مطبوعة.

الصفحة الأمامية

بغض النظر عما إذا كنت تريد صفحة أمامية هادئة وتتمتع بسلطة مرجعية، أم واحدة ناشطة ومزدحمة كواجهة متجر ألعاب في ليلة عيد الميلاد، هناك مسألة مفتاحية واحدة للبدء بأي موقع إخباري بداية صحيحة: السياق. فالصحف تقدم السياق عبر شكلها الخارجي ذاته. ومجرد نظرة إلى الصحيفة كافية ليعرف القراء ما هي، ومن ينتجها، وإلى من تتوجه. الحجم، أسلوب الطباعة، نوعية الورق، اللغة، استخدام الصور، السماكة، درجة الحرفية - تكشف كلها على الفور هل هي صحيفة للمتسوقين المحليين، أم صحيفة وطنية (صقيلة الورق وصغيرة الحجم)، أم ملحق إضافي من صحيفة مرموقة كبرى. بل يمكن للقراء أن يستشعروا مصداقية المطبوعة بمجرد النظر إليها. لكن مواقع الويب لا يمكن أن تمسك باليد ويحكم عليها. ولهذا، ينبغي أن توفر

سياقا عن سابق وعي وإدراك، من خلال الإجابة المباشرة عن أسئلة المستخدم، مثل: ما الذي أقرأه هنا؟ ما حجمه؟ هل هو موقع ترويجي من ست صفحات، أم صحيفة إلكترونية "وأرشيف" من 1560 صفحة؟ وينبغي الإجابة عن هذه الأسئلة على الصفحة الأمامية، بكلمات واضحة وبسيطة.

لا يوجد جانب من جوانب السياق بحاجة إلى التعامل الواضح معه أكثر من مصداقية وحرفية الموقع. فالتأثير المتعادل للإنترنت يعني أن كل من هب ودب يمكن أن ينشئ موقعا، وبقليل من الاستثمار في التصميم والرسوم البيانية، يعطيه مظهرا يماثل مواقع شركات النشر العملاقة التي يبلغ رأسمالها مليارات الدولارات. صحيح أن العلامة التجارية لوسيلة إعلامية شهيرة تعتبر سلاحا قويا في ترسيخ المصداقية، لكن المصداقية خارج الإنترنت (حالة عدم لاتصال) لا يمكن نقلها دائما إليها (حالة الاتصال). ومع ذلك، هنالك طريقة واحدة لا تخطئ، بالنسبة للجميع، لبناء المصداقية على الشبكة الإلكترونية. ولربما تنبثق من أشهر سمات مواقع الويب غير الأكاديمية: سمعتها بتقديم شيء يتفوق على كل ما عداه: خيبة الأمل.

انبنت هذه السمعة بدأب على مر السنين من قبل المواقع التي تعد بأكثر مما تستطيع تقديمه، والمبالغة في الترويج والخداع التي غالبا ما ترافق أكثر المواقع ابتذالا، والوصلات إلى الصفحات التي ما زالت تحت الإنشاء، والوصلات المقطوعة، والمواقع التي لا تزيد مكوناتها كثيرا على الوصلات، وتلك التي توحي بالعميق ولا تقدم سوى السطحي، وتلك التي تظن أن الصور المسلية بديل عن المعلومات الحقيقية. تجنب هذه الأشياء على الصفحة الأمامية، واعرض دليلا دقيقا لمحتوى الموقع، بطريقة حاسمة بعيدة عن الصخب الإعلاني، وسيكون موقعك على الطريق الصحيح لاكتساب المصداقية وثقة المستخدمين.

بنية الموقع

يتطلب تخطيط بنية الموقع الكبير مهارات تختلف تماما عن تلك التي يمارسها الصحفيون عادة. فهي أكثر شبها بتلك المطلوبة من أمناء المكتبات، أو المتخصصين في البيانات والمعطيات. وقد يضم الموقع أكثر من ألف صفحة، يمكن تصنيف العديد منها ضمن فئات مألوفة، لكن العديد منها أيضا لا يمكن تصنيفه. من المغري ابتكار مزيد من التصنيفات، لكن ذلك يجعل فهرسة الموقع أمرا بالغ الصعوبة (على الأقل بشكل معقول يمكن عرضه على الشاشة). ثم هنالك مشكلة المادة التي تنتمي فعلا إلى أكثر من فئة - فهل نعطيها مدخلا في الفئتين كليتهما أم في واحدة فقط، أملا بأن يفهم المستخدمون بسرعة النظام الذي تعتمده في الفهرسة؟ وهناك الصفحات التي تتسع وتنمو إلى حد تستحق فيه عدة صفحات فرعية. فهل تدرج هذه - وكيف؟

تخيل أنك تحاول وضع مخطط وفهرس لدليل شامل وخدمات إخبارية متكاملة لمدينك على الشبكة الإلكترونية - أخبار، رياضة، فنون، عطلات، لوحات ملاحظات للأنشطة المجتمعية، قوائم مدونة تجارية، إعلانات شخصية، إعلانات مبوبة، معلومات حول السفر والسياحة، جداول مواعيد.. الخ. عندما قمتُ بهذه المهمة، تطلبت عمل ثلاثة أشخاص بدوام كامل مدة أسبوعين لإنشاء بنية موقع يمكن إدارته وتسمح بتوسعته. وما إن تبلغ مرحلة فهرسة بنية الموقع، هل تعرضها كلها على الصفحة الأمامية، أم توجزها، أم تزودها بلائحة يمكن فردها، أم ترسل المستخدم إلى صفحة أخرى من أجلها؟ أم تعرض عناوين الأقسام الرئيسة التي تظهر عند إحدى الزوايا فهرسها المفصل بالضغط عليها بمؤشر الفأرة؟ ليس ثمة إجابات شافية لهذه الأسئلة كلها.

التجوال

في الصحيفة المطبوعة، يعرف القراء هل هم قرب البداية، أو المنتصف، أو النهاية. كما يمتلكون العديد من الأدلة والمفاتيح من أسلوب طباعة وتصميم

صفحة الأخبار، مثلا، مقارنة بصفحة المقالات والتحقيقات والتجارة والمال. مصممو الصفحة المطبوعة يضمنون أيضا أن تقدم المعالم الجيدة إلى القارئ المواظب "خارطة" للصحيفة في ذهنه. أما إعادة إنتاج تأثير هذه "الخارطة الذهنية" على موقع الويب فتعني:

تعريف القراء بحجم ومدى وبنية الموقع

يجب أن يكون الفهرس/ الدليل (أو موجز له، إذا كان الموقع ضخما) مرئيا أو متاحا على كل صفحة. حاول أيضا أن تظهر بالتفصيل مكان القارئ حاليا في الموقع. هنالك طرق عدة للقيام بذلك، بدءا بتعليم وتحديد القسم الحالي في الفهرس، وانتهاء باستخدام خارطة صغيرة. وحين تمتد القصة أو المقالة على عدة صفحات، اعرض رقم الصفحة، ومن الأفضل بأسلوب "2من4"، أو غير ذلك.

الإسراع بنقل المستخدم من أ إلى ب، أو د، إذا كانت هذه رغبته

زود المستخدمين بأبسط وأسرع طريقة للعودة إلى الفهرس الرئيس الكامل، وإلى رأس أو ذيل الصفحات الطويلة. أما في الصفحات التي تضم قوائم طويلة من المعلومات، فاستخدم الترتيب الأبجدي كوسيلة للقفز إلى أي جزء محدد بسرعة. القوائم المفرودة للأسفل، التي تحتل مساحة صغيرة، لكن عند الضغط عليها تحرر فهرسا كاملا، تعتبر طريقة ممتازة لإتاحة الوصول إلى خريطة الموقع الكاملة. يمكن الحصول على تأثير مشابه من خلال عرض ميزة أو ملمح (الفهرس غالبا) حين تسحب المشيرة فوقه.

تحديد مختلف أقسام الموقع بواسطة اللون أو الطباعة

عندما تعاين أي نظام للنقل تحت الأرض (مترو الأنفاق)، يتبين لك أن الخطوط المختلفة تحدد بألوان مختلفة، إضافة إلى خرائط في المحطات والعربات. وبذلك يندر أن يتوه الركاب. وفوق كل شيء، حاول دراسة مواقع الويب الأخرى - السهلة والمزعجة - لتقليد المزايا وتجنب المثالب.

لائحة واضحة للقصص الإخبارية

في الحالة التقليدية، يتم ذلك من خلال العناوين الرئيسة، المرتبة حسب الأهمية، أو التاريخ، أو الموضوع. ومن المفيد غالبا (إلا إذا كانت قصصك مرتبة أصلا ضمن فئات) أن تعرض موضوع القصة (مثلا: روسيا، اقتصاد، انتخابات. .الخ) بصيغة عبارة وجيزة تشير إلى العنوان، مثل: "جريمة: رجل مدان ينهب مصرفا". أما العناوين الرئيسة فلا تكفي غالبا لوصف موضوع أو مضمون القصة، إلا إذا كتبت بواسطة محنك خبير. ومما يساعد أيضا فقرة موجزة تحت العنوان مباشرة.

كيف تتعامل مع القصص الإخبارية على الإنترنت

لم يعد طول القصص الفردية ولا عدد الصفحات محددين على مواقع الويب، وهذه أهم الميزات التي تخفف من عبء القيود على الكاتب. وليس ثمة فارق فعلي بالتكلفة بين طبع خمسمائة كلمة أو خمسين؛ ولا فرق بين نشر عشر صفحات أو واحدة، حالما يترسخ الأسلوب الأساسي للموقع. الأمر الذي يفتح عدة احتمالات:

نسخة موسعة للقصة المطبوعة

في عام 1999، نشرت صحيفة "فيرجينيا - بايلوت" قصة من 2100 كلمة لهولي هيسر حول الافتقار "المخزي" في فيرجينيا لسبل مساعدة المرضى النفسيين أو المعوقين. أما نسخة القصة على موقع الصحيفة الإلكتروني فبلغ عدد كلماتها 3800 كلمة، حيث أضيف المزيد من التفاصيل والأعمدة الجانبية. يمكن أيضا نشر مواد إضافية حول خلفية القصة. أما القصص الطويلة فيمكن تجزئتها إلى أقسام على صفحات منفصلة. صحيفة "شيكاغو تريبيون" يبلغ عدد كلمات صفحتها 500 كلمة، رغم أن من المناسب تقسيم التقارير المطولة إلى أجزاء أكبر.

الأعمدة (أو الملاحظات) الجانبية

وهذه تشمل مسارد، وتسلسل الأحداث زمانيا، والسير الذاتية للشخصيات المهمة، والقوائم والجداول الطويلة (الرسمية أو التي نظمها الصحفيون) بحيث يصعب طبعها في الجريدة.

النسخ المسجلة

يمكن للمواقع أن تعرض أيضا النسخ المسجلة للمقابلات الشخصية والاجتماعات العامة. على سبيل المثال، يمكن لمشجعي فريق دولفين لكرة القدم أن يقرؤوا النسخة المسجلة لأي مؤتمر صحفي يعقده المدرب جيمي جونسون، وذلك على موقع صحيفة "صن - سينتينل".

نشر المواد المرجعية

أنجح حدث في تاريخ الإنترنت نتج عن ملف نصي بسيط، بدون رسوم أو صور أو مثيرات. ففي الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 1998، نشر تقرير ستار، وقرأه حوالي 25 مليون شخص في شتى أنحاء العالم بخلال يومين - وهو رقم يفوق توزيع أكبر خمسين صحيفة يومية أمريكية مجتمعة. على موقع "AOL"، سجل عدد الزوار 1.10 مليون ساعة في يوم واحد. وهذا مثال يعبر عن التلهف على قراءة المواد الإخبارية الخام. صحيح أن قلة من التقارير الرسمية ستعادل في إثارتها تقرير ستار، لكن ينبغي على مواقع الأخبار أن تبحث دوما عن الوثائق الحكومية، والدعاوى القضائية، وجداول الأعمال، ومحاضر الاجتماعات، والروايات، والرسائل المتبادلة، والبيانات والتصريحات، وتطبيقات التخطيط، وغير ذلك من الوثائق الرسمية التي تهم العموم.

الأخبار العاجلة

قدرة مواقع الويب على تحديث الأخبار والمعلومات باستمرار يجعلها أداة مثالية للتعامل مع الأخبار العاجلة الخطيرة. من التقنيات المستخدمة عدم كتابة رواية مترابطة ومتسقة قبل انتهاء الحدث، بل فتح صفحة تملأ بـ"لقطات

سريعة" كل خمس أو خمس عشرة دقيقة. وهذا يؤدي إلى رواية وصفية متواصلة يمكن أن تترك على حالها، كسجل مرتب زمانيا، أو تنقيحها وتنظيمها لتصبح قصة مكتملة فيما بعد. كما يمكن تغطية الأحداث الرياضية بهذه الطريقة.

الروابط (الوصلات)

أفضل وسيلة للربط بمواقع الويب ذات الصلة هي الأعمدة (الملاحظات) الجانبية، بدلا من دمج الوصلات في النص. ومن نقاط الانطلاق في هذا المجال إنشاء "فهرس" وجيز للمؤسسات والمواضيع البارزة في القصة وربطها بصفحات الموطن (home pages) الخاصة بها. ومن الأفكار السديدة جعل هذه الروابط مفتوحة ومتاحة في نافذة أخرى - وهذا ينطبق أيضا على أي عمود جانبي أو خلفية قصة تكتبها.("The Electronic Telegraph" و"BBC"، موقعان إخباريان متفوقان في تقديم الروابط للمواقع ذات الصلة بالقصة التي تنشر).

المحفوظات (الأرشيف)

نظرا لقدرة الإنترنت على إتاحة الفرصة لإضافة ما شئت من صفحات، تعتبر وسيلة مثالية لأرشفة القصص أو الصفحات أو المصادر. الفهرس الواضح ضرورة جوهرية. والقصة في الأرشيف يجب أن يخصص لها صفحة واحدة (إلا إذا كانت مفرطة في طولها).

مظهر النص على الشبكة مازال في مرحلته البدائية، لأن خطوط موقع الويب يمكن أن يتجاوزها المستعرض. وفي الحقيقة فإن الطريقة الوحيدة للتحكم كليا بما يراه المستخدم على شاشته هي تحويله إلى ملف صورة. لكن ذلك يتم على حساب زمن التحميل، والمرونة عند التحديث. إلا أن بالمستطاع التحكم بعرض العمود، وهو أمر يستحق أن نركز عليه الاهتمام. فقد وجدت دراسة أجراها جيكوب نيتسن لحساب شركة "صن ميكروسيستمز"، أن قراءة نص على الشاشة أبطأ بنسبة 25٪ مقارنة بالنص المطبوع على الورق. لم يتم تحديد الأسباب، لكن مقاييس العمود العريضة المستخدمة على الشاشة قد

تمثل أحدها. جرب استخدام عمودين أو حتى ثلاثة على الشاشة. الموجز السريع الذي يعدد نقاط القصة المهمة يعمل بنجاح على الشبكة الإلكترونية، كما أن استخدام التعداد النقطي مفيد في جميع الأحوال.

البصريات/ المرئيات

المهارة المطلوبة عند مواجهة وظائف بصرية وتفاعلية هي معرفة الفارق المميز بين ما يضيف إلى جاذبية الموقع، وبين ما يظهر هناك لاستعراض مهارات التقنيين. وكقاعدة عامة، إذا كان ثمة حاجة لأن يحمل المستخدمون وظائف إضافية، أو لزيادة زمن التحميل زيادة كبيرة، فأرفض ذلك. فزمن التحميل أمر مهم، والانتظار الطويل يدخل الملل في نفوس المستخدمين. من هنا أطلق بعضهم على الشبكة العنكبوتية العالمية "World Wide Web" شبكة "الانتظار" العالمية "World Wait Web" لكن تكمن خلف هذه الدعابة المبتذلة حقيقة صارخة. فتحميل الصور يأتي على نفقة المستخدم بسبب الوقت الطويل الذي تستغرقه، مقارنة بالنصوص وحدها. فإن أردت أن تعرف الزمن الذي يضيفه تحميل الصور، حاول تحميل صفحة مع وقف تحميل الصور. لكن مع تحسن التقانة سوف ينخفض زمن التحميل، ولن تقبل سوى المواقع الكئيبة والجافة أن تكون بدون صور.

الصور

بغض النظر عن إدخال الصور والفنون المعتادة التي تصاحب القصص الإخبارية، يمكن للصحف استخدام مواقعها على الويب لإظهار صور إضافية. ففي أي حدث مهم، سوف يعود المصورون دوما بالعديد من الصور الإضافية التي لا تسمح مساحة الجريدة بنشرها. العديد من الصحف الأمريكية تعرض هذه الصور على مواقعها على الشبكة. لكن المشكلة الحقيقية في هذه الصور

لا تكمن في ما تعرض فقط، بل في كيفية العرض. فزمن تحميل صورة واحدة كبيرة الحجم يفوق الزمن المطلوب لتحميل أربع صور أصغر حجما، حتى وإن كانت مساحة الصور الإجمالية متماثلة. لذلك فإن حشد العديد من الصور الكبيرة في صفحة واحدة لا يعتبر فكرة سديدة. ومن الأفضل استخدام نماذج مصغرة للصور يمكن أن تظهر بالحجم الكامل عندما يضغط عليها المستخدم. وفي هذه الحالة، تأكد من أن هذه العملية تفتح نافذة مستعرض جديدة. أما البديل الأسرع فهو إدراج الوصلات إلى الصور.

الرسوم البيانية

يجب أن يقلص حجم هذه الرسوم لاسيما حينما تكون الخرائط أو سواها من المخططات محورية لفهم القصة، بحيث تصاحب النص الرئيسي. موقع صحيفة "فيلادلفيا انكوايرر" مفيد على نحو خاص لاستخدام الرسوم البيانية.

أفلام "الفيديو"

يمكن أن تتراوح بين التسلية (عرض موقع "لوس انجلوس تايمز" مقاطع مرئية من خطب توزيع جوائز "أكاديمي")، وبين الأخبار الجدية (عرض موقع "Pilot Online" مقطعا مرئيا يصور تصادم مدمرة تابعة للبحرية الأمريكية مع سفينة شحن، وزاره خمسة آلاف شخص في اليوم الأول). لكنها قد تكون باهظة التكلفة (قلة قليلة من الصحف الإقليمية خارج الولايات المتحدة تمتلك حقوق عرض مقاطع مرئية إخبارية)، وبطيئة عند التحميل. وقبل استخدام لقطات الفيديو بكل ثقة في المواقع التي تركز على الاهتمامات العمومية، يجب تحقيق تقدم تقني على صعيد زمن التحميل، إضافة إلى إتاحة أوسع نطاقا للوظائف الإضافية. والأمر نفسه ينطبق على الصور ثلاثية الأبعاد وصورالـ 360 درجة.

الخيارات التفاعلية

قواعد البيانات القابلة للبحث

يمكن أن تكون مجرد قاعدة بيانات متواضعة، مثل قوائم الخدمات، أو البيانات الرسمية، أو المعلومات المتجمعة خلال مسار كتابة التقرير. صحيفة "سياتل تايمز" على سبيل المثال، عرضت تحقيقا حول نتائج الامتحانات المدرسية، ونشرت قاعدة بيانات قابلة للبحث حول نتائج مدارس المدينة على موقعها. كما عرض موقع "اتلانتا جورنال - كونستيتيوشن" بالطريقة نفسها دليلا لفخ السائقين المتهورين في المدينة (استخدام أجهزة الرادار للإيقاع بالسائقين الذين يتجاوزون حدود السرعة الآمنة). والحالتان تمثلان نموذجا لتطبيقات الشبكة الإلكترونية التي يتعذر على الوسائل الإعلامية المطبوعة تنفيذها.

الرسوم البيانية التفاعلية

وهذه تتيح للمستخدم الضغط بالمؤشر على خريطة أو خط زمني ورؤية التفاصيل المتضمنة. ومن النماذج اللافتة موقع "شيكاغو تريبيون" حيث يطلب المراسل "الإلكتروني" ستيفن هندرسون من مراسلي الصحف المطبوعة بيانات الجرائم - الوقت، الحي، سبب الوفاة.. الخ - ثم يجمعها على شكل خارطة تتيح للمستخدمين الضغط على موقع أحيائهم السكنية لمعرفة الوضع فيها. في عام 1997، نشر موقع "MSNBC" مقالا حول الطرق الخطرة أتاح للمستخدمين إدخال الرمز البريدي والعثور على بيانات حول حوادث الاصطدام المميتة في تلك المنطقة. وبخلال اثنتي عشرة ساعة زار الموقع 68 ألف شخص. ويمكن للحاسبات المبتكرة بلغة البرمجة "JavaScript" أن تكون مؤثرة وفعالة. ففي لندن، ضم موقع صحيفة "الغارديان"، الذي يغطي التغييرات الضريبية، ميزة تدعو المستخدمين لذكر مدخولهم المالي وظروفهم الأخرى للحصول على الرقم التقريبي للتخفيضات الضريبية.

التغذية المرتجعة والمناقشة

رابط البريد الإلكتروني

يجب على كل موقع إخباري يتمتع بالمصداقية أن يضم وصلة بريد إلكتروني للأقسام الرئيسة (التحرير، الأخبار، الرياضة، التجارة والأعمال، الإعلانات.. الخ). أما الوصلات مع عنوان البريد الإلكتروني الشخصي للمراسل فهي أمر مختلف. إذ يمكن أن تكون خطرة - خصوصا بالنسبة للمراسلة (الأنثى) التي تنشر صورتها مع اسمها - كما تزعج بالتأكيد العديد من المستخدمين، إلا إذا استطعت أن تضمن الإجابة الشخصية عن أي رسالة جدية ومهمة.

لوحات الملاحظات والمنتديات

الصفحات التي يمكن فيها للمستخدمين إرسال الرسائل والإجابة عنها تحظى بشعبية كبيرة. وهي عموما أكثر نجاحا إذا ضمت لوحات ملاحظات لمناقشة القضايا المحلية، والمسائل الأكثر تحديدا. وحتى في المناطق الأكبر مساحة، قد تنجح الرسائل المركزة على الشؤون المحلية. ينبغي تشجيع صناع الأخبار على زيارة لوحات الملاحظات والإجابة عن الأسئلة ذات الصلة. ويمكن للرسائل والإجابات المهمة على وجه الخصوص أن تعلّم وتربط بالصفحات الإخبارية. لكن لوحات الرسائل بحاجة فعلا لأمرين اثنين: الرصد الدقيق لاستئصال الرسائل التجارية السافرة أو تلك التي لا تتصل بالموضوع، وبرمجيات حماية لاعتراض الرسائل التي تستخدم كلمات بذيئة.

غرف المحادثة

ويمكن لهذه أن تتشكل من مجموعات منتظمة لها اهتمام محدد، أو من الشريحة العمرية ذاتها، أو تنشأ لمرة واحدة لمناقشة حدث معين. غرف المحادثة هذه، إضافة إلى المقابلات عبر الإنترنت مع المراسلين وصناع الأخبار،

تحتاج فعلا لشرط واحد قبل أن تملك أي فرصة بالنجاح: مستخدمون جادون يزورون الموقع. فعدد الزوار اليومي إلى الموقع برمته حين لا يتجاوز بضع مئات يجعل من المستبعد الحفاظ على استمرارية غرف المحادثة.

"لوح الرماية"

السلسلة الطويلة من العوامل المحتملة على الموقع الإخباري تجعل متطلبات التخطيط للتغطية الإلكترونية تفوق مثيلاتها في الصحف المطبوعة. لنأخذ على سبيل المثال تغطية موقع صحيفة "شيكاغو تريبيون" لمؤتمر الحزب الديمقراطي عام 1996. فقد وصل عدد مستخدمي الموقع إلى مائة ألف يوميا، لأنه ضم مزيجا متنوعا من التقارير الصوتية من محطة الإذاعة التابعة للصحيفة، ومقاطع مرئية من محطتيها التلفزيونيتين، ومقالات من الصحيفة. كما شمل جولة تاريخية حول المؤتمرات السياسية الأربعة والعشرين التي شهدتها المدينة سابقا، إضافة إلى نظرة على أحداث تلك السنوات، وأرشيف للخطب والرسوم الكاريكاتيرية السياسية. ومن أجل التغلب على كابوس التخطيط لهذه الخلطة المشوشة من المواد المتداخلة والمتشابكة، لجأت الصحيفة، مثل العديد من الصحف الأمريكية الأخرى، إلى تقنية "لوح الرماية" المستخدمة في صناعة الأفلام السينمائية، حيث عرضت موجزا لمحتوى كل صفحة، ورسوما بيانية وروابط ووصلات، إضافة إلى مخطط يظهر كيف تتصل كل صفحة بالأخرى. كان هناك سبيل محدد، لكن مع خيارات تتيح للمستخدم الذهاب أنى شاء.

السجلات

تنفق الصحف مبالغ ضخمة على مسوحات القراء الفعليين والقراء المحتملين، لتعرف ما الذي يرغبون فيه ويرغبون عنه في الصحيفة الموجودة، أو في الأعداد التجريبية للصحيفة الجديدة. لكنها بعد ذلك تتجاهل النتائج بذريعة الاشتباه بمنهجية المسح أو استطلاع الرأي. إلا أن السبب الأرجح يعود

إلى أن النتائج لا تتناسب مع أحكامها المسبقة. مواقع الويب لا تعاني من هذه المشكلة. فسجلاتها لا تظهر عدد زوار كل صفحة في الساعة/ اليوم/ الأسبوع فقط، بل من أين أتى المستخدمون أيضا، والصفحات التي تثير انتباههم، والمجال الذي ينتمون إليه (co.uk/.com/edu..)، وهل يمتلكون حواسب شخصية مطورة من قبل شركة "أي بي ام" أو "ابل". هذه المعرفة الثمينة يمكن أن تكشف أكثر مما تظن. فوجود عدد كبير من زوار الموقع في منتصف الليل لا يشير على الأرجح إلى أرق يعانون منه، بل إلى أنهم مستخدمون من بلدان أجنبية. يمكن للسجل أيضا أن يسبب صدمة. ولست الوحيد الذي اكتشف أن الصفحات التي صممت بعناية لعرض الصحافة التقليدية على الشبكة الإلكترونية قد تفشل فشلا ذريعا عند مقارنتها مثلا بقاعدة بيانات مدونة في قائمة بسيطة أو لوحة ملاحظات. أما إذا قدمت الحجج على خطأ نتائج تسجيل الزوار فسوف تعرض موقعك للخطر.

> ***"محاولتك لأن تصبح مراسلا من الطراز الأول في صحيفة عادية تشابه محاولة عزف مقطوعة "معاناة القديس ماثيو" للموسيقار باخ على قيثارة صغيرة من أربعة أوتار. فالآلة فظة وبدائية بالنسبة للعمل، والمستمعين، والعازف".***

بن باغديكيان

مراجع مفيدة ننصح بها

لا توجد سوى قلة قليلة من الكتب حول الصحافة تستحق القراءة. فالتاريخ الرسمي للصحف ينزع لأن يأخذ شكل تدريبات على العلاقات العامة، بينما يبتعد نائيا عن الأدب؛ مذكرات رؤساء التحرير تبدو غالبا وكأنها كتبت لتصفية حسابات قديمة، تسقط الأسماء أو تسوغ التكاليف والنفقات؛ المقالات الصحفية النقدية عبارة عن سرد مكرور يعيد ثورات الغضب الجامحة المتوقعة من صحف "التابلويد" الشعبية؛ الكتب التعليمية ألفها على الأغلب أولئك الذين منحتهم حقيقة عدم أهليتهم لشغل مناصب رفيعة المستوى في الصحف فسحة كافية من الوقت للكتابة. لكن هناك استثناءات تستحق التكريم والإجلال.

الكتب المرجعية لكتابة التقارير الصحفية

تعتبر سلسلة "بيدسايد غارديان" (*Bedside Guardian*) كنزا ثمينا ومرجعا نفيسا لكتابة التقرير الجيد الدقيق، مثلما هي المجموعات التي تضم أفضل أعمال كتاب صحيفة "الاوبزرفر" (التي توقفت [المجموعات] عن الصدور الآن للأسف). من المحبط ندرة الكتب التي تتناول كتابة التقارير الصحفية الجيدة، ولذلك يعتبر "كتاب فيبر المرجعي حول الريبورتاج" (*The Faber Book of Reportage*) الذي أعده جون غروس، بالغ الأهمية والقيمة. ويمكن العثور على بعض من أفضل المقاطع والفقرات (مقابل المقالات الكاملة) في كتاب فيليب نايتلي "المصاب الأول" (*The First Casualty*) (*Andre Deutsch, 1975*)، حيث يجري مسحا

واسعا لتقارير المراسلين الحربيين، كما يضم العديد من المشاهدات والملاحظات المتعمقة حول المهنة. أما المؤلف الذي يجمع الكتّاب الأكثر فكاهة وهزلا أو الأشد إثارة للجدل، إضافة إلى أفضل النماذج على كل مقاربة وطريقة في الكتابة، فهو "أصوات بعيدة " (*Distant Voices*) لجون بيلغر (*Vintage, 1992*) وكل ما كتبه بي. جي. اورورك مهم ومفيد. وإن أردت معرفة ما هي المقالات المطولة التي تتسم بالذكاء والحذق وتقدم المتعة والتسلية، أو كيف تبدو المقالات المخصصة للمجلات، فراجع كتاب ايان جاك "قبل أن ينفد النفط" (*Before the Oil Ran Out*) (*Vintage, 1992*)، وكتاب بليك موريسون "صحيح أكثر من اللازم" (*Too True*) (*Granata, 1999*).

مذكرات المراسلين

يميل المراسلون الأجانب إلى اقتناص الشهرة هنا، نظرا لأن الإشارات إلى مدينة هوشي منه ومدينة دوشانبي تثير ضجة أكثر صخبا واهتماما أشد من الحكايات القادمة من محاكم مانشستر. من بين أفضل هذه المذكرات "هل يوجد من تعرض هنا للاغتصاب ويتحدث الإنكليزية" (*Anyone Here Been raped and Speaks English*) لادوارد بيهر (*New English Library, 1978*)، و كتاب "نقطة الانطلاق" (*Point of Departure*) لجيمس كاميرون (*Granada, 1969*). أما حياة وأساليب أشهر مراسلي صحف "التابلويد" الشعبية فقد وصفت بتفاصيل مفيدة في كتاب "المكشوف!" (*Exposed!*) لجيري براون (*Virgin, 1995*) ويعتبر كتاب بيل دييدز "عزيزي بيل" (*Dear Bill*) سيرة ذاتية لمراسل أصبح عضوا في البرلمان، ووزيرا، ورئيس تحرير، لكن بقي على الدوام مراسلا صحفيا ثم عاد إلى المهنة في نهاية المطاف. الكتاب يوضح بطريقة جذابة كيف يتحول الفضول الذي دام طيلة الحياة للتعرف على كل شيء وأي شيء أفضل ميزة يتمتع بها المراسل الصحفي. وبالنسبة لأولئك الراغبين بالتعرف على الجو السائد في شارع الصحافة (*Fleet Street*)، يمكنهم سماع الأصوات الأصيلة لوقع الأقدام

فيه، وكشوف الحسابات التي تسحب من الجيوب، في كل صفحة من كتاب الفريد دريبر "السبق الصحفي والخدع" (*Scoops and Swindles*) (*Buchan and En-right, 1988*)، إضافة إلى كل ما كتبه ديريك لامبرت. ومن أجل الحصول على فكرة مفصلة عن التهوس والتصميم العنيد المطلوبين للتفوق في المهنة، يمكن قراءة كتاب ادنا بوكانان "كان للجثة وجه مألوف" (*The Corpse Had a Familiar Face*) (*The Bodley Head, 1987*)، الذي يضم ذكرياتها عن حياتها كمراسلة جنائية لصحيفة "ميامي هيرالد".

دراسات نقدية حول الصحافة

وهذه كلها تقريبا دراسات حول الصحافة الشعبية كتبها أكاديميون أو محررون أو كتاب صحفيون متميزون، ويبدو أن الشغل الشاغل الوحيد لأفراد المجموعتين كلتيهما هو استنكار واستهجان وازدراء ما يكتشفونه. ولسوف تبحث عبثا عمن يقدم تشخيصا أكثر عمقا للأكاذيب والترهات والتحريفات المتراكمة، بدلا من الروح التجارية المتفشية والمترافقة مع الفجور وانعدام الأخلاق. الاستثناء الجزئي هنا يمثله كتاب "صدمة، رعب!" (*Shock, Horror!*) من تأليف اس. جي. تايلر (*Corgi, 1991*) الكتاب الأمريكيون متفوقون في هذا السياق. "سيرك وسائل الإعلام" (*Media Circus*) لهوارد كورتز (*Times Books, 1994*) يقدم مسحا دقيقا وصارما لقيم ونقاط ضعف الصحافة الأمريكية الحديثة. أما كتاب مورت روزنبلوم "من سرق الخبر؟" (*Who Stole the News*) (*Wiley, 1995*) فهو عبارة عن تأملات عميقة حول الأخبار لمراسل سابق لوكالة أسوشييتد برس.

الكتب التعليمية

مازال العالم بانتظار ظهور دليل إرشادي مفيد وحاذق لكتابة التقرير الصحفي. في هذه الأثناء، يعتبر كتاب "كل رجال الرئيس"، الذي قدم فيه بوب ودوارد وكارل بيرنستاين سردا وصفيا للتحقيق الذي أدى إلى فضيحة ووترغيت، أفضل وصف للمواقف وبعض التقنيات الجوهرية للمراسل المتفوق.

أما بالنسبة للمراجع حول الكتابة الصحفية، فقد ألفها - بشكل ثابت تقريبا - أولئك الذين يملكون "آذانا من صفيح" حينما يتعلق الأمر بإيقاع الجملة وأصالة العبارة. لذلك تجاهلها، وانتقل إلى الأمثلة العملية على الكتابة الجيدة وحاول امتصاص فضائل نسغها. فإن وجدت من الضروري التسلح بدليل إرشادي مفيد، فجرب "دليل ووترهاوس حول الأسلوب الصحفي" (*Waterhouse on News-paper Style*) من تأليف كيث ووترهاوس (*Penguin, 1993*) وللتعرف على تحرير وإعداد المواد والصور الصحفية، فإن أفضل كتابين في هذا المجال هما "التعامل مع النص الصحفي" (*Handling Newspaper Text*) و"صور على الصفحة" (*Pictures on a Page*) من تأليف هارولد ايفانز (*Heinemann*) أما كتاب "أسرار الصحافة" (*Secrets of the Press*) فهو عبارة عن مجموعة من المقالات التي كتبها صحفيون معاصرون في الصحف الوطنية (*Allen Lane, 1999*) والكتاب يستحق القراءة لوجود مقالتين اثنتين فقط: واحدة لآن ليسلي حول العمل كمراسل أجنبي، والثانية عبارة عن دليل إرشادي لإجراء المقابلات الشخصية كتبتها لين باربر.

الإحصائيات والأرقام

هنالك العديد من الكتب الضخمة والجافة والتثقيفية حول الموضوع، لكن كتاب داريل هوف "كيف تزور الإحصائيات" لا يأخذ مهمته التثقيفية والتلقينية على محمل الجد، ويعتبر عملا كلاسيكيا، وينبغي على أي مراسل قراءته مرارا وتكرارا.

أخيرا، هنالك كتاب لا يمكن تصنيفه ضمن أي فئة محددة، لكنه من أكثر الكتب التي قرأتها حول الصحافة عمقا في التفكير: "عالم رياضيات يقرأ الصحيفة" (*A Mathematician Reads The Newspaper*) لجون الان بولوس (*Penguin, 1996*) المؤلف الذي يجمع ولها استثنائيا دام طيلة العمر بالصحف والرياضيات، يبحث عن الجهل المنطقي والإحصائي في الصحف ويجد العديد من الأمثلة. الكتاب سيبين لك كيف تتصل نظرية الفوضى والتشوش بقيم الخبر، ويغير إلى الأبد نظرتك إلى القصص الإخبارية.